بيكا
مينالي
و العين السحرية
د.أحمد خشبة
ساحر الكتب

چيكا مينالى والعين السحرية

د. أحمد خشبة

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

چيكا مينالى

والعين السحرية

د. أحمد خشبة

تصميم الغلاف: محمد أبو الهنا

ورشة التحرير الأدبي: محمد الدواخلي - إبراهيم السعيد

التدقيق اللغوي: هبة النجار الإخراج الداخلي: إسلام علي

رقم الإيداع: 2018/11771

مدير النشـــر: محمد الدواخلي

إشراف فنـــي: إسلام علي

المدير التنفيذي: إبراهيم السعيد

المدير العـــام: محمد مجدي أبو الهنا

facebook.com/FantasiansPub

Fantasians4@gmail.com

002-01094461896

للتوزيع في مصر والوطن العربي: 002-01016641170

صفحة رابطة فانتازيون: facebook.com/Fantasians

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين ودار فانتازيون للنشر والتوزيع، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشر أي جزء من هذا العمل، سواء إلكترونيًا أو فوتوغرافيًا أو أي شكل آخر دون تصريح كتابي موثق من الناشر، يعرض مرتكبه للمساءلة القانونية.

چيكا مينالى
والعين السحرية

د. أحمد خشبة

دار فانتازيون للنشر

إهداء إلى كل أصدقائي في تويتر

إهداء إلى أصدقائي في تيم الصاعقة:

آدم إيكا - أحمد فوزي - نوران فوزي - sara (سحلل) - أومنياااااع

حازم عبد السلام - ماو - صلاح سلام - ماآي

إهداء إلى أصدقائي في تيم الرتس:

هلوس - المشمندزMooe - زيد الدماسي

Captain_hawary - خضر - مروأن محمد

bdalla7 elshafey - zoella3 - عبدالله السيد حسني

آية الله - جلال الشاعر - جيفاآآآرآآآ - عاطف عمر

nagla nono - هشام رضا - المعلم شكل

زياد علاء الدين العطار - إلهام حمدي - جونا جورج

عمر شريف - حسن سليمان - صبري سعيد - Aboody elshrif

Goda elzaeem عبير إبراهيم حسن - آية والدلع ايوش - محمد

مسعد - دلال أحمد

⟦ الفصل الأول ⟧

كان صباحًا دافئًا، بشمسين لامعتين أضاءتا تمثال حورس العملاق الذي بدا متخليًا عن زهوه المعتاد، ويرمق حاقدًا بعيونه الياقوتية بوابة بيت ست، المكان الذي مثل بقعة مظلمة في مدرسة تحمل اسم عين حورس.

لكن تماثيل كيان ست الأربعة تجاهلت النظرات المعتادة لتمثال حورس، فقد كان تركيزها في مكان آخر. في غرفة الجريوم (توت) التي تحمل في قلبها صراعًا وضجة بعد أحداث البحيرة الدامية. الأحداث التي تنذر بفوضى لم تعرفها أعرق مدرسة سحرية ربما منذ عهد الجريوم (مون).

ومثلما تتذكر الكيانات القديمة عهد الجريوم (مون)، كان الجريوم (توت) يدرس خياراته مستلهمًا سلفه العظيم الذي واجه بطرق غير تقليدية مخاطر لا أول لها ولا آخر. اليوم يقف مثله على حافة شائكة من الفوضى السحرية بعدما خانه (سمهاري) أحد أفراد التاسوع ليجر سبعة طلاب من أبناء الدم الملكي لمذبحة مريرة. مذبحة مثلت هزيمة قاسية لأعداء بيت ست الذي عاد للحياة بطالب واحد بعد ألفي عام، وفتحت بابًا مخيفًا للحرب الأهلية بين أصحاب الدم الملكي، في وقت حرج يقف فيه مجلس السحرة العالمي متربصًا بالمدرسة، وبالجريوم (توت) عدوهم الشخصي بعدما أغروه بمفتاح عالم دوات الثمين كي يتورط في مسابقة السحرة.

انتهى الاجتماع العاصف، وتحرك الجميع مغادرين المكتب بمن فيهم التاسوع لكن (توت) أشار لـ(چيكا) كي ينتظر. رمقوه بنظرة ارتياب قبل أن يغادروا المكان. نهض المدير من مقعده الوثير، ووضع يده فوق كتف (چيكا)، ثم قال:

ـ «أعرف أنك قد كذبت بخصوص قوتك ومعداتك»

حاول (چيكا) أن يتفوه بأي شيء مدافعًا، لكن المدير منعه، وتابع قائلًا بجدية:

ـ «يمكنك أن تخدع أي شخص سواي، لكني لا أكترث بتلك الأمور التافهة؛ فكلما صار طلابي أكثر قوة كلما كنت أكثر سعادة. فقط أطلب منك أن تظل محافظًا على حرصك، وألا تجعل أحدًا يعرف سرك»

ـ «شكرًا لك، سيدي»

لم يكن هناك المزيد ليقال، تحرك (چيكا) محييًا مديره، ثم غادر مكتبه. كانت الردهة مكتظة بمئات من طلبة المدرسة الذين يتحدثون عن انتقال سبعة من أعضاء الصف العاشر بغتة من المدرسة بدون أي سبب. نظر (چيكا) نحوهم، والعالم الذي هم فيه بدا مغايرًا تمامًا لعالمه. نحّى نفسه جانبًا، وتحرك مبتعدًا عنهم ليجد (أسمايا) واقفة بثبات بانتظاره. قد فاض بها الكيل، ولم تكن لتصبر على طريقته الفظة في تجاهله لها. قررت أن تنتظره حتى ينتهي من اجتماعه مع (توت)، منتهزةً فرصة رحيل (بهير) وبقية فريقها، لرغبتهم في نيل قسط من الراحة بعد تلك الليلة العصيبة. أيقن من نظراتها أنها لن تدعه يهرب هذه المرة، كانت مدركة لأنه أكثر إرهاقًا من أن يقدر على صدها. مشى جوارها صامتًا، وعقله عاجز عن إسعافه بما يقول، على ما يبدو أن تلك الليلة الطويلة لم تنتهِ بعد.

طال سيرهما الصامت لفترة، فتجاوزا ساحة الملوك، وبعدها سارا عبر مجموعة من الطرق الملتوية التي لم يسيرا فيها من قبل. ظلا سائرين وثقل ما حدث مازال على كاهليهما. رغم استغلالها لفرصة إرهاقه، لكن (أسمايا) نفسها لم تكن في أفضل حال؛ انتابتها مشاعر متضاربة بعد أحداث تلك الليلة، كان أخطر ما يشغل بالها هو كم الأسرار التي يخفيها (چيكا) عنها.

أيقنت أنها ليست الوحيدة التي تخفي أسرارًا عن الجميع؛ فمن غير المنطقي أن يتحول (چيكا) لذلك الساحر بالغ القوة في وقت قصير، حتى لو تدرب طيلة الوقت داخل جدران بيته. توصلت إلى وجود شيء ما يساعده ويعينه على تدريباته وزيادة قوته. كانت تريد أن تعرف هذا السر، إضافة لأن تعرف ماذا اكتشف من أسرارها وجعله يبتعد عنها بتلك الصورة الغريبة. لم تكن قادرة على فهم (چيكا) حتى هذه اللحظة؛ فلولا ما حدث لما قدرت على تفهم مقدار التعقيد الذي يمتاز به (چيكا). دفع ذلك التفكير فيها بمزيد من السعادة؛ لأنها قد اختارت شخصًا جديرًا بحق أن يكون رجلها، حتى وإن بدأت الأمور بطلب من (كريم) لخيانة المدرسة ومن فيها. مهما حاول (چيكا) لمعرفة ما تخفيه عنه فلن تقدر على إفصاح كل الحقيقة له، وإن كان عليها أن تجد كذبة مناسبة تقولها له لتدفعه لتصديقها وتبرير ما اكتشفه من أسرارها. لم يجد عقلها بَعْدُ تلك الأكذوبة، لكنه يعمل بقدر قوته على إيجادها. بعد برهة من الوقت وجدا نفسيهما يسيران فوق حشائش قصيرة ينمو عبرها عدد لا يحصى من الزهور السوداء اليافعة، كانا في حقل ضخم يتبع قسم الوصفات في المدرسة، توقفا عن السير وظلا واقفين يحدقان في المشهد الغريب حولهما. شعر كل منهما أن ذلك اللون المظلم يعكس ما داخل كل منهما من مشاعر مضطربة. نظرت (أسمايا) لـچيكا الذي بدا سارحًا مفكرًا فيما عليه أن يفعل معها وهو في مثل هذه الحالة المرهقة جسديًا ومعنويًا له. بادرت بالهجوم عليه لدفعه للاعتراف لها، قائلة:

ـ «هل تكرهني يا (چيكا)؟»

صدمه سؤالها المباشر والمباغت، توقع أن يتحدثا عن الموضوع ذاته، لكن ليس بمثل تلك الطريقة. نظر عميقًا في عينيها وعقله لا يعرف بم يجيبها، لكنه اتبع حدسه، وقرر أن يكون صادقًا معها.

ـ «الحقيقة، أنا أعشق كل ذرة تراب تمشين عليها»

احمرت وجنتاها خجلًا من كلماته التي لمس صدقها شفاف قلبها، هذه المرة لم تشعر بالندم ولا الغضب من نفسها، فهي تدرك مقدار المشاعر التي تكنها له، فقالت بنبرة خافتة:

ـ «ما تفعله معي طيلة الشهر المنصرم لا يتماشى مع ما تقول»

ـ «لستُ أنا من يجعل شخصًا آخر قريبًا مني»

ابتسمت في داخلها؛ فخطتها لإثارة حنقه قد نجحت رغم اكتشافها لذلك الآن. شعرت بالرضا تجاه ما قامت به في الفترة الماضية؛ فكل شيء كانت تفعله مع (بهير) أثر في (چيكا) كما كانت تتمنى. ألقت بسؤالها التالي، لتهاجم عقله من جديد، قائلة:

ـ «أنت تغار إذن؟»

لم يجبها بل ظل محدقًا نحوها في صمت، أدركت بصمته أنها قد أصابت هدفها في مقتل. لم يرغب في الكذب عليها، ولكن كذلك لم يرد أن يعنفها على إخفائها أسرارًا عنه، وهو يقوم بنفس الشيء. لم يجد بُدًا من الاعتراف لها بكل شيء، متخليًا عن فكرة الحرية التي كان يتبناها عقله، وتمنى أن تقدر حقًا ما سيقوله، ولا تفهمه بشكل خاطئ. قال بهدوء:

ـ «منذ شهر مضى حدث شيء ما لم أخبركِ إياه»

ـ «ماذا حدث؟»

ـ «لقد شاهدتُ إحدى نسخك تقوم بإلقاء تعويذة ما أثناء أحد الفصول»

ظلت واقفة مكانها دون أن تبدي أي ردة فعل على ملامحها، لكن داخلها كان الوضع قد اكتملت أجزاؤه وصار ما كان يقوم به منطقيًا للغاية، لقد اكتشف هذا السر إذن. شعرت براحة تغمرها فلم يكتشف بعد أهم وأخطر

أسرارها. لم تكن قد وجدت تبريرًا تقدمه له كي يشفع لها عنده، لذا قررت أن تماطل قليلًا مانحة عقلها مزيدًا من الثواني الثمينة، قائلة:

ـ «لهذا السبب تعلمت تعويذة النسخ؟»

ـ «بالطبع»

ـ «وأستطيع أن أقول أنك قد شاهدت كل محاولاتي التالية لإلقاء التعويذة»

ـ «بالضبط»

تنهدت في تعب وعقلها ما زال يبحث بلا هوادة. أدرك (چيكا) أنها تتردد في إخباره بالحقيقة، وهو يقدر ذلك الأمر فيها فهو نفسه يخفي عنها الكثير. جال في خاطره أنها ربما تراه يتدخل في شئونها بشكل غير مبرر ومستفز، لذا قرر أن يبادر هو بأن يعترف بسره، عسى أن يشفع له ذلك عندها ويجعلها تثق به وتعترف له بالمثل. فقال بنبرة مترددة:

ـ «أنا كذلك أخفي عنكِ سرًا»

لمعت عيناها وقد أوشك هو على الاعتراف بسره، أدركت مغزى ما يحاول القيام به على الفور؛ فهو سيعترف لها بسره حتى تعترف له بسرها. لم تكن مستعدة بعد لمشاركته سرها؛ فخوفها أن يغضب منها ويتحول قلبه عليها كان أشد وطئًا من خوفها من ردة فعل (كريم) ومن معه تجاهها. ألحت على عقلها أن يجد مبررًا، ولو كاذبًا، تقدمه له حتى يصدقها ويطمئن إليها.؛ فأحيانًا يكون الكذب أفضل الحلول كي لا تخسر من تحب. فقالت متسائلة:

ـ «إلامَ تلمح؟ هل ترغب في أن نتبادل الأسرار؟»

ـ «ولم لا، ألستِ تبادليني الحب أيضًا؟»

أيقنت من صدق حدسها، لكن عقلها لم يجد بعد ما تريد. لذا قررت أن تشتري مزيدًا من الوقت، فقالت:

ـ «أنا موافقة، فلتخبرني بما تخفيه»

ـ «لدي أربعة معلمين خاصين في بيت (ست) يعلمونني كل شيء»

ـ «لم أسمع عن وجود معلمين من التاسوع في بيت (ست) قط»

ـ «هؤلاء ليسوا من التاسوع»

حملت عينيها تساؤلات جمة، فتابع موضحًا:

ـ «إنهم عبارة عن تماثيل»

ضحكت بصوت عالٍ، وقالت وسط ضحكاتها:

ـ «هل تمزح معي؟ تماثيل!؟ أتتوقع مني أن أصدق ذلك؟»

ـ «لو كان بيدي لأخذتك في التو وجعلتكِ تقابلينهم، لكن لا يمكنك دخول بيت (ست) مادمتي لستِ منه. لكن صدقيني إنهم تماثيل تتحدث وتتحرك. وهم أقوياء للغاية وقوتي حتى الآن نبعت من تعليماتهم وخبراتهم»

حاولت تصديق ما يقول رغم صعوبته، لكنها لم تجد مبررًا في أن يكذب عليها الآن. كذلك بدأت الأمور تصير أكثر منطقية حين تضعهم في الصورة؛ فبوجودهم يصبح الصعود القوي لـ(چيكا) واقعيًا للغاية. لم تقبل فكرة أنه يكذب عليها كما تحاول هي؛ فما الذي سيخسره إن أفضى لها بكل أسراره؟ إنه ليس الخائن في هذه المدرسة حتى لو كانت كنيته هي الخائن.

ـ «ها قد أخبرتكِ سري، ماذا عن سرك؟»

تلعثمت وبدت محصورة في ركن غير قادرة على الهرب منه. أصابها اليأس والإحباط وأوشك شعور بالاستسلام على التملك منها. أحيانًا في أشد الأوقات

ظلامًا يعمل عقلك بأفضل قدراته على الإطلاق. بغتة تدافعت أفكار متتابعة لمبرر لم تجد وقتًا لمناقشته في رأسها، فأخذت تدفع الكلمات دفعًا من عقلها نحو لسانها، لتقول بتدافع سريع:

ـ «أنت تعرف أنني من عائلة نصفها ساحر ونصفها عادي..»

ـ «أها»

ـ «وتعرف بالتأكيد أن هناك من يحاول دخول المدرسة والاطلاع على أسراها رغم رفض المدير (توت) لذلك»

ـ «تقصدين ذاك المدعو (كريم)، الذي حضر في أول أيامنا بالمدرسة؟»

ـ «أعنيه تمامًا»

ـ «ما علاقة ذلك بكِ؟»

أخذت نفسًا عميقًا، ولم تعرف بعد هل القصة التي لفقها عقلها لها ستكفي لإقناعه أم لا، لكن ما كان أمامها من اختيار آخر، فقررت أن تجازف وتستمر في كذبتها قائلة:

ـ «من المفترض أنني حين أخبر أي شخص بذلك، فأنا أخاطر بخسارة كل شيء، لكني لا أستطيع أن أخفي عليك الأمر أكثر من ذلك»

ـ «يبدو الوضع خطيراً»

ـ «هو كذلك. فذلك المدعو (كريم) ومن معه قاموا باختطاف أسرتي كاملة قبل أن أحضر إلى هنا»

ـ «ماذا!!!؟»

ـ «بعد ذلك قاموا بمساومتي كي يطلقوا سراحهم شريطة أن أساعدهم في أمر ما»

ـ «هل تلك التعويذة ما يريدونك أن تقومي به؟»

حين شاهدت لهفته ودهشته وغضبه جلية في ملامحه ونبرات صوته شعرت بأنها قد وجدت ضالتها بالفعل. تمنت لو كان عقلها رجلًا لقبلته الآن؛ فلقد أنقذها في آخر لحظة من خسارة كل شيء. تابعت حديثها بأريحية وعقلها يتولى دفة الحوار قائلة:

ـ «هي ليست مجرد تعويذة عادية؛ فالمدرسة موجودة في بُعد مختلف عن كوكب الأرض، ولدخول ذلك البُعد يجب أن تمتلك شيئين، الأول هو مفتاح ذلك العالم، وهو بكل أسف معهم»

ـ «المفتاح معهم؟»

ـ «نعم؛فهناك شخص ما في التاسوع يعمل معهم في الخفاء، لذلك لم أقدر على التفوه بأي كلمة للمدير (توت) خوفًا من أن يعرفوا ذلك، فيقتلون عائلتي»

ـ «يمكننا أن نخبر (توت) ونطلب منه ألا يخبر أحدًا قط من التاسوع»

شعرت برجفة قوية في جسدها حين سمعت كلماته، فإن أخبرا (توت) فسيتحرك (كريم) ضدها ولن تأمن عواقب ذلك. لم تكن بعد مستعدة لمجابهة انتقامه، خاصة أنها لا تعرف كامل قدراته، لم يكن أمامها سوى أن تقنع (چيكا) بالعدول عن هذه الفكرة، فاندفعت قائلة:

ـ «لا يمكن ذلك؛ فبمجرد أن نخبر (توت) أن هناك فردًا من التاسوع، خائنًا سيبدأ في إجراء تحقيق داخلي هناك، وهذا بلا ريب سيدق ناقوس الإنذار لديهم، فيربطون بيني وبين ما يحدث وحينها سيقتلون عائلتي»

صمت (چيكا) قليلًا وما تقوله صار منطقيًا للغاية. استطاعت أن تنقل خوفها وارتباكها وقلة حيلتها له، فلم يعرف بم يخبرها. شعرت (أسمايا)

بنجاحها في إقناعه بالعدول عن تلك الفكرة، لذا تابعت (أسمايا) سرد قصتها الملفقة محاولة دفعه لنسيان فكرة إخبار (توت)، قائلة:

ـ «أما المطلب الثاني، فحين تدخل العالم يجب أن تقدر على عبور الحاجز الواقي الذي يحيط بالمدرسة، وذلك الحاجز لا يمكنهم حتى الآن تجاوزه لذا طلبوا مني أن أقوم بنشر التعويذة التي تسمح بإضعافه طيلة فترة الدراسة وبعد نجاحهم في اختراق المدرسة سيطلقون سراح عائلتي»

كانت صادقة في جزء بسيط في تلك الكذبة الكبيرة؛ فما تفعله حقًا هو إضعاف الدرع في سبيل إتاحة الفرصة لـ(كريم) ومن معه لاجتياح المدرسة. أحيانًا يفيد جزء من الحقيقة في إضفاء الصدق اللازم للكذبة حتى يصدقها الجميع. بدا على (چيكا) الاقتناع تمامًا بما قالته لتوها، كان يشعر بغضب بالغ في داخله إزاء هذا المجرم (كريم)، فباختطاف أسرة من يحب أجبرها على خيانة المدرسة، هو يدرك أن تلك الجريمة لن يقدر على إنقاذها منها سوى باللجوء إلى (توت)، لكنها كما تخشى ربما يستجيب بما لا يتمناه ويعاقبها فورًا على جريمتها الضالعة فيها، قال وعقله يفكر في هذه الأزمة المخيفة التي وقعت (أسمايا) أسيرة لها:

ـ «ربما كان يكذب عليك يا (أسمايا)، لو كان قد اخترق التاسوع بالفعل، فلماذا يكلفك بمهمة إضعاف الحاجز بدلًا من تكليف الخائن بذلك؟»

باغتها سؤاله، لكن عقلها أسعفها سريعًا بإجابة تعتقد أنها حقيقية: «لأنني بالنسبة لهم مجرد وسيلة يا (چيكا). لو انكشف أمري لـ(توت) فلن أمثل لهم خسارة كبيرة».

ثم أطلقت العنان لبعض قطرات الدموع، وهي تقول بصوت مختنق: «لم يتركوا لي خيارًا غير مساعدتهم حتى النهاية. إما هذا وإما الموت لأهلي أو الدمار على يد الجريوم».

راقبت تأثير دمعتها على وجهه المنهك، لتجد يده تمسح الدمعة برقة وهو يقول لها بخفوت:

ـ «لا أعتقد أن مساعدتك لهم ستفيدك وتفيد أسرتك؛ فأغلب الظن أنهم ينتوون التضحية بكم حتى لو نجحوا. وإلا ستطال شكوك (توت) أي فرد من التاسوع وتهدد الخائن»

شعرت بمدى ذكائه الذي كانت تبخسه حق قدره، بلعت ريقها شاكرة لعقلها أنه كوّن كذبة قوية انطلت على عقل ذكي مثله، لقد استطاع في ثوان أن يعرف أكثر ما يخيفها، لم يكن جزء التضحية بأسرتها واقعيًا حتى تقلق بشأنه، لكنها قلقة للغاية على حياتها هي؛ ففي داخلها كانت تزداد يقينًا أن (كريم) سيقتلها فور إنهائها لدورها، واجتياحهم للمدرسة، وستمثل لهم الأضحية المناسبة للوذ من فكي (توت). قررت أن تستعين بعقل (چيكا) وتفكيره، عساه أن يجد لها حلًا ينجدها من تلك النهاية التعيسة التي ترى أنها لا تستحقها، فقالت بقلق حقيقي صادق:

ـ «فكرتُ في ذلك، لكن ماذا بيدي أن أفعل خلاف أن أتبع أوامرهم؟»

كان عقل (چيكا) يعمل بالفعل على إيجاد حل لتلك المشكلة التي تواجهها حبيبته. كان أقصر وأسهل الحلول هو أن ينقذوا أسرتها بأنفسهم، لذا قال متسائلًا:

ـ «ألم تحاولي البحث عن مكان احتجازهم لعائلتكِ؟ مؤكد أنهم في مكان ما في مصر»

أدهشها تركيزه المنصب على تفاصيل كذبتها. نعم هي اختلقت كل تلك الأمور الخاصة بأسرتها التي ترقد أسفل التراب منذ طفولتها، لكن يجب عليها أن تتمادى في تفاصيل أكثر إن أرادت أن تنفذ بكذبتها من رادار عقله، فأطلقت لعقلها العنان ليستعين ببعض من التفاصيل التي ذكرها (كريم)

أثناء حديثه معها حين أخبرها بالمهمة التي يريد منها القيام بها. ابتلعت ريقها، وتمنت أن تخرس إجابتها أي شك لدى (چيكا) إن كان لديه شيء مثله، فقالت في نبرة حزن مصطنعة:

- «لا جدوى من ذلك»

- «لماذا؟»

- «لأنهم أخبروني عن مكان احتجازهم لعائلتي»

- «إذن لنذهب وننقذهم»

- «لا يمكن ذلك»

- «سأخبر (توت) و(أماليا) و(دريقا)، الثلاثة قادرين على مساعدتنا لا ريب»

عاد مجددًا لذكر (توت)، وهذه المرة ألحق معه (آماليا) و(دريقا). «فليقل للمدرسة كلها إذن هذا المجنون!»، حدثت نفسها بغضب، ونفاد صبر من استعانته بنفس الفكرة التي ستدمرها فورًا، إن قامت بها. كانت الوحيدة المدركة لخطورة تلك الخطوة، فهي التي تعرف تفاصيل الحقيقة بالكامل. أجابته بنبرة حازمة:

- «أخبرتك أننا لا يمكن أن نفعل ذلك»

- «لماذا؟ لن نخبر أي شخص آخر»

- «الأمر ليس بمثل تلك السهولة»

- «أقدر خوفك كثيراً وقلقك، لكن صدقيني يجب أن تثقي فيَّ وفيهم»

نفد صبرها أخيراً، وقررت الاستعانة بآخر تفصيلة اهتدى لها عقلها، فاندفعت قائلة في ضيق واضح من إصراره:

- «الأمر ليس أزمة ثقة، أهلي محتجزون داخل عالم دوات»

ـ «عالم دوات!!»

تمتم (چيكا) بذهول، وهو يعرف أن (توت) نفسه لن يقدر على مساعدتهما في تلك النقطة؛ فذلك العالم هو المنطقة الوحيدة التي لا يعرف طريقة الوصول إليها أحد. أطرق رأسه مفكرًا في ضيق وحزن ويأس من قلة حيلته وعدم مقدرته على التحرك لمساعدة حبيبته. تابعت (أسمايا) محاولة إصباغ مزيد من المصداقية على كذبتها الثانية، قائلة في حزن مصطنع وضيق حقيقي:

ـ «نعم، وأنت تدرك جيدًا أن حتى المدير (توت) لا يقدر على الذهاب إلى هناك بعد»

كان قد أدرك تلك الحقيقة بالفعل، وبدأ عقله يفكر في مخرج آخر لها. لم يحتج للتفكير طويلًا، فقد بدأت خيوط خطة تتشكل داخل عقله رويدًا رويدًا. رفع رأسه وعلى وجهه أمارات فرح غريب لم تتفهمه (أسمايا)، ثم قال:

ـ «أنا لدي خطة، لكن كي تنجح يجب أن نفوز بكأس العالم للسحرة»

ـ «نحن لا نقدر على ضمان التأهل للمسابقة، فكيف تطمح إلى أن نفوز فيها؟»

ـ «لا تقلقي؛ فبوجود هؤلاء الخمسة معنا سنقدر على ذلك لا ريب»

تأففت من فكرة (چيكا) المباغتة المتضمنة فوزهم بكأس العالم للسحرة، هم يعانون في سبيل حجز مقعد في الفرق المشاركة باسم المدرسة في تلك المسابقة، فكيف سيفوزون بها!؟ ما فاتها هو مقصد (چيكا) من فوزهم بكأس العالم للسحرة. أما هي فلأنها كانت تكذب فلم يقدر عقلها على ربط المعلومات ببعضها، لذا قالت في ضيق:

ـ «أخبرتك أنهم ينتظرون أن يهاجموا المدرسة في نهاية الدراسة. من وجهة نظري سيهاجمون وقت إجراء كأس العالم للسحرة. فإن فشلت في مساعدتهم ستكون خطوة تأهلنا شبه المستحيلة لتمثيل المدرسة في المسابقة بدون فائدة؛ فهم سيعمدون إلى قتلي قبل أن نشارك في هذه المسابقة. كذلك ما فائدة أن نحاول كسب المسابقة من الأساس؟ وكيف سنكسبها ونحن بهذا الضعف الشديد؟»

ابتسم (چيكا) غير مكترث لكل ما قالته، كانت تفاصيل الخطة منسوجة بالفعل بإتقان داخل عقله، فابتسم وهو يقول:

ـ «أخبرتكِ أن لدي خطة، وصدقيني ستنجح»

لم تُعِر كلامه أدنى اهتمام حتى أخبرها بتفاصيل خطته. ما إن انتهى منها حتى تبدل الأمر تمامًا؛ فصارت واثقة تمام الثقة في تلك الخطة رغم خطورتها. شعرت بالامتنان لذكائه الفذ، حيث استطاع أن يجعل أشد خطر تواجهه من (كريم) ومن معه يتلاشى تمامًا أمامها. صار الآن أمامها بصيص أمل في نهاية النفق المظلم، ومهما كان الأمل باهتًا فستتمسك به بكل قوتها؛ فثمن فشلها في ذلك لا يقدر بمال، فحياتها هي الثمن.

⟦ الفصل الثاني ⟧

لم يتوقع (بهير) تلك الرسالة التي وجدها على مقربة من فراشه حينما استيقظ؛ فبعد تلك الأحداث الكثيرة والضغوطات بالغة الشدة كان جسده في حاجة ماسة إلى الراحة التي ذاقها بالأمس. نام طيلة اثنتي عشرة ساعة تقريبًا ليستيقظ ببعض من الصداع وقليل من الإرهاق وتلك الرسالة. حملت على ورقها الأبيض الخارجي شعار عائلته، فخمن أنها ربما رسالة عادية خاصة بعائلته تخبره بأحدث مستجداتهم كما هي العادة، لكنه ما إن فضها وأخرج تلك البردية البنية منها حتى تسمر مكانه. فلم تحمل الرسالة كلمات كثيرة بل كلمتين فقط: «اتصل بنا».

ظل قابعًا مكانه ممسكًا بالرسالة في دهشة؛ فذلك الخط هو خط والده لا ريب. هل وجد والده بعضًا من الوقت له كي يكتب له هذه الرسالة!؟ والده الذي يعرفه لا يكاد يعبأ به قط. لم يكن في حاجة لمزيد من التفكير؛ فعلى ما يبدو أن هناك شيء ما جلل يحدث، تحرك من مكانه وجذب مقعدًا في حجرته ثم جلس أمام المرآة. أظهر صولجانه، ثم تمتم:

- «زيتيجي»

تحولت المرآة أمامه إلى لوحة صافية من الماء سرعان ما بدأت دوائر صغيرة تظهر فوقها شبيهة بآثار هطول الماء فوقها. استمرت الدوائر في الانبعاث والتمدد والتكاثر حتى تحول السطح الأملس إلى طبقات من الدوائر البارزة. اختفت التموجات المتعددة لتظهر صور باهتة بدأت في الوضوح رويدًا رويدًا، حتى ظهر وجه والده ووالدته وملامحهما لم يشاهد مثلها من قبل.

- «هل أنت بخير (بهير)؟»

ـ «أنا بخير حال أبي»

بدا الوضع غريبًا للغاية؛ فلم يكن في عائلتهم مكان للحنان والعطف. قالت والدته:

ـ «لقد أخبرتنا المدرسة ببعض من التفاصيل عما حدث، لكن رغبنا في معرفة التفاصيل مباشرة منك»

تنهد (بهير)؛ فعلى ما يبدو أن ما حدث قد أثار قلقهم، لكن على ما يبدو أنهم لم يعرفوا كل شيء بعد، فلو عرفوا لصارت ملامحهم أكثر قلقًا مما يراه.

ـ «لقد كانت حادثة غريبة وخطيرة. لقد حاول أحد التاسوع قتلي وقتل فريقي»

ـ «إذن ما سمعناه كان صحيحًا»

ـ «الأمر جد خطير يا أمي، وتجرؤ واحد من التاسوع على إراقة دم ملكي يقلقني أنه قد يتكرر ثانيةً»

ساد صمت مطبق وعينا والدته مثبتتان فوقه، ثم قال والده بصوت يخلو من المزاح:

ـ «أنت تعرف جيدًا معنى ما تقول (بهير)»

ـ «أعرف.. لكن يجب أن تكونا أكثر حرصًا الآن؛ فالوضع لم ينتهِ بعد»

ـ «أي من العائلات النبيلة كانت معك في الفريق؟»

ـ «معي عائلة (مهالينا) وعائلة الأخوين (باقر) و(كريستي) وعائلة (أوتارا)»

ـ «سأقوم بالتواصل معهم إذن»

لم يشعر (بهير) طيلة هذا الوقت بالخطر نحو عائلته كما يشعر الآن. وجد أن مسؤولية ضخمة ملقاة على عاتقه، لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل فقال متسائلًا:

ـ «ماذا سنفعل يا أبي؟»

أجابه الصمت للحظات قبل أن تتموج المرآة ثانية لتختفي صورة أمه منها وتبقى ملامح والده الجامدة.

ـ «لم تخبرنا بكل شيء يا (بهير)، أليس كذلك؟»

ـ «حسنًا يا والدي. هناك حقيقة مؤكدة هي أن جبانًا مثل (سمهاري) لم يكن سيجرؤ على مثل هذه الفعلة إلا لو أمن شرها. وهو ما يعني أنه لو نجح في قتلنا فلم يكن ليتوقف عندنا»

كان يختار كلماته بدقة خشية أن يعرف والده ما يقصده دون أن ينتهك أمر الجريوم بكتمان الحقيقة.

ـ «أخبرنا الجريوم بالفعل بالمؤامرة يا (بهير). هذا الحقير اتفق مع عائلات كثيرة لشن هجوم شامل على أبناء عائلاتنا داخل وخارج المدرسة. لا تعرف والدتك كل التفاصيل حتى الآن وكنت أريد أن أتأكد من معرفتك بها»

أحس (بهير) بنوع من الاطمئنان لمعرفة والده بحجم المؤامرة. رغم إدراكه لخطورة الأمر وتبعاته الدموية.

ـ «لن نهرب من هذا التحدي السافر لنا. كل عائلة قامت بالتآمر ضدنا سيدفعون الثمن لاحقًا. لكن الآن يجب أن نحرص على سلامتك وسلامة أخوتك. سأحرص أن أرتب شيئًا ما مع العائلات الأخرى»

عادت المرآة للتموج لتظهر والدته مرة أخرى.

- «أخبرني (بهير)، هل هناك أي إصابة في فريقك؟»

فهم (بهير) إلام تشير والدته، فقال:

- «(چيكا) بخير، حقيقة، لولاه لما كنتُ هنا الآن»

- «لا أفهم؛ فلقد أخبرتنا المدرسة أنهم من قاموا بإنقاذكم»

ضحك (بهير) ضحكة عالية؛ فعلى ما يبدو أن المدرسة قد نسبت الفضل فيما حدث لهم. ثم قال:

- «لم ينقذنا أحد من المدرسة، في الواقع لو كانوا من قام بإنقاذنا لكان جسدي الآن معك تستعد لتحنيطه»

- «إذن (چيكا) ذاك الملعون قد قام بإنقاذك.. أمر مثير للاهتمام»

- «(چيكا) صار أكثر قوة بكثير عما قبل. لا أعرف ماذا يفعل، لكنه كان بقوة أحد التاسوع. بمفرده استطاع قتل سبعة طلبة من الصف العاشر وإنقاذنا جميعًا»

- «مؤكد أنه أُصيب إصابات بالغة»

- «لم يُصب بأي خدش، والدتي»

- «ولا خدش واحد حتى!!»

بدت أن أحداث الليلتين الماضيتين قد أثارا ذهول والديه. لم يستغرب ردة فعلهما، فهو ما زال مصعوقًا مما فعله (چيكا)، لكنه في داخله يشعر بكثير من الامتنان له.

- «إذن حتى إشعار آخر أطلب منك أن تقوم بمساعدته. لا حاجة لي لتذكيرك بمدى أهمية رد الجميل لشخص قد ساعدك، خاصةً حين ينقذ حياتك»

صمت (بهير) مترددًا من مطلب والده؛ فما يكنه لـ(چيكا) خليط من المشاعر المتضاربة، كان أبرزها نزاعه معه حول (أسمايا). إن حاول التقرب منه حقًا، ومساعدته كرد لجميله الذي قام به، لاضطر للتنازل عن (أسمايا) وخسارة تلك المعركة الطويلة. رغم رفضه بالغ الشدة لذلك إلا أن صوت العقل والحكمة داخله أخبراه بضرورة الانصياع لمطلب والده؛ فلم يكن من شيم النبلاء أن يردوا الجميل بالنكران. لم يكن ما قام به (چيكا) مجرد معروف عادي، بل كان لما فعله آثارٌ تمتد لتمس حياة أسرته وعائلات ملكية أخرى. لذا استسلم على مضض لرغبة والده، وقال في ضيق:

ـ «أعرف ذلك أبي، سأقوم بمساعدته قدر المستطاع»

أدرك والداه مقدار ضيقه وعدم رضاه لذلك الطلب، لكنهما أوعزا الأمر لكراهية انتمائه لبيت ست الخائن. لم يعرف والداه تفاصيل الصراع بين ابنهما و(چيكا) حول فتاة، لكن ما كان جليًا أمامهما أن كل شيء يختفي في مقابل صنيع (چيكا) العظيم لهم جميعًا؛ فبذلك يصبح انتماؤه لبيت ست نقطة سوداء صغيرة لا يمكن ملاحظتها في الصورة الكاملة. تابع والده ليؤكد على ولده أهمية وجوده إلى جوار (چيكا) حتى يُثمِّن أكثر دوره في مساعدته قائلًا:

ـ «لا تفكر في الأمر كرد للجميل فقط؛ فحتى نكون قادرين على دحر المؤامرة والانتقام ممن خطط لتلك المكيدة، عليك أن تعرف أن نجاتك في المدرسة من أي مؤامرة أخرى لن يحدث سوى بوجوده إلى جوارك»

ثم تغيرت نبرته تمامًا، وهو يقول بجدية مستعيدًا شخصيته التي اعتادها (بهير) طيلة حياته:

ـ «لتكن معه في أي أمر وتعاونه في أي شيء. عليك أن تجعله مدينًا لك كما أنت مدين له»

هز (بهير) رأسه متفهمًا، ثم اختفت الصورة من أمامه لتعود المرآة كما كانت. لم يقف هناك كثيرًا، بل قام بتغيير ملابسه، وخرج من غرفته. كان عقله مثقلًا بجدال عميق وحاد بين ما يطلبه قلبه من عدم التخلي عن (أسمايا)، وما يريده عقله في تنفيذ أوامر والديه بمساعدة (چيكا) وما يعنيه ذلك من تخليه عنها. كان بيت حياة (إيزيس) عبارة عن مبنى ضخم من الحجرات المتشابكة، تصل بينها طرقات طويلة متشعبة. ما إن خرج من الطرقة التي تصل إلى غرفته حتى وجد كافة أبناء بيته يقفون منخرطين في مناقشة أمر ما. جاء ظهوره ليجذب انتباههم جميعًا، ليسود صمت مريب في المكان. كانت الحجرة الواسعة جدًا والتي تتسع لكافة أبناء إيزيس مكتظة للغاية، فلم يقدر على رؤية اللوحات المختلفة المعلقة على حوائط الحجرة بنية اللون. اقترب من (بهير) ثلاثة طلبة في الصف العاشر وأعينهم تحمل تساؤلات جمة أيقن (بهير) أنها جميعًا متعلقة بما حدث.

ـ «هناك إشاعة منتشرة بالمدرسة يا (بهير)، هل سمعت بها؟»

تذكر (بهير) كلمات مديره، وضرورة الحفاظ على سرية الموضوع، فابتلع ريقه، وقال في هدوء:

ـ «لم أسمع شيئًا، (مروى)»

ـ «هذا غريب؛ فتلك الإشاعة تتحدث عن حادثة قتال بين فريقك وبين فريق من صفي. أتعرف ما الغريب في الأمر؟»

أجابها وعقله المرهق للغاية يحاول إيجاد طريقة للتملص منها، قائلًا:

ـ «ما الغريب فيه يا (مروى)؟»

ـ «أنك قد جئت متعبًا للغاية البارحة، وعلى ملابسك آثار عراك كبير. ما يثير الريبة أكثر هو خبر نقل السبعة طلاب من المدرسة. أكنت تعلم أن (لي لي)

كانت صديقة مقربة لي؟ غريب أنها لم تخبرني بخبر انتقالها من المدرسة من قبل»

لم يشعر (بهير) بقطرات العرق الصغيرة المتجمعة بكثافة على وجهه. كان في أسوأ وضع ممكن لنقاش جاد وخطير كهذا. استشعر (بهير) الخطر جليًا إن أخطأ في إجابته، لم يكن حقيقة مستعدًا لمثل هذا الاستجواب المباغت لذا قال بتردد، وعيناه تبحثان عن مخرج من هذا المأزق حوله:

ـ «هذا الأمر لا يعنيني»

ـ «إذن لم تسمع عن الشائعة المنتشرة وتخبرني الآن أن ذلك لا يعنيك.. هل تجد ذلك مقبولًا؟»

ـ «لا أعرف، (مروى)، لكني كنت مرهقًا من تدريبات فريقي لا أكثر. ربما سمعت بما حدث لكني لم أكترث بتفاصيله»

ـ «كيف لا تكترث وأنت في منتصف الإشاعة؟»

ـ «قلت لكِ لا أكترث!»

قبل أن تتسنى لها أن تخنقه أكثر بكلماتها، جاء ظهور (مهالينا) أمامه لتنقذه من هذا الفخ المحكم. تحرك في سرعة متجاوزًا (مروى)، مرتطمًا في كتفها بدون قصد، ثم سلم على (مهالينا) التي تفاجأت من تحرك (بهير) المباغت نحوها، قبل أن يقول لها في صوت خفيض:

ـ «لنتحرك من هنا بسرعة»

تحركت معه، وعيناها قد لاحظتا مدى اضطرابه البالغ. لم تكن في حاجة لسؤاله؛ فهي لم تتعافَ بعد من آثار ما حدث. تحركا مغادرين ردهة بيتهما وكافة الأعين تراقبهما بشك واتهام. لم تتسبب كلمات (بهير) سوى في زيادة كم الريبة داخل الجميع، لكنه لم يكترث بذلك؛ فعلى ما يبدو أن هناك من

يحاول إثارة المتاعب لهم مجددًا بنشر تلك الشائعة بين طلبة الصف العاشر. تحرك مع (مهالينا) خارجًا من البيت في حين قالت متسائلة:

ـ «هل عرفت أن (چيكا) يريد لقاءنا؟»

ـ «أنا كذلك أريد لقاءه؛ فهناك ما أريد قوله له»

ـ «أنا كذلك أرغب في الحديث معه»

لم يكن هناك مجال متسع للتخمين؛ فلابد أن هناك نقاشًا ما قد دار بينها وبين عائلتها وربما توصلوا إلى نفس القرار المنطقي الذي توصل له مع عائلته. تحركا في خطوات سريعة، في حين قالت (مهالينا):

ـ «لن نقابل (چيكا) في ساحة المجد»

ـ «ألم تقولي أنه يريد أن يقابلنا؟»

ـ «بالطبع، لكن (أسمايا) أخبرتني أننا سنتقابل في مكان مختلف، وقد أعطتني توجيهات هذا المكان»

ـ «لنتحرك إذن»

لم يعبأ (بهير) بالمكان الذي سيقابل فيه (چيكا)؛ فلا أهمية للمكان بقدر أهمية ما يريد أن يتحدث معه عنه. ولم يكن الوحيد الذي يشعر بذلك، ربما أربكها تسارع وتيرة الأحداث، لكن سيرها بجوار (بهير) منحها راحة وهدوءًا كانت تفتقده منذ الحادثة. شعرت بالطمأنينة وهي تسير إلى جواره متمنية أن يظل هكذا طيلة حياتها.

⟦ الفصل الثالث ⟧

أمضيا ليلتهما في هدوء رومانسي مستمتعين بالمنظر الجميل حولهما. شعرت (أسمايا) براحة كبيرة إزاء نجاحها في سبر أغوار (چيكا)، واجتياح أسوار قلبه والنجاح في السيطرة عليه. ضربت عصفورين بحجر واحد؛ فاكتسبت حبيبًا قويًا سيدافع عنها طيلة حياته، وكذلك وجدت حلًا مناسبًا لمشكلتها مع (كريم). رغم خطورة ما اقترحه عليها (چيكا)، والذي بنى خطته على إنقاذ والديها في نهاية المطاف، فلم تعبأ بذلك مدركة أنهما إن عاشا ليصلا إلى تلك النقطة، فسيكون مر كثير من الوقت ستقدر خلاله على إيجاد مخرج لهذه الكذبة. كانت يد (چيكا) تحيط بكتفي (أسمايا) لتقول ما يكنه داخله بأبلغ التعبيرات في الوجود.. الصمت. أوصلها (چيكا) لبيتها وأخبرها أن توصل رسالة للفريق كي يتقابلوا غدًا، لبدء خطته التي يؤمن كثيراً بنجاحها، ثم عاد لبيته ليجد التماثيل تهنئه على عودته سالمًا. لم يكن في حال تسمح له بالحديث حيث آثار الليلتين المكتظين بالأحداث قد ألقتا بثقليهما عليه لينقض على الفراش فاقدًا وعيه على الفور. في صباح اليوم التالي استيقظ بصعوبة وصداع صعب يضرب رأسه دون هوادة. لم يندهش من تلك الآلام المبرحة؛ فهو يعرف جيدًا مقدار العبء الذي تحمله جسده، لكنه لسبب ما كان يشعر بسعادة تدفعه للتحرك من هذا الفراش المغري بالراحة مغادرًا البيت في عجلة من أمره. لم يتحدث مع التماثيل حيث كان عقله يحمل داخله فكرة واحدة، عليه بالبدء في تنفيذ خطته. تحرك في سرعة وموعده مع (أسمايا) في منتصف النهار قد أوشك على النفاذ. سار بسرعة أشبه للركض، تجاوز تلك الطرق الملتوية سريعًا ليجد نفسه وجهًا لوجه إلى تلك الحديقة العملاقة التي أمضى فيها ليلته السابقة، لكن هذه المرة كانت الحديقة مختلفة. فلم تكن ممتلئة بالزهور السوداء، بل كانت حمراء بلون

الدم. توقف برهة ليحدق فيها بغرابة لكنه ابتلع ذلك داخله حين شاهد رفاقه الست يقفون وسط الحديقة بانتظاره.

ـ «نمتَ كثيرًا يا (چيكا)»

ـ «بالطبع، لقد كانتا ليلتين قاسيتين يا (مهالينا)»

ـ «معك حق، فأنا أيضًا بحاجة ماسة للراحة، لكن (أسمايا) أخبرتني كما أخبرت الجميع أنك تريدنا في أمر هام»

نظر (چيكا) لـ(أسمايا) التي كانت تواقة لمعرفة رد فعلهم على ما سيقول. لم يكن (چيكا) مجنونًا بشكل كاف كي يخبرهم بكافة الأسرار لولا ما مروا به حيث صارت العلاقة بينهم أقوى بكثير، وقد كان صادقًا في حدسه؛ فبعد تلك الليلة الدامية والصادمة تغير كل شيء، فصار الجميع ينظر لـ(چيكا) نظرة المنقذ والبطل الذي اكتسب احترامهم. قبل هذه الليلة كان الجميع يوجه له اتهامات لا علاقة له بها من قريب أو بعيد، لكنه وسط ذلك كله حمل هذا العبء منفردًا وتميز عنهم جميعًا حتى أنه استطاع أن ينقذ حياتهم، وتلك لم تكن بالهدية باهظة الثمن فحسب، بل كانت كتعويذة سحرية قامت بتحويل كل شيء في صالحه؛ فالعائلات الملكية الخاصة بهم أرسلت لهم تطلب منهم دعم (چيكا) المطلق، خاصة أنه لم ينقذ فقط أبناءهم، بل أنقذ رقابهم جميعًا؛ فتلك الحادثة قد أحدثت شرخًا عميقًا بين العائلات النبيلة لم يُر مثلها من قبل في التاريخ. أبعاد تلك الحادثة لم تكتمل آثارها بعد وإن حملت دلالة على أنها مجرد بداية عاصفة عظيمة ستفتك بالكثيرين. تجمعوا حوله واستمعوا لكلماته وهو يشرح بكل تفصيل أسراره وأسرار (أسمايا). بعدما انتهى كانت قلوبهم قد تحولت جذريًا لتصبح معه في أي شيء يريد، ولم لا وهو قد شاركهم أدق أسراره التي يخفيها بجوار قلبه.

ـ «ماذا تريد منا يا (چيكا)؟»

- «لدي خطة يا (باقر)، هذه الخطة لن أقدر على تنفيذها بمفردي»

- «أستطيع أن أقول بكل ثقة أنك تحظى الآن بدعمنا الكامل»

- «ولن أقول أننا ندعمك بمفردنا يا (چيكا)؛ فكافة عائلاتنا تقف إلى جانبك»

- «فما قمت به ليس مجرد إنقاذنا من الموت، لكنك قمت بإنقاذ كافة أفراد عائلاتنا من مذبحة كانت حاضرة بكل تفصيلاتها منتظرة ساعة الصفر التي أوقفتها بنفسك»

- «ما قمت به يا (چيكا) تسبب في إعصار عارم في عالمنا، إعصار لا نعرف حتى الآن أبعاده أو كافة آثاره، لكنه سيتسبب في تغيير عالمنا إلى الأبد»

- «شكرًا لكم جميعًا على كلماتكم، لكن ما أريده منكم ليس بالشيء الهين»

- «ماذا تريد (چيكا)؟»

وقف (بهير) صامتًا محدقًا نحو (چيكا) و(أسمايا) التي تقف إلى جواره. كان وقوفها بتلك الطريقة مرتكنة على كتفه دلالة واضحة على فوزه بقلبها وانتصاره عليه. تحددت هزيمته قبل أن يقابل (چيكا) ويشاهد (أسمايا) بكثير، حيث أُعلنت هزيمته فور قبوله طلب والديه. لم يكن قلبه قد تقبل هذا الواقع حتى الآن لينبض بقوة معمقًا من جراحه. بدا (چيكا) مترددًا في إخبارهم ما يريد، لكن (أسمايا) أمسكت بيده مشجعة إياه على الاستمرار في الحديث، فقال موجها حديثه للأربعة أمامه:

- «أريد أن أُنشيء تجمعًا سريًا مستقلًا عن المدرسة وعن تعاليمها»

- «تجمعًا سريًا!؟»

- «نعم، بهير؛ فما أريد أن أقوم به هو أن نؤسس نحن السبعة فريقًا خاصًا له تدريبات خاصة به وهدفًا محددًا»

ـ «وما هو الهدف، چيكا؟»

ـ «يجب أن نقوم بحماية عالمنا السحري من محاولات الغزو المستمرة من أعدائنا»

أيقنوا حينها مدى خطورة ما يقول؛ فهم مازالوا طلبة لم يقدروا على حماية نفسهم من هجوم طلبة آخرين، فماذا يفعلون أمام هجوم أشخاص بالغين؟ بدا الأمر جنونيًا للغاية، لكن (چيكا) بدا مصرًا على ما يقول، حيث استمر قائلًا:

ـ «سنطلق على مجموعتنا السرية لقب (العين السحرية)، تيمنًا باسم مدرستنا. العين السحرية تحمي عالمنا ولا تغفل عن أعدائنا. سنقوم بكافة تحركاتنا وتدريباتنا وخططنا بمنأى عن الجميع هنا، حتى (توت) و(دريقا) و(أماليا) لن يعرفوا قط أي شيء عما نقوم به»

ـ «يبدو أنك فكرتَ كثيرًا في الأمر، (چيكا)»

ـ «بالطبع، (أوتارا)؛ فما حدث منذ يومين لا ضامن لنا ألا يحدث مجددًا. ربما هنا وربما حين نذهب للمنافسة في كأس العالم للسحرة. خطتي مبنية على ضرورة الفوز بالكأس، ثم الذهاب إلى عالم دوات وإنقاذ والدي أسمايا»

رأت (أسمايا) أن الفرصة مواتية حتى تكتسب تعاطف الجميع معها، فتدخلت في الحوار قائلة بصوت حزين مصطنع:

ـ «أعرف أنكم لا علاقة لكم بحادثة اختطاف والديّ، لكن حتى بوجود (چيكا) إلى جواري لن نقدر على إنقاذهما. أنا في حاجة حقًا لمساعدتكم. هذه المساعدة قد تتسبب لكم بمشاكل جمة ومخاطر لا حدود لها، لكني أقسم أنكم كما وقفتم إلى جواري سأقف إلى جواركم في أي وقت دون أي شرط»

بدت من ملامحهم أنها نجحت في إقناعهم واستمالتهم إليها، وكانت محقة في ذلك. فقبل أن تتحدث كان الجميع مستعدًا لفعل أي شيء لمساعدة (چيكا)، حتى وإن كان الذهاب إلى الجحيم ذاته. هزوا رؤوسهم موافقين على كلمات (چيكا) و(أسمايا)، فقال (چيكا) معلقًا بامتنان بالغ:

ـ «كقائد لمجموعة العين أشكركم كثيرًا على دعمكم المطلق لي»

ثم أحنى رأسه في حركة تلقائية بدت غريبة عليه. بعدها اعتدل، ثم قال:

ـ «الآن علينا أن نختار مكان تدريباتنا السري»

ـ «لماذا لا نختار هنا؟»

ـ «هل تعنين الحديقة الواسعة المليئة بالزهور يا (مهالينا)؟؟»

ـ «بالطبع؛ فتلك الحديقة نادرًا ما يأتي أحد ليتفقدها. أعتقد أنهم قد نسوا أمرها»

ـ «فكرة جيدة، أنا أتفق مع (مهالينا)»

ـ «إذن ما دام هناك اتفاق عليها سنجعلها مركزًا لتدريباتنا. لكن متى سنتدرب؟»

ـ «بالتأكيد ليلًا أيها الذكي»

ضحك (چيكا)، ثم قال:

ـ «حسنًا يا (كريستي)، سنتدرب ليلًا. لكن هذا يعني أننا لن نستريح كثيرًا»

ـ «لا وقت للراحة يا (چيكا)؛ فأنت لم تسترح وقت ما كنا ننعم بالراحة ظانين خطأ أننا أكثر الطلبة تدربًا. حان وقت أن نلقي بالراحة جانبًا»

ـ «كلام رائع، (بهير)، لكن من سيتولى تدريبنا؟ (چيكا)؟ حتى مع قوتك الحالية نحن نحتاج لشخص ذي خبرات طويلة»

ـ «لقد فكرتُ في ذلك، لذا سيكون معلمنا هم التماثيل الأربعة في بيتي»

ـ «يبدو هذا منطقيًا، لكن أتمنى أن يوافقوا على ذلك»

ـ «لا تقلقي يا (مهالينا)؛ فأنا قادر على إقناعهم»

ـ «إذن، ماذا ستكون أولى أوامرنا يا (چيكا)؟»

ـ «أقوى وأخطر شيء في أي معركة هي المخابرات. كما قلت لكم العين السحرية لا تغفل عن الأعداء، وهذا يعني أنه يجب أن يكون لدينا طرقنا الخاصة للحصول على المعلومات. عليكم أن تعودوا إلى عائلاتكم وتطلبوا منهم أن يستغلوا كل طريقة لديهم لجمع المعلومات عن هؤلاء الذين حاولوا الإيقاع بنا؛ فنحن لا نعرف بعد من هم ولا قدراتهم ولا قوتهم؛ فلا يمكننا أن نحارب عدوًا مجهولًا هكذا»

ـ «هذا سهل؛ فعائلاتنا لها علاقات وطيدة بالخارج، لكن كم المعلومات الذي سيأتي يجب أن نقوم بتنسيقه وتنظيمه»

ـ «لماذا لا تتولين يا (مهالينا) تلك المهمة؟ ستكونين مسؤولة عن قسم المخابرات في العين»

ـ «سمعًا وطاعة، سيدي»

ابتسم الجميع وهم يرون ملامح مجموعتهم تتشكل أمام عينهم. كانت (مهالينا) تنفذ تعليمات والديها من جهة، وتريد أن تساعد (چيكا) لجميله العظيم عليها من جهة أخرى. لم يتوقف جميله على إنقاذه لحياتها وحياة عائلتها فحسب، بل باكتسابه قلب (أسمايا) بتلك الطريقة الجلية للجميع سيستسلم (بهير) للواقع، ويتخلى عن (أسمايا)، وهنا سيحين دورها لتنتهز الفرصة وتنقض على قلبه وتملكه. كانت تلك الأمنية بمفردها كفيلة لجعلها مدينة له طيلة عمرها.

ـ «ماذا عن المكان هنا؟»

ـ «ماذا تقصد، (كريستي)؟»

ـ «أعني إن كانت (مهالينا) ستتولى مهمة تجميع المعلومات من الخارج فلابد أن يقوم شخص آخر بملاحظة الجميع بالداخل؛ فلا يجب أن ننسى أن أعداءنا اخترقوا التاسوع بالفعل، ولديهم على الأقل فرد واحد خائن بينهم»

ـ «أنت تقصد أن نراقب الجميع»

ـ «بالضبط، نراقب الجميع ونكتب تقارير خاصة عمن عليه شكوك؛ فنحن قد تخلصنا من خطر (سمهاري)، لكن لا ننسى أن هناك فرقًا كثيرةً قد تتحرك ضدنا في أي فرصة يجدونها، لذلك لماذا لا يكون لدينا عين على الجميع هنا؟»

ـ «معك حق، جهاز مخابرات داخلي، يعجبني ذلك. لماذا لا تتولى إذن تلك المهمة، (كريستي)؟»

ـ «لا مانع لدي»

ـ «حُسِم الأمر إذن»

ـ «هل يمكنني أن أطلب مساعدة أي شخص من هنا؟»

ـ «بالتأكيد؛ فنحن في نفس القارب، (كريستي)»

ـ «جيد، سأختار أخي إذن»

ـ «وهل يمكنني أنا أيضًا الاختيار؟»

أعجبها ما فعله (كريستي)، وقررت أن تقوم بالشيء نفسه مع (بهير). فلا يكفيها أن يكونا رفيقين في فريق واحد، فلو انضم لها في مهمتها الخاصة بمجموعتهم السرية الوليدة فستقدر على توطيد علاقتها به والاقتراب بشكل قوي لقلبه.

ـ «يمكنكِ ذلك يا (مهالينا)»

ـ «رائع، سأختار (بهير) إذن»

نظر (بهير) لها نظرة خاوية؛ فمازالت صدمته إزاء خسارته (أسمايا) تعميه عن أي شيء آخر. لم تكترث (مهالينا) بتلك النظرة ولا ذلك الحزن البادي عليه؛ فهي تعرف أنها الرابحة في نهاية المطاف. تساءلت (أوتارا):

ـ «ماذا سأفعل إذن؟ هل سأتدرب فقط؟ أريد أن أتولى شيئًا ما هنا»

ضحك (چيكا) من نبرة (أوتارا) التي بدت مغتاظة مما يحدث حولها، فابتسم لها وهو يقول:

ـ «يمكنكِ أن تختاري دورك بنفسك يا (أوتارا)»

صمتت (أوتارا) مفكرة قليلًا في الدور الذي ترغب في لعبه بالمجموعة. اهتدى تفكيرها إلى مكان مميز يناسبها، فقالت مفصحة عما تفكر فيه بصوت عال وابتسامة واسعة:

ـ «سأتولى إذن مهمة تقييم مستوى تدريباتنا ونمو قوتنا؛ فلابد أن يكون هناك من يراقب سير التدريبات ويقيّم مدى تطورنا في ذلك»

ـ «فكرة سديدة، ستتولين أنتِ إذن مهمة مراقبتنا وتقييمنا وتوجيهنا»

ـ «أنا مستعدة، سيدي»

ـ «ماذا ستفعل (أسمايا) إذن؟»

نظر (چيكا) نحو (بهير). كان (چيكا) يدرك أنه فاز عليه في معركتهما الصغيرة، لذا كان متفهمًا لمشاعر (بهير) المضطربة. ابتسم (چيكا) وأجابه بهدوء قائلًا:

- «ستتولى (أسمايا) مهمة نائبة قائد العين؛ ففي أي حال كنت فيه غائبًا ستتولى هي مهمة قيادة المجموعة»

نظر (بهير) لـ(أسمايا) بحزن لم تنتبه له؛ فعقلها كان يرقص فرحة بما حققته. لقد كان اختيارها منذ البداية صائبًا، والآن صارت لها سيطرة مطلقة على (چيكا)، وبالتالي على فريقهم المكون من أبناء الدم الملكي. فتاة لم تكن تملك قدرات سحرية هائلة وابنة لأسرة منسية في العالم السحري صارت في غضون شهور تسيطر على أسر سحرية ملكية. كان حلمًا لم تكن لتتمناه في أشط أمانيها جنونًا. تدخل (باقر) في الحوار قائلًا:

- «هل يمكن أن نبدأ تدريباتنا الآن؟»

- «الآن!! هل أنت مجنون!! ما زلنا نشعر بالتعب والإرهاق»

- «لا يبدو أن ذلك سيكون مبررًا كفيلًا بحمايتنا من أي محاولات لقتلنا»

- «أنت محق يا (باقر)، لنبدأ التدريبات الآن. هذه المرة لن نركز على تنمية عضلات ساقينا بالركض، بل سنركز على عنصرين مهمين: السباحة والضغط. هيا سنبدأ بأداء ألفي حركة ضغط في غضون ساعتين»

- «هل تمزح (چيكا)؟ من يقدر على أداء ذلك!؟»

- «أنا أقدر»

لم يعد هناك المزيد ليُقال، تحركوا جميعهم على الأرض ليقوموا بأداء التدريبات الجديدة، أما (أوتارا) فتابعت في تدريباتها ما يقوم به زملاؤها عن كثب؛ فمنذ تلك اللحظة بدأت مجموعة العين السرية في التشكل. لم تكن التدريبات التي يطلبها منهم (چيكا) سهلة عليهم، لكن كل منهم تذكر ما قالته أسرته له من ضرورة أخذ الحيطة والحذر فمن الممكن أن يتعرضوا

لمثل تلك الحادثة في أي وقت. كذلك رأوا في (چيكا) نموذجًا مثاليًا يجب عليهم أن يحذوا حذوه حتى يقدروا على أن يتطوروا كما تطور.

⟦ الفصل الرابع ⟧

لم ينتهِ يومهم بتلك السهولة؛ حيث ما إن انتهوا من تدريباتهم العضلية حتى ذهبوا لأداء تدريب السباحة في بحيرتهم السحرية الخاصة عند هطول الظلام. بعد انتهائهم من تلك التدريبات القاسية لم يكن هناك مجال لأي شيء سوى الراحة. أمضى كل منهم ليلته في بيته نائمًا براحة وهدوء وسكينة افتقدوها كثيرًا. كانت ليلة مميزة لـ(أسمايا) و(مهالينا)؛ حيث حصلت كل منهما على مرادهما من الرجال. نامت (أسمايا) مانحةً عقلها إجازة يستحقها عن جدارة؛ فلا حاجة له للعمل هذه الليلة للتفكير في أي مأزق؛ فلقد ثبتت دعائم مركزها بالمدرسة ووضعت أسس خطة ستمنحها حصانة من خطورة (كريم) ومهامه. على النقيض بدأ عقل (مهالينا) في العمل بقوة محاولة التفكير في كيفية مساعدة (بهير) على نسيان ألم (أسمايا) وتجعله يقع في حبها. أما (بهير) فقد انزوى ينعى حظه ويحاول تجاوز ذلك الجرح الذي يدرك أنه مهما مر من سنون، فلن يقدر على نسيانه. حينما استفاق (چيكا) من غيبوبته وجد التماثيل تقف محدقة نحوه بنظرة حملت إعجابًا غريبًا عليهم.

- «هل تعرف أنك جريء، (چيكا)؟»

- «لم نعرف أن بيت (ست) سيكون فيه شخص مثير للاهتمام مثلك»

- «مجموعة سرية خاصة داخل جدران المدرسة!؟»

- «ونحن معلموها؟ هذا شيء رائع، (چيكا)»

ابتسم (چيكا) والنعاس لا يريد أن يفارقه، نهض من مكانه بصعوبة وقال:

- «أنا سعيد أنكم مسرورون لما قمتُ به، وموافقون على تدريبكم لنا، لكن هذه ليست لعبة ونحن نحاول أن نقوم بشيء كبير هنا»

- «نحن لا نراه لعبة، (چيكا)»

- «فنحن مستثارون بأهمية ذلك الموضوع»

- «فما تقوم به سيُخلد حقًا في التاريخ»

- «اذهب وتابع تدريباتك وسنخبرك يوميًا بما عليك القيام به»

- «لكن عليك الحذر، لا مكان للثقة في أي شخص خارج مجموعتك مهما كان، (چيكا)»

اكتفى (چيكا) بالابتسام؛ فحتى الآن مازال يؤمن أنهم يرون الأمر لعبة مسلية لهم، لكنه يؤمن بمدى خطورة ما يقومون به، إن نجح الأمر فهو لن يقدر فقط على إنقاذ عائلة (أسمايا)، بل ربما سيتمكن من مساعدة (توت) في حماية العالم السحري المصري من الغزو. مازال (توت) هو الحلقة المفقودة في خطته، وهي خطوة في غاية الخطورة وتوقيتها يُعتبر دقيقا للغاية؛ فلو أخطأ في اختيار التوقيت المناسب ستذهب مجهوداته ومجهوداتهم أدراج الرياح. تحرك (چيكا) مغادرًا البيت؛ فأمامه مواجهة خطيرة يجب أن يخرج منها بسلام؛ فربما يفوت أي شيء على الجميع لكن ليس على (أماليا) و(دريقا). فلم ينسَ بعد كيف اكتشفا سره قبل أي شخص آخر في المدرسة.

وصل إلى ساحة المجد ليجد الجميع كالعادة مجتمعًا في انتظاره. لم يكن طيلة حياته متأخرًا قط على نقيض ما يحدث معه على أرض هذه المدرسة. لا يعرف هل هي لعنة أصابته أم ماذا! لكنه لم يجد حلًا بعد لتلك السلبية الجديدة فيه. ما إن وصل إليهم حتى، قالت (أماليا) بنبرة قوية جادة:

ـ «قبل أن نبدأ في تدريباتنا، يجب أن أعترف لك، (چيكا).. لقد فاجأتني، بُني»

ثم احتضنته في حركة مفاجئة للجميع. شعر بالدفء والحنان قادمًا منها بصدق؛ فهي حقًا تشعر بالامتنان نحوه.

ـ «لولا وجودك هناك وقوتك المباغتة التي أظهرتها لما استطعنا أن نتجمع مجددًا الآن. شكرًا لك، (چيكا)»

ـ «العفو، أمي»

بدت نبرته متفاجئة جدًا من كلماتها وما قامت به، لكن (دريقا) احتضنته هي الأخرى، وشكرته مثلما فعلت (أماليا). كان يخشى أن يتعرض لاستجواب مستفيض منهما، لذا باغته ردة فعلهما التي كان سعيدًا بها. ما خفي على (چيكا) أن الاثنتين جلستا كثيراً تتناقشان في كيفية التعامل معه بعد هذا الموقف. كانتا ترغبان في معرفة كافة تفاصيل حصوله على تلك القوة المفرطة في غضون ساعات، لكن لعلم (آماليا) بوجود التماثيل في حياته أدركت أن الضغط عليه لن يفيدهما؛ فمؤكد أن لهم ضلوع قوي في تلك الطفرة العظيمة في قوته. كانت توقن أنه استعان بإرث خاص ببيت (ست)، ولن تقدرا على فعل الشيء نفسه مع البقية. كانت رغبتهما في معرفة التفاصيل كي يستفيدا منها في تطوير تدريباتهما للفريق. لذا أقنعت (دريقا) بضرورة تجاهل تلك النقطة والتركيز على مساعدته على التطور أكثر. صفق الجميع له كما لو كان هذا هو تجمعهم الأول لهم. كانت تلك هي تعليمات (كريستي) حتى لا يثيروا الشبهات في نفوس معلمتيهم. وقفت (دريقا) إلى جوار (أماليا)، وأخرجت مفتاح حياة، ومنحته لـ(چيكا)، وهي تقول:

ـ «لنعرف ما هي قوتك الآن»

بعدما فعّل (چيكا) التعويذة تسمر الجميع مكانه مذهولًا. اقتربت (أماليا) لتتحقق من صدق ما نقلته عينيها لعقلها، لتتمتم في انبهار:

ـ «ساحر جيد.. هالة زرقاء.. هذه سابقة في تاريخ المدرسة»

ابتسم (چيكا) وهو يدرك أنه لم يكن ليصل إلى هذا دون مساعدة معلميه الأربعة. لكنه لم يخبرهما بذلك، فاكتفى بالصمت، وتصنع الصدمة مما يسمع، غير مدرك أن معلمتيه قد خمنتا تلك الفرضية من قبل. تمتمت (دريقا):

ـ «بوجودك في الفريق وإن استطاع الفريق أن يصل إلى مرتبة الساحر المبتدئ فسنقدر دون ريب أن نتأهل في المسابقة. فلا يمكن لأحد إيقافنا»

ـ «لكن، ماذا لو حدث نفس الأمر مجددًا؟»

أدركت (أماليا) و(دريقا) ما تشير إليه (مهالينا)، فقالت (أماليا) مطمئنة إياها:

ـ «لا تخافي؛ فالمدير بنفسه يراقبنا عن كثب، كذلك من يجرؤ على المخاطرة بالهجوم على فريق يحتوي على ساحر جيد؟ لا تقلقي لن يقدر أحد على تكرار ذلك مجددًا»

أدركوا ما كانت تلمح له (آماليا)؛ فحالما ينتهون من تلك الحصة التدريبية سيقوم (كريستي) ومعه (باقر) في نشر معلومة وصول (چيكا) لمرتبة الساحر الجيد بين جميع الطلبة بالمدرسة؛ فسلاح الخوف دائمًا ما كان أقوى سلاح في أي معركة.

ـ «الآن سنواصل تدريباتنا، يجب أن نصل إلى مرتبة الساحر المبتدئ بحلول الأسبوع القادم.. هيا»

كانت أجسادهم تئن إجهادًا وتعبًا من تدريبات الأمس، لكنهم لم يتذمروا، وانطلقوا في التدريبات دون توقف. كانوا يدركون أن ذلك لن يكون سوى تدريب إحمائي بسيط قبل أن يبدؤوا تدريباتهم الجدية ليلًا. ما إن لانت عضلاتهم واستجابت لأوامرهم حتى صارت أجسادهم أكثر خفة ومرونة. استطاعوا إنهاء الركض قبل الوقت المحدد بكثير. اندهش المراقبون لهم سواء من مدربتيهم أو من أفراد التاسوع المحيطين بهم، لكن أوعزوا الأمر لتلك الحادثة، حيث أنهم قد تطوروا كثيرًا بسببها. بعد انتهاء الحصة التدريبية معهما تصنعوا الرحيل كالمعتاد في اتجاهين مختلفين، لكن في الحقيقة كانوا يتجهون جميعًا صوب مكان واحد. كانت تعليمات (كريستي) و(باقر) واضحة، «لا تدفعوا أحدا للشك فيكم»، فاتبعوا التعليمات وقاموا بروتينهم المعتاد، حيث يتصنع (چيكا) عدم الاكتراث لـ(أسمايا)، في حين يستمتع (بهير) بصحبتها حتى لو كانت مصطنعة. كانت هذه الطريقة تخيف (مهالينا) كثيرًا، فربما تجعل (بهير) متعلقًا لفترة أطول بحبال (أسمايا) البالية، لذا قررت أن تظل دومًا لصيقة لهما، تنصت لما يتحدثان بشأنه. بعد برهة خبا روعها حين اكتشفت أنهما تقريبًا لا يتحدثان؛ فـ(بهير) كان يحاول تجنب النظر إليها والحديث معها، حيث تحول حزنه إلى غضب وجرحه إلى ندبة. أما (أسمايا) فكان عقلها وقلبها متعلقين بـ(چيكا) فقط؛ فقد فقدت الشغف تجاه (بهير). مثّل لها (بهير) هدفًا قد انتهت منه ولا حاجة لها لاستخدامه مجددًا، لذا تعاملت معه بجفاء وتجاهل غير مكترثة لما قد تلاحظه (آماليا) و(دريقا). تخلف الأخوان عن اللحاق بهم، حيث بدأا في نشر المعلومة بين الجميع. أما البقية فتابعوا تدريباتهم القاسية دون توقف. حينما عادا التحقا بهم في التدريبات، كانوا فرقة مكونة من سبعة أشخاص لكن بقلب رجل واحد، تحركوا كظل واحد بتدريباتهم كما لو كانت حركاتهم منسقة قبلًا. كان جدولهم اليومي مكتظًا طيلة الوقت مع مساحة ضيقة للراحة والاستجمام. استغلت (مهالينا) ما وكلت به من مهام لتجلس كثيرًا

تتباحث مع (بهير)، لم تناقشه مليًا في كل تفصيلة تصلها من عائلتها إلا رغبة في إطالة مدة مكوثه إلى جوارها والحديث معها. حاولت بتلك الطريقة إشغاله عما يعتمل داخل قلبه وقد نجحت في ذلك نجاحًا هائلًا، فصار (بهير) لا يفكر في (أسمايا) وما اقترفته تجاهه إلا حين يراها. بدا ذلك واضحًا على ملامحه حيث بدأ يبتسم حين يراها مقبلة نحوه بعد أيام من المقابلات التي حملت طابعًا عمليًا ظاهريًا. كان ذلك النجاح معه يرضيها ويشبع رغبتها ويحمسها على التحرك بشكل أقوى تجاهه. في نهاية الأسبوع كانت نتيجة تدريباتهم القاسية أكثر من رائعة، كذلك كانت نتيجتها مع (بهير).

- «مبارك عليكم جميعًا وصولكم لمرتبة الساحر المبتدئ»

بهذه العبارة التي خرجت من (أماليا)، مصحوبة بتصفيق حار منها ومن (دريقا) انتهى شق صعب من التدريبات الجسدية في حياتهم، لتبدأ فصول أخرى من التدريبات المتخصصة، فحتى وإن وصلوا إلى هدفهم فما زال أمامهم الكثير ليحققوه.

⟦ الفصل الخامس ⟧

وسط هذه المساحة المتسعة من الساحة الفارغة من أي شخص عداهم ترددت أصوات تهنئة (أماليا) و(دريقا) لهم مصحوبة بتصفيق حاد منهما. لقد ناضلوا كثيرا من أجل هذه اللحظة الثمينة وها هي قد أتت. على الرغم من نجاح فريقها أخيراً في الوصول لهذه المرحلة الصعبة إلا أنها كانت تدرك جيدا أن هذا ليس إلا بداية كل شيء.

ـ «أعرف أننا جميعًا سعداء بهذا الإنجاز، لكن يجب ألا نقف عند هذا الحد؛ فما زال الطريق أمامنا طويلًا»

ـ «لنترك لهم مجالًا للاحتفال، (أماليا)؛ فلم نصل إلى هذه المرحلة بسهولة»

ـ «أعرف، لكن هناك بالفعل عشرات من الفرق تسبقنا بأميال وعلينا أن نتيقن من جعل فريقنا في السبعة المختارين في النهاية»

لم تجادلها (دريقا)؛ فهي تعرف جيدًا ما تعنيه. أما السبعة أمامها كانوا متفهمين لما قالته؛ فبعد تجربتهم المريرة السابقة أيقنوا أن مستواهم مازال بعيدًا للغاية عن كثير من فرق الصفوف العليا. لم يقف شعورهم ذلك مانعًا أمامهم في شعورهم بالسعادة من إنجازهم الذي ضحوا كثيراً للحصول عليه؛ فقد عاشوا أسبوعًا ثريًا بالتدريبات مضنيًا في الراحة. لم يكن لديهم أدنى غضاضة من مزيد من التدريبات، خاصة حينما وصلوا إلى هذه المرحلة. تولت (أماليا) دفة النقاش قائلة:

ـ «كما تدركون سلفًا فإن وصولكم لهذه المرحلة تعني مقدرتكم على أداء تعاويذ الرعمويات. لكن أود أن أحذركم إنها ليست بتلك السهولة مقارنة

بالتعاويذ والوصفات العادية. لكن أهم شيء هو حصولكم على سلاحكم الخاص للقتال»

ـ «أظن أن علينا الذهاب إلى الحداد»

ـ «بالفعل، لكن الحدادين لدينا مشغولون عادةً، لذلك سأقوم بالحجز لدى أحد أهم الحدادين بالمدرسة. أعتقد أنه يمكنكم زيارته في أسبوع من الآن»

ـ «لكن كيف سنختار سلاحنا؟»

ـ «سؤال مهم، (باقر)، الاختيار ليس مهمة سهلة. لكن نصيحتي أن تثقوا في قلوبكم وحدسكم»

ـ «هل هذا كل شيء؟»

ـ «بلى؛ فاختياركم للسلاح الأنسب نابع من داخلكم؛ فداخل كل منكم شعور خاص نحو مختلف الأسلحة لكنكم تفضلون نوعًا معينًا. هذا الشعور بالأفضلية ثقوا به وستختارون سلاحكم الأنسب حينها»

بدا على (چيكا) الارتباك، حيث كان الوحيد الذي يمتلك سلاحًا بالفعل، فقال في حيرة:

ـ «لكن هذا لم يحدث معي، (أماليا)»

كانت متفهمة لحيرة وارتباك (چيكا) الواضحين عليه. لذا شرحت له الموقف محاولة إزالة اللبس الذي يعتريه قائلة:

ـ «حالتك مختلفة، (چيكا)، فأنت قد استلمت سلاحًا خاصًا ببيتك. بخلاف الأسلحة التي نصنعها؛ فهذا السلاح متوارث منذ قديم الزمن. لهذا فسلاحك يختلف بقوته الخاصة»

ـ «إذن لن أذهب للحداد معكم»

- «بل ستذهب»

- «ألم أحصل على سلاحي الخاص؟»

تنهدت في صبر؛ فهذا الفتى أحيانًا يُبدي غباءً لا تعلم مصدره. قالت محاولة شرح ما قالته بعبارات أخرى عساه يدرك مغزاها قائلة:

- «لا؛ فما حصلتَ عليه هو هدية من بيتك، لكن سلاحك الخاص شيء مختلف. ربما لن تصل قوته إلى قوة سلاح بيتك لكن بحصولك عليه ستقدر على تنمية قدراتك أكثر وأكثر»

لم يبدُ على (چيكا) الفهم التام لما قالته، لكنه لم يكن راغبًا في نقاشها حول تلك النقطة أكثر من ذلك. شعرت (أماليا) بعدم استيعابه لما قالته، لكنها حاولت أن تبرر له ذلك بجهله العظيم بعالمهم السحري. رغم ذلك فإن هذا الشاب الصغير مر بتجارب مميزة فريدة لم تعرف شخصًا غيره قد مر بها؛ فلم تسمع عن وجود شخص يحظى بسلاحين في العالم السحري من قبل. هذا لم يمنعها من افتراض إمكانية حصول (چيكا) على سلاح جديد؛ فلو صدق حدسها فإن (چيكا) سيتمكن من زيادة قوته بشكل ملحوظ.

- «أما عن تدريبكم، ففي الفترة المقبلة عليكم أن تتقنوا تعاويذَ خمس ووصفاتٍ خمس قبل بدء المنافسات»

- «يبدو أمرًا سهلًا»

- «لا تكوني واثقة هكذا، (مهالينا)؛ فالوصفات والتعاويذ الرعموية في غاية الصعوبة. لكني أثق في مقدرتكم على تعلمها في هذه الفترة البسيطة»

- «هل سنقدر على التأهل بتلك التعاويذ والوصفات القليلة؟»

- «لن أدّعي أن انتصارنا بهم فقط مضمونًا مئة بالمئة، (بهير)، لكن تعلمكم لكل ذلك في هذه الفترة البسيطة يعتبر إنجازًا في حد ذاته؛ فالتعاويذ

والوصفات الرعموية أصعب كثيراً من مثيلتها العادية. اخترت تعاويذ ووصفات ستساعدكم كثيراً في مسيرتكم بالمنافسة. لم أنتقِ كل منهم جزافًا بل درست جيدًا قدرات كل فريق موجود في المنافسة حتى يكون لديكم خيارات متعددة حين تقابلون أيًا منهم»

ـ «يبدو أنكِ قد فكرتِ كثيراً في ذلك»

ـ «بالتأكيد يا (أسمايا)؛ فإن لم نعمل بنفس الجهد الذي تبذلونه في تدريباتكم فلن نقدر جميعًا على النجاح»

ـ «هذا مطمئن»

صمتت (أماليا)، ثم أفسحت المجال لـ(دريقا) كي تشرح الوصفات التي اتفقت عليها مع (أماليا)، بعدما انتهت قامت (أماليا) بدورها بشرح التعاويذ. بعد انتهائهما من ذلك وصلت حصتهم التدريبية لنهايتها، فتحركت المعلمتان مغادرتان المكان، في الوقت الذي كان لـ(چيكا) رأي آخر.

⟦ الفصل السادس ⟧

انتهت حصتهم التدريبية مع (دريقا) و(أماليا) اللتان قامتا بتوضيح نمط تدريباتهم فيما بعد. كانت الأيام القليلة التي تفصلهم عن منافسات المدرسة جعلت المعلمتان تركزان على تدريبات التعاويذ والوصفات الخاص بالرعموات. لكن لـ(چيكا) رأي آخر؛ فكما أخبرته التماثيل نقل تعليماتهم إلى الأشخاص الستة أمامه. حيث وقفوا كعادتهم في حقل تدريباتهم السري مستمعين إلى (چيكا) بإنصات بالغ.

ـ «كما تعرفون فإن (دريقا) و(أماليا) ستقومان بتعليمنا طريقة استخدام التعاويذ والوصفات الرعموية، وهما تهدفان إلى تلقيننا خمس تعاويذ في نهاية المطاف وخمس وصفات. لكن ما يريده التماثيل منا أن نتعلم كل يوم وصفة وتعويذة»

ـ «كل يوم وصفة وتعويذة!!»

ـ «نعم يا (بهير)؛ فالوقت ضيق حتى مسابقة المدرسة، لكن الأكثر ضيقًا هو الوقت الذي يفصلنا على منافسات كأس العالم للسحرة»

ـ «ألا تعتقد أننا يجب أن نركز على المنافسات المقبلة ونضمن مكانًا في البداية؟»

ـ «لا يا (مهالينا)؛ فبعد تلك المنافسات سيكون أمامنا جدول مشحون من أجل تنفيذ خطتنا القادمة»

ـ «ما المطلوب منا إذن يا (چيكا)؟»

- «التدريب على التعاويذ والوصفات التي سأنقلها لكم يوميًا من التماثيل، لا تركنوا إلى وصولكم لمرتبة الساحر المبتدئ؛ فعليكم أن تلحقوا بي»

- «لكن هذا صعب جدًا؛ فمجرد وصولنا لتلك المرحلة استغرق منا قرابة شهر ونصف»

- «أعلم، لكن يجب ألا تنسوا أنني لم أكتسب قوتي من مجرد التدريب»

أدركوا ما يريد قوله؛ فتلك الوصفة التي استخدمها قد جعلته يصل إلى قوته تلك بسهولة.

- «لذلك سيكون أولى المهام المطلوبة منا هو تعلم تلك الوصفة رغم صعوبتها. لكن كما أخبرتني التماثيل فالصعوبة ليست في إعدادها بل كذلك في الوقت المطلوب لها كي تكتمل»

- «كم من الوقت تقريبًا، (چيكا)؟»

- «قرابة أسبوعين، (أسمايا)، وفي خلالها يجب أداء بعض الأمور»

- «تبدو وصفة صعبة حقًا»

- «لذلك ستتولين مهمة صنعها؛ فنحن نريد أن يحصل كل منكم على وصفة في نهاية المطاف»

بدت مهمة صعبة عليها، لكن عائلتها كانت مميزة في الوصفات، ومن ثم لم يكن غريبًا على (چيكا) أن يوكل لها مثل تلك المهمة. لم تؤمن بمقدرتها على إنهائها بنجاح في الوقت الذي حدده؛ فهي لم تتدرب على صنع الوصفات بشكل يسمح لها بصنع وصفة متقدمة بهذا الشكل، لكن عليها أن تحاول على الأقل حتى تبدو أمام الجميع بصورة المجتهدة والمؤمنة بأهداف الفريق. عليها أن تجعل نفسها نموذجًا يحتذى به كما يفعل (چيكا) دومًا.

بتلك الطريقة ستكسب ولاءهم وطاعتهم لها بعيدًا عن تأثير (چيكا) الذي تحتاجه.

ـ «هل ستأخذ واحدة أخرى، (چيكا)؟»

ـ «للأسف لا أقدر، (باقر)، فجسدي لن يتحمل مزيدًا من الضغط عليه. لابد أن أنتظر عامين كاملين حتى أستطيع تناول واحدة»

ـ «عامين كاملين!!؟»

ـ «فترة طويلة أعرف، لكنها تستحق»

ـ «كيف نصنعها إذن؟»

ـ «لا تشغلوا أنفسكم بتفاصيل تلك الوصفة؛ فكما قلت ستتولى (أسمايا) مهمة صنعها لنا»

نظر (چيكا) إلى كل منهم؛ فهو يدرك أن جميعهم قوي في التعاويذ ضعيف في الوصفات عداها، لذا اختارها دونًا عن غيرها، ليس لحبه العميق لها ولا لثقته المطلقة فيها، لكن لكفاءتها التي تجعلها متميزة عنهم جميعًا في مجال الوصفات.

ـ «إذن ماذا سنفعل نحن؟»

ـ «علينا أن نتدرب يا (مهالينا) على أداء تعاويذ ووصفات قتالية مشتركة»

ـ «مشتركة!؟ ماذا تعني بذلك؟»

تذكر نصائح وتوجيهات التماثيل، فقال مجيبًا على تساؤلها بهدوء:

ـ «هل تعرفون ما قوة الفريق؟ ليس فقط في قوة أفراده، لكن في مدى الانسجام والتناسق بينهم؛ فالفريق ليس واحد زائد واحد يساوي اثنين، بل

سبعة مع بعضهما البعض يساوون قوة عشرين. هذا ما يجب أن نطمح إليه»

ـ «العمل الجماعي تقصد»

ـ «ليس فقط فكرة العمل الجماعي وحده يا (أوتارا)، بل في كيفية تطبيقه حتى في التدريبات»

ـ «ماذا تقصد؟»

ـ «العمل الجماعي ليس في كيفية قتالنا في المعارك، لكن في كيفية استغلال ذلك العمل في أداء تدريباتنا»

ـ «لم أفهم مقصدك يا (چيكا)»

ـ «أعني أننا لا يجب أن نتدرب كلنا على التعاويذ والوصفات؛ فقدراتنا الشخصية مختلفة بيننا؛ فهناك من يتميز في شيء وآخرين لا يتميزون فيه. لذلك يجب أن نقسم تدريباتنا على هذا النمط»

ـ «يبدو الأمر معقدًا»

ـ «بالفعل، لهذا أنتِ تتولين تلك المهمة الصعبة، (أوتارا)، حيث عليكِ أن تساعديني في تنسيق التدريبات على كل منا كي يتدرب كل فرد على ما يتقنه أكثر»

ـ «هذا صعب چيكا»

ـ «أعلم، لكن إن أردنا أن نتطور ونحقق ما نهدف إليه يجب أن نكون على قدر تلك المسؤولية الهامة؛ فمن سيحاربنا ليسوا مجرد طلبة يطمحون للوصول لمرتبة الساحر المبتدئ أو الجيد، بل إنهم أشخاص بالغون ربما يكونون في مرتبة السحرة الأسطوريين»

تفهموا ما يعنيه أخيرًا؛ فهدفهم ليس حماية المدرسة من طلابها، لكن الهدف هو حماية المدرسة من التهديد الخارجي نحوها. إن لم يكونوا جريئين في تدريباتهم، فلن يملكوا أدنى فرصة في ذلك. من أجل ذلك انزوى (چيكا) إلى جوار (أوتارا) يتهامسان قليلًا، قبل أن يعودا إليهم، و(أوتارا) تقول:

ـ «سأقوم بتقسيمنا إلى مجموعات ثلاث بناء على قدراتنا الفردية، كل منها ستتدرب على أداء شيء ما بمفردها. في نهاية ذلك سنحاول استخدام تلك التعاويذ والوصفات سويًا في هجوم مشترك. ربما يبدو الأمر صعبًا للغاية لكن بالتدريج أتمنى أن ننجح فيه»

نظرت لـ(چيكا)، قبل أن تتابع قائلة:

ـ «مجموعتنا تتكون من (چيكا) الذي يقدر على أداء كل التعاويذ، و(أسمايا) التي تقدر على أداء الوصفات، و(بهير) و(مهالينا) القادران على أداء التعاويذ النارية، و(كريستي) و(باقر) في التعاويذ المائية، وأخيرًا أنا في التعاويذ الهوائية. لذلك سأمنح كل منكم مجموعة من التدريبات بناء على أكثر الأمور تميزًا لديكم»

كان ربط اسمها باسم (بهير) لا يتوقف لحظة عن إسعاد (مهالينا). واصلت (أوتارا) شرحها قائلة:

ـ «سنبدأ بالوصفات؛ فالوصفة التي منحها (چيكا) إياي هي وصفة الحياة، وهي خاصة بجعل قوة الشخص تتضاعف مرتين على الأقل.. هذه الوصفة معقدة بالفعل، وهي تتكون من جذور النيرال والبيزول واللاتيس ومضاف إليهم أوراق البينبو والرعشان والتريقواز. هذا بالطبع مع إضافة زهرة كاملة من الخاشوش والفيلار وبعض من أعضاء نباتات الإسفند والثوراي والبنتيوق والبرادي والإشبير والفولهند»

ـ «إحم، ما هذا كله؟»

ابتسم الجميع؛ فبالطبع تبدو وصفة صعبة. لم يسمع أي شخص منهم حتى من أبناء الدم الملكي وصفة معقدة مثلها. نظرت (أسمايا) باستغراب نحو (چيكا) الذي اكتفى بتحريك كتفيه، فهو لا يقدر على تعديل أوامر التمثالين. تأففت (أسمايا) بضيق، قبل أن تقول:

ـ «سأقوم بتجميع مكونات تلك الوصفة من الآن. فعلى ما يبدو أنني يجب أن أستعين بأكثر من مساعدة في ذلك»

ـ «لا مشكلة، فيمكنكِ إخبارنا في أي وقت بأي مساعدة تحتاجينها»

تحول اهتمام (أوتارا) نحو (بهير) و(مهالينا)، حيث قالت:

ـ «التعويذة الخاصة بكم هي تعويذة نارية قوية جدًا، على حسب وصف (چيكا)؛ فهي تقوم بتشكيل تابوت قوي مُكوّن من نار مدمرة حول شخص أو مجموعة أشخاص على حسب قوتكم.. هذه التعويذة تُدعى (مسطهدة)»

تدخل (چيكا) في الحديث قائلًا:

ـ «لأداء أي تعويذة بشكل كفء لا يجب فقط معرفة رموزها وكتابتها والتدريب عليها، لكن تحتاجون أيضًا إلى تعديل بسيط في طريقة النطق، فأجدادنا كانوا يضعون حرفًا متحركًا بعد كل حرف ساكن، وهذا ما يعني أنه إن كان هناك مجموعة من الحروف الساكنة في التعويذة، يجب أن تدمجوا معها مجموعة من الحروف المتحركة. أقوى الحروف المتحركة هي الياء ويليها الواو ثم الألف، وهؤلاء الثلاثة هم مثلث القوة في أي تعويذة»

ـ «هل يمكن أن نختار نحن الحرف المتحرك؟»

ـ «بالطبع، لكن كلما اخترت حرفًا أقوى كلما صارت متطلبات أداء التعويذة أعلى.. في المقابل ستكون قوتها أكثر بمراحل»

ـ «كيف سنعرف رموزها؟»

ـ «سأخبركم دومًا بالرموز وهي سهلة؛ ففي هذه التعويذة ارسموا قرص شمس بيضاوي، وإلى جواره مستطيل، ويصل بينهما ذراع ممتد مفتوح الأصابع»

واصلت (أوتارا) بمساعدة (چيكا) شرح كافة التعاويذ المتبقية. بعد ذلك انصرف الجميع كلٌ نحو تدريباته. لم يتوقعوا أن يكون الأمر بمثل تلك الصعوبة؛ فمثلًا، لم يستطع (بهير) أو (مهالينا) أن يجعلوا تعويذتهم تتشكل على هيئتها المطلوبة. كانا ينجحان في تشكيل صندوق من النار، لكنه كان من الصغر بمكان حيث يمكنك وضع إصبع صغير فيه بصعوبة. بدا أن مرحلة التدريب العملي تلك لن تكون بمثل السهولة التي توقعوها.

⟦ الفصل السابع ⟧

مضت الأيام سريعًا وسط تركيزهم في التدريبات، ومحاولة أداء التعاويذ والوصفات الرعموية، سواء في فصلهم الخاص بـ(أماليا) و(دريقا)، أو في فصلهم الخاص بمجموعتهم السرية (العين). على الرغم من تركيزهم ورغبتهم الشديدة في التعلم، لم يحرزوا تقدمًا ملموسًا في تدريباتهم، حيث لم يتعلموا سوى أربعة تعاويذ كاملة ووصفتين فقط في هذين الفصلين. في أسبوعين لم يقدروا أن يتعاونوا جميعًا في هجوم أو دفاع مشترك؛ فلكل منهم سماته الخاصة وقدراته المختلفة، والتي لم يقدر (چيكا) أو (أوتارا) على تنسيقها بشكل صحيح. انشغلت (أسمايا) بفرض سيطرتها المطلقة على (چيكا)، مستغلة تصديقه التام لكذبتها، وإيمانه بقضيتها الزائفة. لم تنسَ مهمة (كريم) لها بإضعاف الدرع الحامي للمدرسة، حيث استمرت يوميًا في إطلاق التعويذة المطلوبة بانتظام. في المقابل بدأت (مهالينا) في التقرب بخطى ثابتة من (بهير)، منتهزة فرصة انضمام (بهير) لها في مهمتهما لجمع المعلومات من العائلات الملكية. رويدًا بدأ (بهير) ينسى ألم قلبه القديم، لتصبح (أسمايا) مجرد ذكرى قديمة يمر عليها مرور الكرام. لم يكن الوقت في صالحهم، لكنهم تجمعوا هذا اليوم، ليس من أجل تدريب جديد، ولكن بفضل رسالة خاصة من قبل (أماليا). كانوا قد نسوا وعدها لهم آنفًا بتنسيق موعد لهم مع حدَّاد المدرسة. حملت رسالتها موعدًا مبكرًا مع حدَّاد يقع في أقصى حدود المدرسة، كان وعدها قد امتد أسبوعًا إضافيًا؛ نظرًا لازدحام جدول مواعيد هذا الحدَّاد، لكن (أماليا) أصرت عليه؛ لما تعرفه عنه من بعد بصيرة وعمق نظر، أي حداد آخر كان كفيلًا بصنع الأسلحة لهم، لكنها كانت تريد منه شيئًا مختلفًا، هو وحده القادر على فعله. حينما اجتمع شملهم من جديد تحركوا وسط نقاشات كثيرة عن التقنيات المختلفة التي اتبعوها

في القتال سابقًا. كانوا ساخطين جدًا من عدم مقدرتهم على أداء هجوم ودفاع مشتركح فحين تصبح في المنافسة سيتعين عليك أن تقاتل كفريق وليس كفرد، وقوة الفريق يفتقدونها حتى الآن، وكلما اقترب موعد المنافسة كلما صار توترهم وقلقهم أعلى بمراحل. كان الفريق ينقسم على نفسه إلى مجموعات ثلاث، حيث تتأبط (أسمايا) ذراع (چيكا)، أو تريح يدها عادة على كتفه، أما (مهالينا) فقد شوهدت في أكثر من موقف تمسك يد (بهير)، الذي لم يجد غضاضة في تقربها الملحوظ منه. أما (باقر) و(كريستي) و(أوتارا)، فكانوا يسيرون سويًا كما لو كانوا أخوة ثلاثة. اتبعوا توجيهات (أماليا) لهم، فساروا عبر غابة من الأشجار الكثيفة ليجدوا أنفسهم بعد ساعة من السير المتواصل أمام كوخ خشبي صغير، يقبع بين كم هائل من الأشجار المختلفة. حينما أخبرتهم (أماليا) عن هذا الحداد، ومدى انشغاله، توقعوا أن يجدوا صفًا من الراغبين في مساعدته أمام كوخه، لكنهم لم يجدوا شخصًا آخر غيرهم. تحرك (چيكا) ليدق الباب بيده، ليتردد صدى خافت داخل الكوخ التقطته أذناه. في ثوانٍ شعر بطقطقة خفيفة تصدر من الباب أمامه، سرعان ما تبعها انفتاحه على مصراعيه، ليقف رجل كثيف الشعر، قصير القامة، مليء الجسد، أمامه.

ـ «جئنا لنقابل السيد (أسامى) بموعد مسبق»

ـ «أجل، أنا أنتظركم. أجل، أخبرتني (أماليا) عن حضوركم. أجل، تفضلوا»

نظر (چيكا) لرفاقه، ثم تحركوا عابرين الباب داخل الكوخ الصغير. حينما دخلوا لم يجدوا حجم الكوخ بذلك الضيق الذي شعروا به حين شاهدوا الكوخ من الخارج، حيث استقبلتهم صالة كبيرة، وأبواب عدد من الحجرات، وسلم خشبي صغير يؤدي إلى طابق علوي. جلسوا على المقاعد الخشبية الصغيرة، في حين ظل (أسامى) واقفًا وهو يقول:

- «أجل، أخبرتني (أماليا) عنكم. أجل، سأساعدكم. أجل، من يرغب في البدء؟»

بدا لهم متعجلًا بطريقة كلامه الغريبة تلك، لكنهم كانوا يعرفون سلفًا مدى انشغاله. ربما تلك هي طريقته في العمل من أجل ضيق وقته، لذلك تحدثت (مهالينا) قائلة:

- «أريد أن أبدأ»

- «أجل، (مهالينا) ابنة عائلة ملكية. أجل، أنا متفاجئ جدًا لوجودك إلى جوار ابن (ست). أجل، إنها لحظة غريبة»

- «(چيكا) هو قائد فريقي، فما المشكلة في ذلك؟»

- «أجل، لا توجد مشكلة. أجل، يجب أن نبدأ في تحضير طلبك. أجل، تحبين القوس والسهام»

- «بلى، لكن ربما الرمح يكون جيدًا أيضًا»

- «أجل، هو جيد. أجل، يجب اختيار سلاح واحد فقط منهما. أجل، يجب أن تؤمني بنفسك وبرغبتك وقلبك»

- «أريد أن أجرب الرمح إذن»

- «أجل، أنتِ واثقة. أجل، أمسكي بتلك العينات الحديدية، وأخبريني بما تفضلين»

ظهرت أمامها بغتة منضدة خشبية طويلة، فوقها عشر عينات صغيرة من الحديد المختلف شكله ولونه. أمسكت بكل قطعة وحاولت أن تشعر بأي شيء، لكنها لم تنجح في ذلك.

- «لم أستطع أن أحب أيًّا منها»

ـ «أجل، أنتِ مميزة. أجل، يمكنكِ تجربة هذه العينات الخاصة»

اختفت المنضدة الطويلة لتظهر واحدة غيرها. كانت قصيرة وذات غطاء رخامي ثقيل، فوقه تراص ثلاث عينات حديدية، بدت مختلفة بذلك الوميض داخلها. أمسكت (مهالينا) بأولاها، لتشعر بتذبذب عنيف في جسدها. وضعتها في سرعة، ونظرت نحو (أسامى)، الذي ابتسم وقال:

ـ «أجل، إنها تريدك وأنتي تريدينها. أجل، إنكِ تستحقينها»

وقبل أن يقول أي شيء آخر اختفت القطعة من فوق المنضدة، لتبدأ أصوات عالية من ارتطام الحديد ببعضه صدرت من الطابق العلوي. تابع (أسامى) حديثه مشتتًا انتباههم عما يحدث بالأعلى، قائلًا:

ـ «أجل، من القادم؟»

أخذوا يتحدثون معه فردًا فردًا، وينتقون بين العينات المتعددة التي يعرضها عليهم. اختار (بهير) البلطة طويلة الذراع، في حين اختارت (أسمايا) القوس مثلما اختارت (أوتارا). أما الأخوان فكلاهما اختار السيف. كانت الأصوات صاخبة للغاية في الأعلى، كلما انتقى فرد منهم معدنه الخاص ارتفعت الأصوات أكثر فأكثر. انتهى الأمر بـ(چيكا) آخرهم جميعًا في طلب سلاحه.

ـ «أجل، أنت الصبي الذي أخبرتني عنه (أماليا) سليل بيت اللعنة. أجل، يبدو أنك قوي. أجل، لديك سلاح خاص بعائلتك. أجل، يمكنك أن تعرضه علي»

لم يجبه (چيكا)، لكنه أخرج سلاحه المخفي خلف ظهره، ليمسك بسيفه عريض النصل ومنحه لـ(أسامى). بدا الرجل القصير مهتمًا للغاية بذلك السلاح النادر، حيث أخذ يفحصه بعدسة مقربة ظهرت أمام عينيه، كانت

النقوش والنتوءات الخاصة بالسلاح تنم عن مدى قدمه وكثرة استخدامه، لكنه استشعر مدى القوة الكامنة فيه، أعاده لـ(چيكا) وهو يقول:

ـ «أجل، هو سلاح مميز وقوي. أجل، غريب أنك تحتاج لسلاح غيره»

ـ «أخبرتني (أماليا) أنني بحاجة لسلاحي الخاص كي أتطور أكثر»

ـ «أجل، سلاحك الخاص يكون أقوى في المستقبل. أجل، أنا لم أسمع قط عن شخص استطاع أن يحصل على سلاحين في العصر الحديث. أجل، أنت تريد شيئًا مميزًا كحقيقة انتمائك للبيت الملعون. أجل، أنت تريد شيئًا لم يحدث منذ عصور طويلة»

ـ «هل يمكنك مساعدتي؟»

ـ «أجل، يمكنني مساعدتك بالتأكيد. أجل، هناك معدن خاص يتميز بقدرته على التكيف. أجل، إن استطعت أن تحبه فحينها يمكنني أن أصنع لك سلاحًا جديدًا»

ظهرت أمام الطاولة الصغيرة علبة رخامية مبطنة من الداخل بقطيفة حمراء لامعة، نظر (چيكا) نحو قطعة المعدن الصغيرة التي تومض بلون أحمر ناري خافت، أمسك بها وعقله يتساءل إن كانت هي المنشودة، ظل ممسكًا بها لفترة، لكنه لم يشعر بأي تغيير قط. بدت خيبة الأمل واضحة على ملامح (أسامى)، حيث قال:

ـ «أجل، إنها كانت الفرصة الوحيدة التي لديك. أجل، لا يمكنني مساعدتك في صنع سلاح آخر»

ثم نظر نحو البقية وهو يقول:

ـ «أجل، انتظروا حتى أحضر لكم أسلحتكم من الأعلى»

انطفأ جسده كورقة مشتعلة انتهت النيران من التهامها، حيث اختفى من أمامهم، ولم يتبقَ منه سوى خيط من دخان رفيع. اقتربت (أسمايا) من (چيكا)، وربتت على ظهره بحنان. لم يكن الأخير في ضيق حال كما توقعت، فهو كان يستحق المحاولة مثلهم بكل تأكيد. ظلت الأصوات العالية تصدح بشكل جنوني بالأعلى لفترة كانت كافية للجميع كي يحدق بتمعن في الحجرة التي هم فيها. كان كوخ حداد لاريب، حيث الحوائط الخشبية للكوخ معلق فوقها قطع لا تعد ولا تحصى من المعادن المختلفة. في كل مكان انتشرت المطارق الثقيلة مختلفة الأحجام وأحيانًا قطع من الأسلحة العادية المدمر جزء منها. بدا أنه لا يتكفل فقط بصنع الأسلحة بل كذلك في إصلاحها. وسط كل هذه الضوضاء شعر (چيكا) بشيء ما يلمع جذب انتباهه، وقف من مكانه وتحرك بخطوات بطيئة صوب أحد الجدران الخشبية، والتي لم تختلف عن أخوتها في كم القطع الحديدية المعلقة عليها، لكن قطعة واحدة بدت مختلفة كثيراً عن الجميع، ما إن اقترب (چيكا) منها حتى أدرك مدى جمال تلك القطعة المربعة من المعدن الغريب الذي لم يشاهد مثيلًا له من قبل، كان سطحه ناعمًا وأملس، لكنه بدا عاكسًا لكل شيء حوله بشكل مثير للاهتمام، شعر بالفضول من تلك القطعة فضية اللون المصقولة بعناية كما لو كانت عدسة مرآة كبيرة، لم يقاوم رغبته في أن يمسك بها، فالتقطها وأمسك بها في قوة. ظهر (أسامى) بغتة أمامه ليركله بقدمه في قوة ليندفع جسده كاملًا للوراء، في قوة بدت غير طبيعية مقارنة بجسده الصغير، قبل أن يكتمل غضبه داخله تجاهه لاحظ تلك النظرات المرتعدة من قبل رفاقه، مما أشعره بوجود شيء ما خاطئ.

ـ «أجل، أنت غبي. أجل، أنت فضولي. أجل، أنت كدت تتسبب في قتلنا جميعًا»

ـ «معذرة! لا أفهم ماذا تقول»

- «أجل، أنت غبي. أجل، أنت تعرف كل شيء»

- «لا، أنا لا أعرف ماذا حدث. فقط أعجبتني تلك القطعة الحديدية وأمسكت بها. ما المشكلة في ذلك؟»

نظر الرجل نحو من خلفه كما لو أن (چيكا) قد قال شيئًا غريبًا لتوه. ما لم يدركه (چيكا) وقد أخبره به (أسامى) هو أنه حين لمس تلك القطعة حدث زلزال ضخم في الكوخ، وكاد أن يتسبب في تدميره تمامًا لولا ما قام به. بدا على (چيكا) الارتباك فهو لم يشعر بأي من ذلك قط.

- «غريب، لم أشعر سوى بالطمأنينة وأنا أمسك بهذا المعدن»

- «أجل، أنت غبي. أجل، أنت غريب. أجل، تلك القطعة خطيرة جدًا. أجل، أنت مغناطيس لكل شيء خطير»

لم يفهم (چيكا) سر غضب الرجل أمامه، لكنه سأله سؤالًا مباغتًا:

- «هل يمكنك صنع سلاح خاص لي من هذا المعدن؟»

- «أجل، أنت مجنون»

- «هل يمكنك أن تصنع لي منه ترسًا؟»

- «أجل، أنت مجنون»

- «أريده ترسًا ضخمًا بيضاويًا، يغطي كامل جسدي حين أمسكه»

زفر (أسامى) في ضيق، ثم أعاد النظر نحو المعدن الغريب الذي يمسكه (چيكا). كان هناك صراع داخلي بين رغبته في طرد (چيكا) ورفاقه من المكان، وبين فضوله في معرفة ماذا سيحدث حين يصنع من ذلك المعدن الخطير سلاحًا. قرر بعد برهة من التفكير والصمت أن يجازف، لكنه لن يقدر على فعل ذلك هنا.

ـ «أجل، انتظرني. أجل، أسلحتكم جاهزة»

كما ظهر اختفى، لكن مكانه ظهرت ست أسلحة مختلفة خاصة بكل فرد من الفريق. اتجه كل منهم بفضول صوب سلاحه يمسك به ويتأمله في إعجاب. أما (چيكا) فقد تعلقت عيناه بالبقعة التي كانت تحتلها تلك القطعة من المعدن للتو. لم يسمع (چيكا) الأصوات الصاخبة من الطابق الأعلى، فهذه المرة لم يقم الحداد بصنع السلاح داخل الكوخ، فلو حاول أن يفعل ذلك لانهار الكوخ على رؤوسهم جميعًا. لذلك اختار أن يقوم بمغامرته تلك بعيدًا عن المكان بأسره. بوجودهم داخل الكوخ لم يقدروا على معرفة ما يحدث بالخارج. حينما بدأ (أسامى) في التعامل مع تلك القطعة بدت كما لو أن نهاية العالم قد حدثت، انبثقت زلازل كثيفة في المنطقة التي يقوم فيها الحداد بعمله، للدرجة التي ما إن انتهى منها حتى وجد الجبل الشاهق إلى جواره قد تصدع جسده بشكل مثير للرعب. لم يكن الخوف هو الشعور المسيطر على (أسامى) حيث امتلكه شعور بالغبطة والإثارة، فلم ينجح فقط في صنع السلاح الثاني لـ(چيكا)، بل إنه استطاع صنعه من تلك القطعة التي تناقلتها العائلة منذ قديم الزمن، عاد إلى الكوخ ليجد الجميع منشغلًا بسلاحه، عدا (چيكا) الذي وجد أمام عينيه ما تخيله بالضبط. مد الحداد يده لـ(چيكا)، ليمسك بترس ضخم بيضاوي، بدا ثقيلًا للغاية، لكنه ما إن حمله حتى شعر بمدى خفته ومرونته وقوته. كان من الضخامة بمكان حيث بمجرد إمساكه وطرفه يلامس الأرض، كان معدنه يخفي كامل جسده من أخمص قدميه حتى قمة رأسه. ابتسم (چيكا) ونظرات الرجل الفضولية تجعله يشعر بمزيد من الثقة. حيوا الرجل وعادوا أدراجهم صوب ساحة المجد، لكن (أسامى) لم يستطع انتظار رؤية نتيجة ما فعل، لذا بعث برسالة لـ(أماليا)، يخبرها فيها بما حدث، وتحرك في سرعة متجهًا صوب نفس المكان الذي يتجه إليه الفريق. فلا يوجد أهم لديه الآن من معرفة ما ستؤول إليه

مخاطرته تلك التي قام بها، ولا يعرف ما الذي سيحدث إن نجحت، لكنه كان يشعر بأنه قام بشيء عظيم، ربما أعظم شيء فعله في حياته على الإطلاق.

⟦ الفصل الثامن ⟧

كانت رغبته في رؤية نتاج صنعه لهذا الترس من المعدن الذي لا ينتمى لعالم الأرض لا يمكنه كبح جماحها، لذا جلس (أسامي) في مكانه ذاك وسط أجمة من الأشجار القصيرة، قابعًا على بطنه يراقب ما يحدث أمامه دون حراك. ظل هناك قرابة الساعتين، حيث يراقب ما يحدث أمامه دون أن يقدر على سماعه. ما كان يرغب في معرفته هو مقدار قوة هذا المعدن الذي لطالما تسبب بزلازل له ولأفراد عائلته على مر تاريخها الطويل إن حاول أحدهم الإمساك به. ما عرفه أن هذا المعدن هو إرث قديم أحضره المصريون القدماء حين عادوا من آخر زيارة لعالم دوات، مرت القرون كثيرة ليتناسى الجميع وجوده، عدا عائلته التي ائتمنها قادة المصريين قديمًا على هذا المعدن. بدا له مجرد قطعة خردة لا فائدة لها سوى ذلك الدمار إن حاول تحريكها من مكانها، لذا كان مكانها الأثير هو ذلك الحائط الذي يحتوي على قطع الأسلحة الخربة في كوخه. بقي التساؤل الهام داخله عن قدرات ذلك السلاح مسيطرًا على تفكيره، فقبع في مكانه صامتًا لا يحرك نفسًا، مثبتًا عينيه على هذه المجموعة الصغيرة من السحرة وهم يقومون بالتدريب. أمامه قامت (أماليا) و(دريقا) باختبار كل سلاح خاص للفريق الذي زار كوخه منذ سويعات. أنهوا التدريبات البسيطة بالأسلحة، ثم توقفت (أماليا) و(دريقا) أمامهم يتحدثون عن أمر في غاية الأهمية.

ـ «ما قمتم به حتى الآن شيء مثير للإعجاب، فتقدمكم في التدريبات مصدر فخر لي ولـ(دريقا)»

ظل الفريق يستمع لكلمات المديح التي تقولها (أماليا) لهم، وعقولهم مشغولة بساعات التدريب الطويلة بعدما يغادروا المكان هنا. لم يتفوه أي

منهم بكلمة، لكنهم كانوا قادرين على تخمين ما يفكر فيه من يقف إلى جواره. لم يشعروا بمثل الحماسة التي تبثها (أماليا) لهم؛ ففي داخلهم يعتقدون أنهم لم يتقدموا كثيراً في تدريباتهم، ولم يحققوا ما تمنوه من تقدم ملموس في تعلمهم للتعاويذ والوصفات الرعموية، إضافة لفشلهم في إتقان هجوم واحد مشترك فيما بينهم. تابعت (أماليا) قائلة:

ـ «منذ قليل كنت في اجتماع مع المدير توت، وهناك أخبرنا بالطريقة التي ستقام بها المسابقة»

شحذوا عقولهم وحواسهم استعدادًا لما ستقوله؛ فتلك المنافسة يجب أن يفوزوا فيها مهما كان الثمن.

ـ «المنافسة يشترك فيها حوالي ستة وخمسين فريقًا، سيتم تقسيمهم على ثمان وعشرين مواجهة. المواجهات ستتم على مكان مخصص للقتال. مصرح لكم استخدام كافة التعاويذ والوصفات التي تريدونها، شريطة ألا تتسبب تلك المواجهات في قتل خصمك. في حالة وجود أي خطورة على حياة أحد الطلبة سيتدخل التاسوع لينقذوه ثم يوقفوا المباراة ويعلنوا فوز الفريق الآخر»

تدخلت (دريقا) متابعة كلمات (أماليا):

ـ «بعد عبوركم تلك المواجهة ستكون هناك مواجهة تالية بين الثمانية وعشرين فريقًا على هيئة أربعة عشر مواجهة. بعد عبوركم لها ستكون هناك المواجهة الأخيرة بين الأربعة عشر فريقًا المرشحين، بعد عبوركم لتلك المواجهة الأخيرة سيتم إعلانكم مؤهلين رسميًا للمنافسة»

ـ «تبدو سهلة»

- «لا تقل هذا يا (چيكا)؛ فمن خلال الستة وخمسين فريقًا الموجودين بالمنافسة يوجد خمسين فريقًا من الصف السابع حتى العاشر. تقريبًا كافة الطلبة في هذه الفصول قد اشتركوا في المنافسة»

- «يبدو أمرًا صعبًا»

- «للأسف، نعم؛ فاحتمالية مواجهتكم لفريق من الصفوف الأدنى ضئيل للغاية. وإن كنا محظوظين في ذلك بالمرحلة الأولى فلن تكونوا بمثل ذلك الحظ في المرحلتين التاليتين»

- «هذا لا يهم؛ فلقد تدربنا بجدية وسنواصل ذلك حتى يوم المنافسة»

انتقلت بعدها (أماليا) و(دريقا) نحو توجيه عدد من الملحوظات والنصائح لهم بخصوص التدريبات القادمة في الفترة القليلة المتبقية حتى يوم المنافسة. بعدها تحرك الفريق متجهين كعادتهم إلى طريقين منفصلين أحدهما يسلكه (چيكا) صوب بيته والآخر يسلكه البقية صوب البحر. لم يكتشف أي من معلميهم بعد خطتهم التي يتبعونها يوميًا، حيث يبتعدون عن المكان ثم يعودون لينضموا مجددًا إلى بعضهم البعض في مكان تدريبهم الخاص. شخص واحد كان على مسافة بعيدة منهم نسبيًا استطاع رؤيتهم ينحون جانبًا في طرقات متفرعة حتى اجتمعوا مجددًا في مجموعة واحدة.

- «مرحبا بك، (أسامى)»

- «أجل، أنا بخير. أجل، هل اختبرتِ ذاك السلاح الجديد لدى (چيكا)؟»

كانت معتادة على طريقته الغريبة في الحديث، لكنه بدا أمامها نافذ الصبر بشكل غريب. لم تكن مدركة للتاريخ العريق للمعدن الذي صنع منه ترس (چيكا)، لذا أجابته بعدم اهتمام قائلة:

- «لم أجده سلاحًا مميزًا حتى تهتم به هكذا»

ـ «أجل، أنتِ مخطئة. أجل، هو سلاح في قمة التميز»

تبادلت (أماليا) و(دريقا) نظرات الدهشة، قبل أن تتساءل الأولى قائلة:

ـ «ما المميز في هذا السلاح؟ لقد اختبرته وكان في مثل قوة أي ترس قابلته يومًا»

ـ «أجل، أنتِ مخطئة. أجل، إنه في قمة التميز. أجل، هو يبدو ترسًا عاديًا. أجل إنه مجرد خداع لأي شخص قد يراه دون أن يجرب القتال ضده»

ـ «ماذا تعني؟»

ـ «أجل، إن السلاح يبدو عاديًا. أجل، إن الترس له قوة خاصة. أجل، إن قوته مستمدة من المعدن الذي صُنع منه»

ـ «إنه معدن خاص إذن»

ـ «أجل، إنه خاص. أجل، إنه ليس كأي معدن على الإطلاق. أجل، إنه في غاية التميز»

ـ «ما الذي يجعله مميزًا هكذا (أسامى)؟ أنت لا تقول أي شيء مفهوم»

ـ «أجل، إنه معدن توارثته عائلتي على مدار القرون. أجل، إنه معدن قوي جدًا حتى أنا لا أقدر على لمسه. أجل، إنه معدن لا أستطيع تشكيله دون أن أتسبب بزلازل قوية وبراكين. أجل، إنه معدن لا يمت للأرض بصلة»

ـ «هل هو من الفضاء؟»

ـ «أجل إنه من الفضاء»

تبادلا النظرات مجددًا، قبل أن تتساءل (دريقا) متدخلة في الحديث لأول مرة:

ـ «هل تعرف من أي أتى من الفضاء؟»

ـ «أجل، أعرف. أجل، إنه قادم من ذاك المكان الذي فقدنا أثره قديمًا»

ثم صمت وعقله مليء بكثير من الذكريات والمعلومات التي تناقلتها عائلته على مدار الزمن، قبل أن يقول:

ـ «أجل، إنه قادم من دوات»

ـ «دوات!!؟»

بدا له أنه ألقى قنبلة مدوية في وجهيهما، وإن لم يندهش من ردة فعلهما فهو يدرك جيدًا معنى ما قاله لهما؛ فذاك العالم الغامض الذي فقدوا الاتصال به منذ القدم قد منح لهم معدنًا عصيًا على التطويع، فلم يستطع أي ساحر من قبل أن يسيطر على قواه المدمرة. لكن لكل شيء بداية وهذا ما حدث مع (چيكا). تسبب اسم (چيكا) في إثارة ذكرى حديثة على عقله، فقال موجهًا الكلام نحو أمر آخر قائلًا:

ـ «أجل، إنه شيء غريب. أجل، رأيت الفريق ينقسم إلى طريقين. أجل، رأيتهم بعدها يتجمعون من جديد. أجل، إنه شيء غريب»

بدا أن ما قاله قد جذب انتباههما مجددًا، فنظرت (أماليا) في عينيه بتمعن وقالت متسائلة:

ـ «هل تعني أنهم بعدما غادروا من هنا عادوا ليتجمعوا من جديد؟»

ـ «أجل، هذا ما حدث أمام عينيَّ. أجل، لم يدركوا أنني قد رأيتهم. أجل، إنهم يحاولون إخفاء شيء ما»

ـ «هل تعرف إلى أين كانوا يتجهون؟»

ـ «أجل، أعرف. أجل، هذا الطريق لا يؤدي سوى لمكان واحد. أجل، إنها حديقة البراعم السحرية»

هزت (أماليا) رأسها متفهمة ما يقول، ثم شكرته على اهتمامه، وتركته يعود أدراجه صوب كوخه من جديد. على الرغم من أهمية ما قاله قبلًا عن سلاح (چيكا)، لكن الأكثر أهمية كانت تلك المعلومة عما يفعلونه من ورائهم. لم يكن هناك المزيد ليُقال بينهما، فتحركا في سرعة متجهين صوب تلك الحديقة التي يعرفونها جيدًا.

كانت الحديقة مكانًا خاصًا لزراعة النباتات السحرية المستخدمة في الوصفات الخاصة بكل أنشطة المدرسة، وعلى الرغم من أهميتها، لكن نادرًا ما كان يتجه أحد إلى هناك. لم يمثل ابتعاد الحديقة عن المباني الرئيسية بالمدرسة العامل الوحيد في تجاهل الجميع لها، بل لعب الوقت المستغرق في نمو تلك النباتات، والذي قد يصل إلى بضع سنوات في عزوف الجميع عن زيارتها إلا ما ندر. لم يجدا صعوبة في العثور عليهم؛ فوجود مجموعة من الأشخاص وسط مساحات شاسعة من الأرض المسطحة المزروعة بالنباتات القصيرة كان جاذبًا للانتباه. أبقيا على مكانهما بعيدًا عنهم، محتمين بتلك الأشجار القصيرة الكثيفة التي تشكل الطرقات في المدرسة. بدا من مكانهما أن الفريق يخوض نقاشات محتدمة بخصوص شيء ما. لم تحتج (دريقا) لأخذ إذن (أماليا) حيث استخدمت في ثوان وصفة يحتاجونها للغاية، فما إن صبت محتوياتها على الأرض حتى تكون ثعبان أصفر صغير تحرك في سرعة نحو النباتات متجهًا إلى الفريق. بعد دقائق قليلة أصبحا قادرتين على سماع كل كلمة يقولها الفريق من مكانهم هذا بوضوح تام. كانت وصفة التجسس تلك مثالية لهذا الموقف؛ حيث وقفتا تستمعان لكل ما يقوله أعضاء فريقهم الذي يدربانه دون الحاجة للاقتراب منهم. بدأت الأصوات تتوالى مُرسلة من ذلك الثعبان الصغير إليهم، ليسمعوا كل كلمة تُقال بوضوح بالغ كما لو كانتا تقفان معهم الآن.

- «يبدو أن اليوم مليء بالمفاجآت»

ـ «لكن هذه المرة المفاجأة ليست سارة»

ـ «ما تقوله يا (بهير) لا يحتمل أي مزاح»

ـ «أنا لا أمزح، چيكا، المعلومات وصلتنا من مصادر مختلفة. عائلاتنا الأربعة رصدت نفس التحركات ومصادري التي تجسست على الشخص الذي عرفتنا به (أسمايا) وتعليقات أصدقائي في الصف الرابع كل هذا يشير لنتيجة واحدة مؤكدة»

ساد صمت قليل وأمامهما من تلك المسافة البعيدة تشاهدان وقوف الفريق مكانه دون حراك، قبل أن يعود صوت (چيكا) قائلًا بقلق:

ـ «ألم تقولي من قبل يا (أسمايا) إنهم يخططون للتحرك في أحداث كأس العالم للسحرة؟»

ـ «هذا ما أخبروني به بالفعل»

قالت (مهالينا) وهي تضغط على كلماتها: «لكن ما نعرفه الآن أنهم ينوون التحرك يا (أسمايا) قبل ذلك بكثير، الأمر مؤكد»

ـ «لم أحضر كافة اجتماعاتهم يا مهالينا، فكما أخبرتكم هددوني بوالداي وأخبروني بفعل تلك التعويذة طوال وجودي بالمدرسة. ربما لم يثقوا بي تمامًا لذلك لم يخبروني بكل التفاصيل»

ـ «اهدئي قليلًا، لم تقصد (مهالينا) اتهامك بأي شيء»

ـ «أعرف يا (بهير)، لكني أشعر بالغضب من هذا الموقف، كافة خططنا مبنية على الفترة التي تسبق أحداث كأس العالم للسحرة، لا منافسات التأهل لها»

ـ «ربما عرفوا أن المدرسة ستقوم بالمنافسات في يوم واحد، وبالتالي سيكون الجميع مشغولًا، لذا بدا لهم تغيير التوقيت أمرًا منطقيًا»

ـ « وجهة نظر جيدة، (مهالينا). لكن هذا يُصعِّب الأمر علينا»

ـ «لا شيء صعب على (العين السحرية) يا صديقي. انظر كيف كنا منذ شهر واحد وكيف أصبحت قوتنا وقدرتنا حتى أننا حصلنا على معلومات بهذه الأهمية»

ـ «كيف سنوقفهم، (چيكا)؟»

ـ «لقد أسسنا (العين السحرية) من أجل حماية المدرسة وحماية عالمنا السحري من تدخلهم. مهما كانت الظروف والتحديات يجب أن نكون قادرين على مجابهتها جميعًا. أعرف أن الوقت ضيق وأننا لن نكون قادرين بتدريباتنا في الفترة القصيرة تلك على أن نقوم بردعهم بمفردنا، لكن يجب أن نحاول إيقافهم بكل ما أوتينا من قوة»

ـ «لا تنسى أننا سنكون في المنافسات في ذلك اليوم. إن لم ننجح في التأهل فستخسر (أسمايا) عائلتها للأبد»

ـ «أعرف ذلك يا (بهير)، لكن يمكننا استخدام تلك الخطة التي وضعتها كخطة احتياطية إن جد شيء مثل هذا. لقد أخبرتكم بتفاصيلها كاملة من قبل»

ـ «خطتك تلك صعبة التنفيذ في ظل هذه الظروف المباغتة»

ـ «لكنها ماتزال أملنا الوحيد يا (أوتارا)»

ـ «كيف سنفعلها إذن؟ أنت تعرف أنه يجب أن نكون بالجوار حين يهربون»

ـ «لذلك يجب أن ننقسم»

ـ «ماذا تقول؟»

ـ «يجب أن نُقسِّم الفريق إلى نصفين: نصف يخوض التصفيات، ونصف يقوم بدوره في اصطيادهم»

ـ «أنت مجنون!»

ـ «يجب أن نقوم بتلك الخطة على هذه الوتيرة. لا يوجد قانون يجبرنا على مشاركتنا بالمنافسة بكل أعضاء فريقنا»

ـ «في وجودنا جميعًا لا نضمن التأهل، فكيف سنضمن ذلك بوجود عدد أقل منا؟»

ـ «لا تقلقي من ذلك يا (أسمايا)؛ فسأحرص بنفسي على أن نتأهل في المنافسة»

ـ «هذا يعني أنك ستقود الفريق الخاص بالمنافسة؟»

ـ «بالطبع يا (أوتارا)؛ فقوتي أكثر منكم بمراحل، كذلك لدي سلاحان مميزان. أعتقد أن التماثيل ستساعدني في زيادة قوتي أكثر باستخدام سلاحي الجديد، حينها سنتمكن من الفوز بأقل عدد ممكن؛ فقوتي تفوق قوى الكثير من الطلبة في المدرسة لا ريب»

ـ «يبدو أنك فكرت كثيراً في هذه الفرضية»

ـ «أنا لا أدعمها لثقتي في نجاحها، (مهالينا)؛ إنما لأننا لا نملك الكثير من الحلول هنا، أربعة يشتركون في المسابقة كي نفوز، وثلاثة يتولون مهمة حماية المدرسة من هذا الغزو القادم»

ـ «هل ستختار الفريق إذن؟ أم ستدعنا نختار بأنفسنا؟»

- «لا يمكنني أن أدعكم تختارون بأنفسكم؛ فالوضع أحرج من الأهواء الشخصية. سأنضم إلى الأخوين و(أوتارا)، في حين ستتولى (أسمايا) قيادة الفريق الآخر ومعها (بهير) و(مهالينا)»

- «يبدو تقسيمًا منطقيًا إن كنا سنواجه فرقًا ضعيفة»

- «أخبرتكم أننا لا نملك رفاهية الاختيار، لا يشكل مواجهتنا لفرق قوية أو ضعيفة أي فارق، علينا أن نعمل جميعًا على التغلب على جميع الفرق في المسابقة، فأنا أؤمن إن نجحنا في عملنا الجماعي سنقدر على مقارعة أقوى الفرق مهما بلغ مستواها. في المقابل يجب أن نستعد جيدًا لتلك المواجهات، لذا سأطلب من كل منكم أن يقوم بأشياء إضافية في الفترة المقبلة. (أسمايا) أريد شيئا مهما منكِ»

- «ماذا تريد، (چيكا)؟»

- «أريدك أن تبدئي بتحضير كافة الوصفات التي تقدرين عليها بكل الكميات التي بإمكانك تصنيعها، يجب أن تمدينا بكل ما يمكنك صنعه من وصفات؛ فكلما زاد عددها كلما ارتفعت احتمالات فوزنا في المنافسات»

- «سأبدأ على الفور؛ فحولنا حقول ضخمة من النباتات مختلفة الأنواع والأهمية في الوصفات.. سأقدر على تحضير عدد كبير ومتنوع منها وسأعلمكم طريقة استخدام كل منها وفوائدها»

- «هذا رائع. (مهالينا) و(بهير) أريد منكما أن تجمعا أكبر قدر ممكن من المعلومات عن الفرق المشتركة في المنافسة. نقاط قوتهم ونقاط ضعفهم وتعاويذهم ووصفاتهم المفضلة ومستواهم الدراسي. يجب أن نعلم كل شيء عن الفرق أمامنا حتى نستطيع أن ننجح في تجاوزهم»

- «سأبدا من الآن»

- «لا تقلق يا (چيكا)؛ فلدي أصدقاء كثر في كافة الصفوف»

- «بالطبع؛ فأنتِ إحدى أجمل الفتيات في المدرسة»

- «يبدو ذلك معاكسةً يا (بهير)»

- «تبدين سعيدة بالمعاكسات يا (مهالينا)»

- «كفاكما مزاحًا. (باقر) و(كريستي)، أريد منكما استكمال المهمة التي قام بها (بهير) و(مهالينا) في جمع المعلومات عن هدفنا، يجب أن نعرف عددهم وإمكانياتهم، كلما عرفتما أكثر كلما صار الوضع أكثر وضوحًا»

- «لا تقلق؛ فعائلاتنا تراقب تحركاتهم عن كثب. لقد جاء خمسون شخصًا على الأقل من سبعة بلاد خارجية وجميعهم ينتمون للسحرة. عائلاتنا لها الكثير من العلاقات بكل مكان داخل وخارج مصر»

- «سنقوم بصنع كشف خاص بهم جميعًا، بالأسماء والصور وصفاتهم وقدراتهم في أسرع وقت ممكن، لكن ألا تعتقد أن ذلك العدد من الدول يجعل مواجهتنا لهم ومحاولتنا لردعهم أكثر صعوبة إن لم أبالغ بوصفها مستحيلة!؟»

- «ربما؛ فنحن نعرف أننا نجابه المجلس العالمي للسحرة. على ما يبدو أنهم يرغبون في غزو المدرسة واجتثاث كافة المعلومات التي يحتاجونها بالقوة. حضور هذا العدد وربما يزداد في الأيام القليلة القادمة يعني أنهم جادين تمامًا في محاولتهم. رغم عددنا الصغير لكن إن استطعنا عرقلتهم كفاية فسيلاحظ أحد التاسوع في المدرسة وجودهم بسببنا. هذا سيكون دورنا الذي سنقوم به وسنترك مهمة التصدي لكل هؤلاء لتوت وبقية التاسوع الموالين له»

ـ «هكذا سيكون دورنا مجرد تأخير تقدمهم لداخل المدرسة، هذا سيغير الكثير من مخططاتنا بخصوص ما سنقوم به ضدهم، لكن إن فكرت في الخطة بعقلانية، فأجد أننا بهذا التعديل الجذري في الخطط لن نقدر على عرقلتهم لفترة طويلة، بل وصف المدة بالطويلة تفاؤل كبير مني، فيبدو لي أننا وضعنا خطة متسرعة ضدهم»

ـ «متفق معك يا (بهير)، لكن لا تتناسى أن فشلهم في معرفة خبايا المدرسة عبر منافسات كأس العالم للسحرة قد أجبرهم على تنفيذ تلك الخطة المتهورة، وبعدما وضعوا خططهم قاموا بتعديلها على عجالة حين عرفوا بإقامة المدرسة لفعاليات المسابقة في يوم واحد. لسنا الوحيدين الذين يحاولون التسرع في تنفيذ خططهم، لذا لا تغفل تلك النقطة إضافة إلى عدم توقعهم لوجودنا في طريقهم أثناء بدء تحركاتهم؛ فهم يثقون للغاية في مفاجأة المدرسة حين يهاجمونها على حين غرة كما يتوهمون، لكن في حقيقة الأمر نحن من سنفاجئهم حين يدخلون المدرسة. سلاح المفاجأة وعدم التوقع سلاح قوي للغاية، فلا تستهن به»

ـ «هناك أمر ما يثير حيرتي؛ فهم وضعوا خططهم قبل أن يحصل (كريم) على موافقة المدير في الاشتراك بكأس العالم للسحرة، حيث أقنعني (كريم) بقبول المشاركة في خطته قبل بدء الدراسة بالمدرسة. فإن كان هدف إشراك مدرستنا بمسابقتهم هو معرفة خبايا وأسرار المدرسة، فلماذا عادوا لاستخدام هذه الخطط بعد حصولهم على مرادهم من (توت)؟»

ـ «أغلب الظن أنهم يا (أسمايا) فشلوا في فرض رغبتهم في الدخول للمدرسة عبر بوابة المسابقة التي يرعونها. مؤكد أن (توت) منعهم من حق دخول المدرسة، لذا لجؤوا للخطة البديلة كما لجأنا نحن»

ـ «يبدو تفكيرك منطقيًا يا (چيكا)»

ـ «بعيدًا عن البحث عن المبرر وراء مؤامرتهم، علينا أن نتحرك في إنهاء استعداداتنا في أسرع وقت ممكن»

ـ «حسنًا، سأذهب لفعل ما تريده، هيا يا (بهير)»

ـ «ونحن سنتحرك لتحضير ما طلبته، لنتحرك يا (باقر)»

ـ «وأنا سأبدأ في صنع الوصفات»

ـ «ماذا عني يا (چيكا)؟»

ـ «أنتِ ستتابعين الجميع في مهامهم وتخبريني بالأمور الطارئة؛ فكما كانت مسؤوليتك من قبل هي متابعة التدريبات سيصبح دورك الآن هو متابعة المهام»

ـ «لا أجد مشكلة في قيامي بهذا الدور السهل في وجهة نظري، لكن ماذا ستفعل أنت إذن؟»

ـ «سأذهب لزيارة بيتي، حيث أتوقع أن أجد الكثير من المناقشات مع التماثيل هناك»

بدأت الضوضاء تظهر بشكل تدريجي، حتى خفتت الأصوات جميعًا، حيث انقسم الفريق إلى مجموعات متنوعة. اتجهت (مهالينا) و(بهير) ومعهما الأخوان خارجين من الحديقة صوب بيوتهم. أما (أسمايا) فعكفت على تجميع النباتات ومعها (أوتارا) تساعدها فيما تريد. أما (چيكا) فأخذ طريقه مبتعدًا في اتجاه بيته. تبادلت (أماليا) النظرات القلقة والمصعوقة بينها وبين (دريقا) وما يدور في عقلهما هو تساؤل واحد: «ما كل هذه الأسرار المخفية عنهما والتي سمعتاها لتوهما من هؤلاء الصغار!!؟».

⟦ الفصل التاسع ⟧

لم تحتج أي منهما لأكثر من ثوانٍ لتدرك مدى خطورة ما سمعاه من حديث مقتضب لـ(چيكا) وفريقه. توصلا للنتيجة ذاتها؛ فعليهما اللجوء إلى (توت) فورًا. دون أن تتبادل أي منهما الكلمات قررتا استخدام تعويذة السفر اللحظية رغم استهلاكها لكثير من الطاقة، لكن الخطب الجلل الذي بين أيديهما كان أكثر أهمية، فانتقلا من مكانهما في أقل من ثانية، ليظهرا أمام باب المدير (توت). دفعت (دريقا) الباب في عنفوان، لتجد الجريوم مجتمعًا مع بعض من أفراد التاسوع، والذين كانوا يتولون مهمة التحضير للمنافسات المقبلة. لم يتوقع (توت) مثل هذه الطريقة الفظة في الدخول، لكن (أماليا) أتبعت تلك الخطوة الغريبة من صديقتها بأخرى أكثر غرابة حين قالت بلهجة بدت آمرة للجميع:

ـ «لتخرجوا الآن!»

حملت عينا (توت) كمًا عظيمًا من الغضب منها، فاستدركت موضحة:

ـ «هناك أمر طارئ يجب أن نتحدث عنه سويًا»

كظم (توت) غيظه ودهشته، مشيراً لمن أمامه ليغادروا الغرفة وسط دهشتهم من موقف (أماليا). ما أن أغلقوا الباب خلفهم ليتركوا (توت) مع (أماليا) و(دريقا)، قال (توت) بنبرته الهادئة والتي يخفي تحتها أطنانًا من الفضول والترقب تجاهها:

ـ «ماذا هناك، (أماليا)؟»

ـ «مصيبة، هناك مصيبة كبيرة في المدرسة يا سيدي!»

لم تكن (أماليا) من النوع الذي قد يبالغ في الأمور، لذا انتفضت كل حواسه وقد صدق حدسه في تخمينه، فهناك خطر كبير يلوح في الأفق بالفعل. أخذ ينصت بتركيز تام إلى القصة التي سمعتها (أماليا) و(دريقا) للتو. حالما انتهت من سرد قصتها، نظر (توت) نحو (دريقا)، فأومأت برأسها مؤمنة على ما قالته (أماليا). تمتم (توت) في توتر:

ـ «هذه فعلًا مصيبة»

وسط هذه العاصفة التي أحدثها ما كشفته (أماليا) لتوها إلى (توت) كان على الطرف القصي منهم يعبر (چيكا) بوابة بيته وعقله لا يقدر على إيجاد أي خطة خلاف ما طرحها منذ قليل أمام فريقه. على الرغم من كل الثقة التي كان يتحدث بها أمامهم كان داخله خاويًا تمامًا من أي أثر منها، لذا وضع آماله كلها على معلميه الأربعة؛ فربما يقدمون له اقتراحًا لم يفكر فيه من قبل. كما توقع كانوا ينتظرونه مجتمعين أمام بوابة البيت، فما إن أغلقها خلفه حتى قال مندفعًا:

ـ «أريد مساعدتكم»

ـ «نحن نعرف ماذا تريد»

ـ «أنت تريد مساعدتنا في جعلك أكثر قوة»

ـ «يبدو أنك يا صغيري دومًا في وضع خطر»

ـ «والوقت يا (چيكا) عادةً لا يسمح لك بالتقاط أنفاسك»

ـ «لا وقت لدي لذلك؛ فالمسابقة تفصلنا عنها فقط بضعة أيام وأنا لا أقدر على أن أنجح في اجتيازها بقوتي الحالية»

ـ «نعرف مدى ضيق وقتك»

- «سنساعدك بكل تأكيد»

- «سلاحك الجديد قوي للغاية يا صغيري»

- «لكن هناك شيء آخر يجب أن تهتم به يا (چيكا)»

- «ماذا تعني؟»

لم تجبه التماثيل بينما ثبتت بصرها نحو بوابة البيت، فالتفت (چيكا) في قلق مباغت ناظرًا نحوها. فما الذي قد طرأ بتلك الأهمية التي تدفعهم لتأجيل نقاشهم معه وتحديقهم بكل هذا الترقب نحو البوابة. مرت لحظات من الصمت دون أن يحدث أي شيء فنظر لهم مجددًا، ليجدهم ناظرين نحو الاتجاه ذاته بثبات. قبل أن يتسنى له قول أي شيء ظهر صوت عال بغتة يقول:

- «(چيكا)، لتخرج إلى هنا فورًا!»

تسمر واقفًا مكانه وعقله قد شُل عن التفكير؛ فذلك الصوت المميز لا ينتمي لا ريب سوى لشخص واحد فقط. تمتم في ذهول:

- «الجريوم (توت)! ما الذي أتى به إلى هنا؟»

- «لتخرج وتكتشف ذلك بنفسك»

بدا أن هناك أمرًا جللًا قد حدث وهو الوحيد في المكان الذي لا يعرفه. لم يضع وقتًا وتحرك فاتحًا باب بيته بزاوية ضيقة حتى لا يكتشف المدير بالخارج هوية التماثيل بالداخل. ازدادت دهشته أكثر حين وجد (أماليا) و(دريقا) تقفان إلى جوار المدير. ما إن أغلق باب بيته حتى تمتم المدير بشيء ما في سرعة، فتشكلت فقاعة ضخمة حوله كان قد رآها من قبل. فقال في هدوء:

- «هذه فعلًا تدفع داخلي الكثير من الذكريات»

- «يبدو أنك لم تنسَ يوم لقائي بك يا (چيكا)»

- «بالتأكيد سيدي، لكن لا أعتقد أنك قد جئت إلى هنا من أجل الحديث عن ذلك اليوم»

- «أنت محق، هناك شيء ما قد وصل إلى مسامعي عنك وأريد أن أتيقن منه»

شعر (چيكا) باضطراب بالغ، خاصة حين شاهد تلك النظرات الحادة الجادة والمنصبة كلها عليه. لم يشاهد أيًّا من ثلاثتهم في مثل هذه الجدية قبلًا، لذا تسارعت دقات قلبه، وعلا صوت أنفاسه وهو يقول متسائلًا بنبرة قلقة:

- «ماذا هناك، سيدي؟»

- «هل قمت بتأسيس مجموعة سرية باسم (العين السحرية) في المدرسة يا (چيكا)؟»

على ما يبدو أن مخزون المفاجآت لم ينتهِ بعد في يومه الطويل. شعر بارتباك واضح للغاية وقد صدمه معرفة (توت)، وما بدا عليه الوضع من معرفة (أماليا) و(دريقا) كذلك بما يفعلونه سرًا بعيدًا عن الأعين تحت راية مجموعة العين. تردد وعقله لا يعرف بم يجيب على هذا السؤال المباغت والذي لم يتوقعه قط. هل يكون صادقًا ويخبرهم بكل شيء؟ أم يحاول التفكير في مهرب من هذا المأزق؟ ما أردعه عن الحديث باستفاضة هو تذكره لحديثه مع (أسمايا)، حيث بدت خائفة وقلقة من إخباره لـ(توت) بكل شيء. لم يكن (توت) في مزاج يسمح له بالصبر على (چيكا)، أو قبول أي تفسير مغاير لما يريد سماعه، لذا لم يسمح لعقله بأخذ مساحة للتفكير، وقال ضاغطًا عليه بقوة شخصيته الهائلة قائلًا:

ـ «لا تنفي ذلك يا (چيكا)؛ فلقد سمعتك (أماليا) و(دريقا) بنفسيهما في حديقة البراعم السحرية»

أصابته كلمات (توت) في مقتل، فتصبب وجهه عرقًا، وبدا شاحب اللون قليلًا، وهو يقول في دهشة:

ـ «كيف عرفتما بذلك المكان!!؟»

ـ «إنها قصة طويلة، لكن الآن نريد أن نعرف هل ما سمعناه حقيقة أم مجرد كلام فارغ؟»

صمت (چيكا) قليلًا محاولًا لملمة شتات عقله. تحت وطأة نظرات (توت) الحارقة وملامح وجهه الصارمة، وذلك الغضب البادي على معلمتيه لم يجد بُدًا من كشف كل شيء لهم. كان يتمنى أن يحافظ على كلمته لـ(أسمايا)، وألا يعترف لـ(توت) بشيء لكن ماذا يمكنه أن يفعل في مثل هذا الموقف العصيب؟ كانت خياراته محدودة، فإما أن يصمت ويأبى الحديث عما بدا أن الثلاثة أمامه يعرفونه، وحينها سيتعرض لغضب (توت) الذي قد ينتهي بطرده من المدرسة، وفقدانه لكل شيء، وإما أن يتحدث ويشرح لهم كل شيء، ويحاول كسب تأييدهم ودعمهم له ولجماعته، وحينها سيخرج بكل المكاسب الممكنة. كان يخطط لإخبار (توت) ومعلمتيه بكل شيء لكن في الوقت المناسب. على ما يبدو أن كلام التماثيل صحيح بالفعل، فالوقت دائمًا ما يكون في غير صالحه، زفر في ضيق وقرر ما سيختار في ثوان، فلم يكن أمامه سوى هذا القرار.

ـ «حسنًا، سأخبركم بكل شيء»

بدأ يتحدث عما حدث لعائلة (أسمايا)، وما كانت تفعله طيلة الفترة الماضية في المدرسة. انتقل بعدها للحديث عن تأسيس مجموعة العين السرية وأهدافها ودور كل فرد فيها. ثم انتهى إلى سرد خطته وكيف سيقومون

بحماية المدرسة من تلك المشكلة. أكدت كلمات (چيكا) ما قالته (أماليا) و(دريقا) له، لم يكن قد تخيل أن المجلس العالمي للسحرة قد يشطح به الخيال ليقوم بمثل تلك الخطيئة ضدهم. لم يكن هناك أدنى شك في صدق ما يقوله (چيكا)، لكن ذلك يعني أنهم على وشك مواجهة عاصفة قوية لم تكن ضمن حساباته. شيء ما داخله لم يكن مستريحًا لبعض مما قاله (چيكا) لتوه، لكنه لم يستطع وضع يده على تلك الجزئية التي أقلقته. كان أمامه وضع خطير لا يحتمل التأجيل خاصة مع ضيق وقت المتاح له، لذا نحَّى ذلك الشعور جانبًا، ليلقيه عقله في غياهب النسيان، وبدأ يعمل في سرعة محاولًا التفكير في كيفية تصديه لهذه المؤامرة.

ـ «لماذا لم تخبرني فورًا بتلك الأمور يا (چيكا)؟»

تردد (چيكا) لوهلة، متذكرًا النقطة التي كانت تقلق (أسمايا) كما أخبرته قبلًا في نقاشهما القديم، قبل أن يجيبه قائلًا:

ـ «ذلك بسبب وجود خونة في التاسوع يعملون لحسابهم»

ـ «ماذا تقول!؟»

ـ «هذا ما قاله من اختطف أهل (أسمايا) لها، لذلك لم نستطع إخبارك فنحن لا نعرف هويتهم داخل فريقك يا سيدي»

ثم صمت هنيهة قبل أن يتابع بكلمات بطيئة مترددة، معبراً عن بعض من مخاوفه الشخصية:

ـ «كذلك لم نستبعد حقيقة أن تكون أنت أيضًا منهم»

ـ «هل تشك فيَّ يا (چيكا)!؟»

ـ «هناك من أخبرني ألا أسلم ثقتي كاملة لأي شخص، خاصة حين يتعلق الأمر بمصير عالمنا السحري، سيدي الجريوم»

صمت (توت) للحظات، وقد أدرك من هم أصحاب هذه النصيحة، لم يحب أن يكشف معرفته بكيان (ست) وحقيقة النبوءة لـ(چيكا) و(أماليا). كما أن (چيكا) عانى الكثير مؤخرًا وقد كتم أسراره عن والدته ومعلمته ومديره، لابد أنه من أكثر الناس شكًا في العالم.

تحدث (توت) ردًا على تلك الاتهامات قائلًا بهدوء:

ـ «أتفهم شكك ومعاناتك يا (چيكا)؛ أنت تحمل إرث عداوة عمرها آلاف السنين وقد تعرضت لنيرانها في معركة البحيرة، لكن لو كنتُ بالفعل أحد رجالهم لسمحت لهم منذ أمد بعيد بالدخول للمدرسة ونقلت لهم كل مخازنها وأسرارها، بينما دائمًا كنت أقف كجبل صلد أمامهم، رافضًا تمامًا أي فرصة يحاولون استغلالها للاطلاع على أسرارنا»

كان ما قاله مطمئنًا ومنطقيًا، وقد فكر فيه بالفعل. لكنه حين أنشأ (العين السحرية) وجعلها سرية، كان مدركًا لتحذيرات كيان ست بأن الغدر يأتي من أقرب الناس. لا يوجد أفضل من المصارحة بالاتهامات مهما بدت مستهجنة كي تكشف أوراق من حولك، لذا قرر أن يوسع هجومه فنظر نحو من بجوار (توت)، وهو يقول متسائلًا:

ـ «وماذا عن (أماليا) و(دريقا)؟»

تبدلت ملامح السيدتين فور توجيه (چيكا) لأصابع الاتهام لهما؛ ربما تتغاضيان عن أي شيء عدا اتهامها بالخيانة. تدخل (توت) ليهدئ من الوضع المضطرب قائلًا:

ـ «(أماليا) و(دريقا) يحصلان على كامل ثقتي ودعمي، لذلك فهما ليسا تحت طائلة الاتهام. ومرة أخرى يا (چيكا) الصراع مع المجلس ليس بين أبناء (ست) وأبناء (حورس)، بل هو صراع على مستقبل عالمنا السحري بأكمله. (أماليا) و(دريقا) واجها معي المجلس مئات المرات وأئتمنهما على حياتي»

أراحه ما سمعه من (توت). كان يحب أن يفكر في كل الاحتمالات الممكنة مهما بدت غير منطقية، فلم يضع دومًا تقبله أو إيمانه بفكرة ما أو رفضه لها عائقًا أمام تفكيره في أي فرضية محتملة. تنهد كما لو أن ثقلًا عظيمًا قد أُزيح عن كاهله، ثم تابع متسائلًا:

ـ «إذن هل تعرف من الخونة في التاسوع؟»

ما زال اتهامه صوب التاسوع يثير حنق السيدتين، رغم أنه لم يعد يوجه لهما أي اتهام؛ فحقيقة أن طائفتك التي عشت معها وتنتمي إليها تصبح تحت تلك الاتهامات أمر مثير للغضب حقًا. لكن (توت) كان أكثر عقلانية وتفهمًا منهما، فربما يثق في عدد كبير من رجاله، لكنه يدرك أنه لا يقدر على الثقة فيهم جميعًا؛ فالجميع بشر، والبشر تحركه الأهواء والدوافع الشخصية، لذا قد يخطئ بعضهم ويقف إلى جوار الجانب الخاطئ تمامًا، لأي سبب كان. لذا أجابه قائلًا:

ـ «للأسف لا أستطيع أن أحدد من الخونة داخل التاسوع»

ثم استطرد حين نظرت (أماليا) و(دريقا) له ذاهلتين من رده، قائلًا:

ـ «لا يمكنني أن أقول أنني واثق تمام الثقة فيهم جميعًا كثقتي في (أماليا) و(دريقا). نعم لدي مجموعة منهم أئتمنها على حياتي دون تردد لكن البقية لا يمكنني أن أصبح بتلك الثقة المطلقة معهم. ربما استطاع أعداؤنا أن يخترقوا التاسوع مستغلين أي فرصة ضعف قد ظهرت أمامهم، لكني لن أسمح لأحد بوضع مدرستي وطلابي تحت دائرة الخطر»

كان أكثر من يعرفانه حكمة وخبرة في حياتهما. لم تستطع أي منهما إبعاد خيانة (سمهاري) القريبة عن مخيلتهما. لعبت تلك الحادثة دورًا أكبر مما تخيلتاه؛ فربما دقت ناقوس الخطر لدى (توت) فبدأ يراقب تحركات التاسوع ويشك فيهم. كان عدم تقبل عدد من التاسوع فكرة إحياء بيت (ست)

واقعًا لا يقبل الجدال، كذلك ولاء الكثيرين منهم لرايات عائلاتهم السحرية الملكية. لكن ما لم يتوقعاه قط، وبدا أن (توت) لم يتوقعه كذلك، هو أن يتمادى بعضهم بناء على تلك المواقف ليؤدي دورًا في خيانة المدرسة. خلافًا لهما بدا (توت) من كلماته أنه بدأ يتوقع هذا الاحتمال منذ لحظة خيانة (سمهاري)، تلك الحادثة التي فشلت في قرع جرس الخطر داخلهما، فقد مر ما حدث مرور الكرام ولم تفكر أي منهما بعمق كاف في دوافعها وأبعادها. لهذا يستحق (توت) أن يصبح مديرهما ويضعا حياتهما تحت تصرفه دون تردد.

ـ «ماذا سنفعل إذن؟»

ـ «خطة (چيكا) يا (دريقا) ليست مناسبة؛ فهو كان يعتمد على تعطيلهم حتى ننتبه إليهم ونتحرك لإيقافهم. هذه الخطة لا يمكن تنفيذها لأننا بكل بساطة قد عرفنا بما سيحدث. لدينا أكثر من بديل مناسب لها، فببساطة يمكننا أن نمنع دخول أي شخص للمدرسة لكن هذا سيأتي بعواقب وخيمة على الطالبة (أسمايا). لن أقوم بإصلاح خطأ وأصنع خطأ آخر. يجب أن نحمي الجميع بلا استثناء. خطة (چيكا) تمنحنا تلك الأفضلية، حيث أنها تجعلهم يظنون خطأ أنهم قد نجحوا في خداعنا وبالتالي نجاح (أسمايا) في دورها معهم، لكن خطته تحتاج إلى تعديلات كثيرة حتى يمكننا تنفيذها وتحويلها لضربة قاضية للمجلس»

ـ «لو أردت إدخال أي تعديل عليها فسأكون ممتنًا للغاية، فعقلي قد تعب من التفكير ولم أجد أي شيء أضيفه»

ـ «يجب أن نستغل تلك الفرصة الذهبية ونكتشف الخونة في صفوفنا، فحتى لو استطعنا النجاة من تلك المصيبة، فلن يكتفوا بتلك المحاولة بل سيحاولون مرات ومرات. يقف الحظ إلى جانبنا هذه المرة حيث اكتشفنا لاعبهم

الأساسي في خطتهم. علينا أن نستغل وجود (أسمايا) إلى جانبنا؛ فلولاها ما استطعنا اكتشاف تلك المؤامرة في الوقت المناسب. حظنا الجيد جعلنا نكتشف ما يخططون له مبكرًا وهذا ما سيجعلنا نضع خططًا مسبقة لإيقافهم، كذلك سنضع خطة لكشف من يساعدهم من التاسوع. يجب أن نبتر ذلك العضو الفاسد داخل جسدنا أثناء تصدينا لهذه المكيدة حتى نقدر على أن نحمي أنفسنا لفترة أطول. إن فلتت هذه الفرصة من بين أيدينا فلن نحصل على مثيلتها في المستقبل، حيث سيكونون أكثر حرصًا وحذرًا ومن العسير أن يقف الحظ إلى جانبنا مجددًا. لكن إن نجحنا في التشبث بها وكشف كل فئرانهم فستكون تلك ضربة قاصمة لهم ولمن معهم خاصة أنهم بذلوا الكثير في سبيل الحصول على هؤلاء الخونة. ستكون خسارتهم الفادحة لهم أكبر انتقام لنا، وستشل كافة خططهم ضد مدرستنا لسنوات طويلة إن لم يفقدوا الأمل ويشعروا باليأس قبلها. لا أبالغ إن قلت أننا أمام مفترق طرق قلما يحدث في تاريخ هذه المدرسة»

لم يعرف (چيكا) أنه كان يحمل عبئًا بكل هذا الثقل على كاهله إلا حين سمع كلمات (توت)؛ فما قاله (توت) تجاه (أسمايا) ضمن له أنه لن يعاقبها أو ينظر لها باتهام تجاه ما اقترفته تجاه المدرسة. أزاحت تبرئة (توت) التي يقدرها للغاية ذلك العبء فشعر بروحه تتحرر من ثقل مرير. الآن لن يقلق على (أسمايا) فهناك شخص يستحق أن يعتمد عليه في حمايتها وحماية نفسه وفريقه والمدرسة. اكتسب (توت) عن جدارة ثقة (چيكا) المطلقة وولاءه التام له. لم يكن (توت) جاهلًا عن قراره الذي اتخذه بحق (أسمايا). فمن غير المنطقي في وجهة نظره أن يعاقب شخصًا أُجبر على القيام بخطأ، وإلا سيتعرض لعواقب وخيمة، خاصة إن كان العقاب ذاك موجهًا لعائلته. مهما بلغ أي شخص من قوة وجبروت فإن عائلته دائمًا ما تكون الجانب الأضعف له. لم يكن قلقًا من مهمة إنقاذ المدرسة دون الإضرار بطالبتها ولا

عائلتها، لكن ما مثل له صداعًا هو كيفية كشف خونة التاسوع أثناء ذلك. كان يدرك مدى أهمية هذه الفرصة التي سنحت له حتى يكشف حقيقة أتباعه من التاسوع. مثلت تلك الفرصة له كنزًا ثمينًا يوقن في داخله أنه لن يجده مجددًا. لكن كيف سيدفع أولئك الثعابين للخروج من جحورهم؟ لابد أن يضع خطة دقيقة ويراجعها مليًا بكل تفاصيلها ويفكر في كل الاحتمالات الممكنة حتى يقدر على تطهير بيته منهم. كان بحاجة للتفكير كثيراً في هذا الشأن، وأخذ رأي من يثق فيه من أتباعه الموثوق فيهم؛ فعليه ألا يهمل أي فرضية مهما بدت ضعيفة. لكن ما كان يعرفه بالفعل أنه كي يحصل على مراده عليه أن يدفع ثمنًا لذلك؛ فلا يوجد في هذه الحياة شيء يُقدم دون مقابل. عليه فقط أن يُحدد هذا الثمن ومدى آثاره المستقبلية على مدرسته حتى لا يدفع ثمن رغبته باهظًا.

ـ «كيف سنفعل ذلك يا سيدي؟»

لاحظ (توت) تغير نبرة حديث (چيكا) له، فقد تحول موقفه تمامًا وظهر ذلك باديًا على طريقته للحديث معه. ابتسم (توت) حيث ما زال اكتسابه لفرد جديد ينضم لقائمة أتباعه الموالين له حدثًا سارًا يدفع السعادة في نفسه. قال مجيبًا على تساؤله:

ـ «لا تُقلِق نفسك يا (چيكا) بتلك التفاصيل؛ فسأتولى أنا بنفسي تلك المهمة. أريدك أن تستمر في خطتك بتدريب مجموعتك وتقويتها. حين أنتهي من كافة تفاصيل الخطة وأضع الرتوش النهائية عليها سأخبرك بتفاصيلها وما عليك أنت وفريقك من دور فيها»

ـ «لا مشكلة لدي، سأواصل مهمتي مع فريقي وسأنتظر خطتك، سيدي»

ـ «(دريقا)، أريدك أن تساعدي (أسمايا) في صنع أكبر قدر ممكن من الوصفات التي يمكنهم استخدامها»

ـ «هذه مهمة سهلة، لكن أعتقد أن (أسمايا) بمفردها ستكون كافية في صنع ما يحتاجونه من أجل المنافسة»

ـ «هذه الوصفات لن تكون حكرًا على فريق (چيكا) لاستخدامها في المنافسات فحسب، بل ستستخدمها الفرقتين في أثناء مواجهتنا المصيرية مع هذا المجلس وخونته»

أدركت ما كان يلمح إليه، فقالت في سرعة:

ـ «حسنًا، لقد فهمت. سأتوجه حالًا للتجهيز لمساعدتها»

ـ «(أماليا)، أريدك أن تستدعي فرقتي الخاصة لاجتماع طارئ»

ـ «فرقتك الخاصة، سيدي؟»

ـ «نعم يا چيكا، هل تعتقد أنك أول شخص يفكر في إنشاء مجموعة سرية خاصة به بالمدرسة؟»

ثم غمز له فابتسم، فلم يتوقع أن يكون رأس المدرسة له فرقته الخاصة. أشعره ذلك بمزيد من الثقة والاطمئنان. شعر بالراحة والطمأنينة حيال هذه النتيجة التي حصل عليها في نهاية المطاف، حيث كانت أكثر أجزاء خطته خطورة تتمثل في إخبار (توت) بتلك المعلومات وتوقيتها، وهو ما مثل له صداعًا كبيرًا، خاصة في ظل رفض (أسمايا) التام لتلك الخطوة متعللة بمخاوفها الشخصية. كان منبع تردده نابعًا من عدم مقدرته على توقع ردة فعله تجاه ما سيقول، لذلك على الرغم من كشف كل شيء له دون تخطيط مسبق إلا أنه كان ممتنًا لما أظهره (توت) تجاهه وتجاه (أسمايا). الآن ستتبخر كل مخاوفها وستفرح لاريب حين تعرف كل ما حدث بالتفصيل لتعلم أن مخاوفها لم يعد لها وجود. أخبره (توت) قبل رحيله بصحبة (أماليا) و(دريقا) بضرورة استمراره في التدريبات دون توقف؛ فالمنافسات

قد أوشكت على البدء وهو يريدهم أن يكونوا ضمن الفرق التي ستمثل المدرسة في المستقبل. كذلك وعده بأنه سيساعده كثيراً هو وفريقه كي ينافسوا بجدية على الفوز بالكأس في نهاية المطاف حتى ينجحوا في هدفهم الأكبر بالحصول على مفتاح حياة عالم دوات كخطوة أساسية لا غنى عنها في مهمة إنقاذهم لعائلة (أسمايا). تحرك الجميع بعدها متجهين في درب مختلفة كل نحو مهمته الخاصة. تحركت (دريقا) لمنزلها لتستعد في دورها لمساعدة (أسمايا) في صنع الوصفات، أما (أماليا) فقد تحركت لتخبر أعضاء مجموعة (توت) بطلبه للقائهم. تحرك (توت) صوب مكتبه حيث سيدخل في تفكير عميق منتظرًا تجمع أفراد مجموعته لسماع اقتراحاتهم بشأن الخطة التي يعتزم وضعها. أما (چيكا) فعاد أدراجه مجددًا للداخل حيث ينتظره مزيد من الأسئلة التي يحتاج لأجوبة عليها ومساعدة أخرى من معلميه الأربعة يتمنى أن تكون بقدر ما يأمله.

⟦ الفصل العاشر ⟧

انهمكت (أوتارا) في مساعدة (أسمايا)، حيث طلبت الأخيرة منها تجميع مجموعة متنوعة من النباتات حولها. شكّل حلول الظلام حولهما تحديًا كبيراً حيث حاولا تذكر أماكن النباتات التي شاهداها من قبل في وجود الضوء قبل احتضاره. كان يومًا غريبًا حيث لم تحضر (أماليا) ولا (دريقا) إلى تدريبات فريقهما. كذلك زاد اختفاء (چيكا) لأول مرة عن تدريبات الفريق من غرابة الأمر، فلم يغب قط عن لقائهم منذ بداية التدريبات. لم يعرف أي منهم وسيلة للتواصل معه لتؤنب (أسمايا) نفسها على عدم التفكير قبلًا في وسيلة للتواصل معه حين يغيب. لكن حقيقة أنها أول مرة يختفي هكذا عنها بعدما تجاوزت معضلة كشفه لسرها جعلتها تشعر بعدم اطمئنان تجاه هذا الأمر. لم يجد الفريق بُدًا من مواصلة تدريباتهم اليومية على التعاويذ والوصفات الرعموية، لكن بعد فترة من الوقت شعروا بالملل وقرروا التفرق ليؤدي كل منهم دوره المنوط به داخل مجموعة العين. ظلا يعملان دون كلل أو ملل، لكن وسط هذا العمل كله بدا خيالٌ ما غريب يقف أمامهما في ثبات ليثير زوبعة من القلق المباغت داخلهما. توقفتا عن أي شيء يفعلانه، ليحدقا في ثبات صوب من يقف أمامهما. بعد ثواني من التحديق نحو المتطفل عليهما استطاعتا معرفة هويته، ليقع قلباهما في أسفل أقدامهما. تلعثمت (أسمايا) وهي تقول محاولة الخروج من عباءة هذه المفاجأة غير السارة لها:

ـ «سيدتي (دريقا)، كنا نحاول التدريب قليلًا واللهو في الحديقة»

ـ «دعينا من هذه الكذبة؛ فلقد أخبرني (چيكا) كل شيء»

كانت صدمة (أسمايا) أكثر إيلامًا من مثيلتها لدى (أوتارا). تمتمت (أسمايا) في رعب بالغ قائلة:

ـ «ماذا تقولين!؟»

ـ «لم أعرف بمفردي ،ولكن عرف (توت) وكذلك (أماليا)»

دب الذعر في أوصالها وقلبها أوشك على أن يقف تمامًا عن الخفقان. تجسد أسود كوابيسها حقيقة أمام عينيها، لتقف عاجزة عن التفكير فيما سمعته لتوها. اتسعت عيناها على آخرهما وشحب وجهها للغاية، لكن لعب الظلام دورًا عظيمًا في إخفائه عن أعين (دريقا) المتفحصة لكل شيء. تعالى صوت (دريقا) داخل رأسها يُكرر ما قالته لتوها. سمعت صوت شرخ عظيم أصاب جوانب عقلها، وتبعه زلزال عنيف هز كيانها. لم يكن الدوار القوي الذي أصابها هو ردة فعلها الوحيدة إزاء ما سمعته، بل تحول رعبها العظيم إلى غضب مخيف تجاه (چيكا). لقد خانها هذا الأحمق وقام بإخبارهم بكل شيء، رغم تأكيدها عليه بعدم اتخاذ هذه الخطوة. أقسمت أن تقتله بنفسها حين تراه، وإن كان موته مرة واحدة لا يشفي غليلها. بدأ غضبها يغلي داخل جسدها الذي تحول لآتون مشتعل يحيل كل أفكار وأماني وخطط إلى رماد. تحول شعورها بالأمان والراحة في الأسابيع القليلة الماضية إلى خوف عظيم، وقلق لا مثيل له، وغضب لا يمكنها كبته. عاد عقلها بصعوبة ليعمل وسط هذا الجو العنيف غير الملائم لأي تفكير عميق يمتاز به، ليستقر على أن أهم أولوية لها الآن أن تعرف ما الذي قرره هؤلاء الثلاثة بشأنها. كانت (دريقا) تعرف جيدًا قصتها، لذا خمنت ما تشعر به الآن، فسارعت بشرح كل شيء في إيجاز، لتقول في نهاية المطاف:

ـ «لذا وكَّلني المدير (توت) بمهمة مساعدتكما في صنع أكبر قدر ممكن من الوصفات»

لم تستوعب (أسمايا) كل ما سمعته من (دريقا) دفعة واحدة، لكنها حاولت أن تتمالك نفسها قدر المستطاع وتفكر فيما سمعته. كان قرار (توت) بتبرئتها من أي اتهام بمثابة المهدئ البسيط لما تشعر به من مشاعر في غاية الحدة والتطرف. ساعد ذلك التأثير البسيط على منح عقلها متنفسًا كي يعمل بأفضل من ذي قبل. بدأت تحلل كل ما سمعته لتدرك أن الكثير من الأمور قد تغيرت، لقد صار تدخل (توت) و(آماليا) و(دريقا) وأعضاء تلك الفرقة التابعة لـ(توت) أمرًا مفروضًا عليها، لذا يجب أن تفكر في وسيلة لتتجنب إثارة أي ذرة ريبة منهم تجاهها. ما إن تذكر عقلها (كريم) وخطط المجلس العالمي للسحرة حتى فقد مجددًا ما اكتسبه لتوه، حيث أدركت بغتة أن (كريم) سيعرف كل ما سمعته للتو، وبالتالي سيدرك أنها قد خانته وأخبرت الجميع بالسر الذي بينهما. شعرت بجفاف حاد في حلقها ومعه بدأت روحها تذبل، ومشهد موتها عاد ليفرض نفسه بقوة أمام مخيلتها. شعرت بالدوار من جديد وكادت أن تقع على الأرض، لولا أنها تمالكت نفسها في آخر لحظة. سارع عقلها بمنحها فكرة وضعت بها حدًا للانهيار الحاد الذي كانت تمر به. عليها أن ترجئ تفكيرها في تلك المصيبة لاحقًا؛ فما يجب أن تركز عليه الآن هو الخروج من هذه المواجهة بسلام. ردد عقلها عبارة قديمة كانت عادة ما تقولها لنفسها حين تشتد عليها الظروف، «عليكِ أن تفكري في كل المشاكل مشكلة تلو الأخرى حتى تقدري على حلها»، كانت تلك عبارتها الأثيرة أثناء حياتها في دار الأيتام قديمًا، وقد استعان بها عقلها ليعيد بعضًا من الاتزان لها، وقد نجح في ذلك. لم تكن لتقع في كل هذه المصائب لولا معرفة (چيكا) بسرها وما اقترفه من جرم عظيم بإخباره لغيرها. أقسمت مجددًا أن تقتله حين تراه؛ فما تكنه له من حب ومشاعر دفينة تحول مع كم عظيم من الرعب إلى كراهية وغضب بالغين تجاهه. أزاحت تلك المشاعر بصعوبة بالغة لتفكر في كيفية التعامل مع (دريقا) الواقفة أمامها. كان عقلها رغم بطئه فعالًا للغاية؛ فقد أدركت أن موقفها الحالي في أمان بعدما تحدد قرار (توت)

بشأنها. كذلك هناك نقطة يجب أن تستغلها حق استغلال، تلك الكذبة البسيطة التي منحتها لـ(چيكا) صارت طوق إنقاذ عظيم لها. لم تتخيل حينها أن ما قالته زورًا قد يساعدها على التحكم في فريقها بعدما آمنوا بقضيتها، والآن الأمر ذاته يتكرر لكن مع أشخاص في غاية القوة والنفوذ. ما استنتجه عقلها من كلمات (دريقا) الكثيرة أن (توت) ومن معه يؤمنون بقضيتها ويتعاطفون معها ويفكرون في حمايتها من (كريم) والمجلس حتى لا يضعوا أهلها في مزيد من الخطر، كذبة صغيرة نمت لتصبح شجرة عظيمة مليئة بالأكاذيب. لم يهمها ما وصلت إليه كذبتها قدر ما يجب ما تفعله مستغلة إياها لحماية نفسها، أدركت أن نجاتها من الموت مرتبط حتميًا بقدر استغلالها لتلك الكذبة. إن لم تستغلها بالشكل الأمثل وإن قامت بخطأ واحد حتى لو كان تافهًا أو تغاضت عن جزئية حتى إن بدت هامشية فستموت. عزت (دريقا) تبدل ملامحها وعدم اتزانها، وما بدا عليها من ضعف ورعب إلى مشاعرها المتضاربة الآن داخلها، خوفًا على مصير والديها. لم تنتظر (دريقا) حتى تسترد (أسمايا) ثقتها ويضيع قلقها البادي عليها وأن تدرك أنهم جميعًا وفي مقدمتهم (توت) يفكرون في كيفية التصدي لتلك المؤامرة دون الإضرار بوالديها، حيث لم يكن هناك مزيد من الوقت لتضييعه لذا قالت في صوت قوي جاد:

ـ «علينا أن نبدأ بالعمل الآن، أرجو أن تستمعا إلى كلماتي جيدًا فلن أكررها سوى هذه المرة فقط. أنا هنا من أجل مساعدتكما على صنع أكبر قدر من الوصفات في الفترة القليلة المتاحة لنا»

شعرت (أوتارا) بالاطمئنان إزاء إعلانها الذي قالته، فرغم ما شرحته من ملابسات ما حدث، وذكرها أن (چيكا) قد وثق في (توت)، واعتمد عليه في وضع الخطة التي سيتحركون جميعًا بناء عليها، إلا أن قلقها على صديقتها التي بدت مصعوقة ومرعوبة للغاية كلما اختلست النظر إليها كان يشغل

تفكيرها. تنهدت (أسمايا) متصنعة الطمأنينة وعقلها يحاول إعادة فرض سيطرته على كل جوارحها ليعود وجهها ببطء إلى طبيعته. كانت تدرك أنها يجب أن تتوقف عن إظهار مخاوفها وارتباكها وحيرتها علانية أمام (دريقا)؛ حيث أن بتصريحها ذاك بتلك النبرة التي دفعت بمزيد من التوتر داخلها استهدفت طمأنتها وإزالة قلقها الذي ما زال متقدًا مع مخاوفها بحيوية لا مثيل لها. لو تمادت في إطلاق العنان لما تشعر به بتلك الطريقة فستشك (دريقا) فيها خاصة أن ردة فعلها المبالغ فيها من وجهة نظر الأخيرة بدأ بجذب الانتباه إليها، وإن جذبت انتباهها أكثر من هذا فسيشكل ذلك لها مشكلة. مشكلة كتلك بتبعاتها الكثيرة هي آخر ما تحتاجه، فموقفها العصيب بالغ الخطورة لا يحتاج لمزيد من التعقيد، وهو ما اهتدى إليه عقلها أخيرًا بأنها في غنى عن هذه المخاطرة، عليها أن تسير على خط رفيع للغاية إن أرادت النجاة. شعرت (دريقا) بالراحة إزاء تفهم (أسمايا) أخيرًا لنواياهم تجاهها، لذا تابعت قائلة:

ـ «الوصفات لا تعني مجرد وضع مجموعة من النباتات سويًا؛ فهذا ليس درسًا للبستنة. الوصفات تحتاج لدقة في انتقاء النباتات؛ فجودة النبات نفسه المعتمدة على مقدار نضجه وطريقة تغذيته تشكل عاملًا محوريًا في قوة أي وصفة. النباتات الجيدة والمقطوفة حديثًا لها قوة أعلى من غيرها، لذا لا تجمعوا كمًا ضخمًا دفعة واحدة، بل يجب جمع ما يكفي لعمل وصفة معينة، ثم ننتهي منها وننتقل إلى غيرها. لا تختاروا نباتات صغيرة، بل انتقوا الناضج الكبير منها. توقيت وضع النباتات في القدر المخصص لصنع الوصفة يجب أن يتم بدقة متناهية، لذلك سأكون مسؤولة بنفسي عن توقيت وضع النباتات في القدر، والآن لنجعل المكان أكثر إضاءة»

تمتمت بشيء ما، ليلمع طرف صولجانها، ثم اندفعت من طرفه غير المستوي دفقة من الضوء نحو السماء، كانت كرة من اللهب سرعان ما وقفت عند

مسافة معينة، وبدأت تشع كمًا هائلًا من الضوء البرتقالي البراق الدافئ. تحول المكان حولهم بغتة إلى بقعة من الزمن في منتصف نهار حار صافٍ تمامًا. تلفتت (أوتارا) حولها في إعجاب لم تحظَ (أسمايا) به لانشغالها بالكارثة المحدقة بها، قبل أن تتابع (دريقا) ملوحة بعصاها صوب منطقة أمامهم فارغة من أي نباتات بفضل مجهودات تلميذتيها:

ـ «لنحضر مجموعة القدور إلى هنا»

همهمت مجددًا بصوت خفيض، ليظهر دخان خافت من طرف صولجانها، ليتشكل على هيئة ضباب كثيف أمامها غطى مساحة واسعة. ما إن انقشع حتى ظهرت مجموعة كبيرة يتجاوز عددها الخمسون قدرًا أسفل كل منهم لهب كثيف يتولى إبقاء النار مشتعلة. تحدثت (دريقا) قائلة كما لو لم تفعل شيئًا غريبًا لتوها:

ـ «لنبدأ العمل إذن»

ثم بدأت في تحضير الوصفات مع تلميذتيها، وسط سباق محموم مع الزمن للانتهاء من كل شيء قبل فوات الأوان. حاولت (أسمايا) أن تشاركهم ما يقومان به حتى لا تبدو غارقة في أي هموم كما هو واقع الحال. انتهى يومها ببطء بالغ شاعرةً أن عقارب الساعة لا تتحرك قط، لم تكن تصدق نفسها أنها قد انتهت من ورطتها مع (دريقا) و(أوتارا) حتى اندفعت بعد أن ودعتهما لتغادر بمفردها صوب بيتها. تابعتها (أوتارا) وما فعلته (أسمايا) لتوها بالرحيل دونها قد ضايقها، لكنها تلمست لها العذر حيث مؤكد أنها لم تتخلص بعد من قلقها. لم تعرف (أسمايا) كيف وصلت إلى حجرتها لكن ما إن أوصدت بابها بإحكام حتى أطلقت لمشاعرها العنان. انفجرت تهشم كل ما يصل إلى يديها صارخة بعلو صوتها في نوبة غضب شديدة الهياج. مر وقت طويل حتى خمدت حركتها وهوت إلى الأرض بقدميها اللتين خارتا

لتنهمر سيول من الدموع من مقلتيها. كان المكان حولها مهشمًا إلى قطع صغيرة تناثرت على أرضية الحجرة، عدا مرايتها الثمينة الغالية عليها حتى في أشد نوبات جنونها. لم يسلم فراشها الذي أخرجت محتويات قلبه ليتناثر الريش الثمين للنعام في كل ذرة هواء بالغرفة. سعلت في شدة وصدرها لا يقوى على مواصلة تنفسه مع موجات من البكاء الهستيري تتخللها لحظات نشيج صامتة. قضت ليلتها تلك مستلقية على الأرض لتنتهي من بكائها لتحدق في الفراغ دون هداية وقد ضاع عقلها وسط غياهب مخاوفها وأفكارها لتفقد وعيها في مكانها دون حراك وقد انتهت أسوأ ليلة مرت عليها في حياتها، لتتفوق بجدارة على ليلة مقتل والديها.

⟦ الفصل الحادي عشر ⟧

أخذت الرياح الباردة تهب في عنف محملة بأطنان من الثلج الأبيض. اكتست كافة الطرقات وقمم المباني بأطنان من الثلج، حيث تمر بالمنطقة عاصفة ثلجية عنيفة تستمر لعدة أيام. وسط هذا الجو العاصف تحركت سيارة دفع رباعي بسرعة متهورة كما لو أن العالم على وشك الانتهاء. جلس (كريم) في المقعد الخلفي متشبثًا في مقبض مغطى بجلد حيوان ما لا يميزه، حيث كانت عيناه مثبتتان فوق هذا السائق المتهور الذي أتى ليأخذه من المطار. كان قد تلقى إخبارية تفيد بضرورة حضوره بأقصى سرعة لمقر المجلس العالمي للسحرة. وها هو ذا يقبع في مكانه مرتعدًا من مصير قد يلقاه بسبب تهور هذا السائق الذي أرسلوه له. تيقن أنه مخمور فليس من الحكمة القيادة بتلك السرعة الجنونية على طريق مثل هذا، حتى لو كان طريقًا فسيحًا يخلو من كل السيارات التي تجعله عادة مزدحمًا للغاية. بين كل صفير يصدر من إطارات السيارة وتموج قوي يرج جسدها المعدني الضخم يقع قلبه بين قدميه ويكاد يرى نهايته تلوح له من قريب. حالما وصل إلى الفيلا الخاصة بالاجتماعات السرية للمجلس كان يقسم أنه كاد يبلل بنطاله من فرط الرعب. فتح باب العربة وترجل منها ليتحسس الأرض بقدميه غير مصدق لنجاته. نظر للسائق وهو يسير بجواره ورغم رغبته في قتله إلا أنه كان خائر القوى لا يقدر على فعل شيء، فاستمر في سيره البطيء كما لو كان طفلًا صغيراً يتعلم السير. أخذ يلعن شركاءه على إحضاره في هذا التوقيت السيء للغاية وبتلك الطريقة المتعجلة. كانت الرسالة التي وصلت إلى محموله مقتضبة، ولم تفلح محاولاته في التواصل مع أي منهم قط. أحدث ذلك في نفسه شكًا عميقًا جعله لا يستبشر من هذا الاجتماع المريب أي خير. قبل أن يتحرك لمطار القاهرة حاول أن يعرف أي أخبار عن

المجلس من الرجال الذين دسهم بالداخل، لكن لغرابة الموقف لم يقدر على التواصل مع أي منهم. لم يعتد منهم هذا التجاهل بعدم الرد على مكالماته لذا تفحص هاتفه وهو يعبر بوابة الفيلا التي فتحتها الخادمة له. عبر الردهة الفسيحة غير عابئ بأي شيء فيها، مثبتًا بصره فوق هاتفه الخالي من أي اتصال أو حتى رسالة. زاد ذلك من عمق شكوكه وجعله يفطن إلى مدى سوء هذا الاجتماع له. تفحص صولجانًا كان يخفيه داخل بدلته الرسمية السوداء اللامعة، ليشعر ببعض من الطمأنينة لوجوده. كان قد وصل إلى نهاية الطرقة الطويلة التي تؤدي إلى قاعة الاجتماعات الوحيدة في هذه الفيلا والتي يجلس خلف بابها الموصد تسعة من كبار السحرة في القارات الخمس ينتظرونه. لم يتردد وفتح باب القاعة وأغلقها خلفه ثم استدار محدقًا نحوهم. وقعت عيناه على التسعة الذين يشاركونه قيادة هذا المجلس ولفت انتباهه وجود شخص آخر لا يعرفه يقف باحترام متحفزًا بملامح متوترة للغاية. كانت خلفه شاشة بيضاء ضخمة بدت كشاشة عرض لسينما منزلية. يبدو أنهم يحضرون له شريطًا ليعرضوه عليه. جذب مقعده دون أن يحييه أحد منهم وجلس والصمت مخيم على المكان. جاء حضوره ليقاطع نقاشًا بدا حاميًا، لكنهم لم ينتووا إشراكه فيه بعد. جذب كمغناطيس قوي كافة الأنظار إليه ليشعر بالتوتر يزداد لمرحلة خطيرة داخله. بدأ يتصبب عرقًا من كل هذا التركيز مع الصمت المريب الذي قرر كسره قائلًا:

ـ «أهلا بكم جميعًا، لماذا أنتم صامتون هكذا؟»

رنت لكنته الإنجليزية المميزة في أرجاء المكان، ليسمع صداها كما لو كان جالسًا بمفرده. ابتلع ريقه حين لاحظ تلك الحدة في النظرات التي توجه إليه. كان (أوكايو) أول من تحدث قائلًا بنبرة حادة، بدت عدائية بشكل مبالغ في لـ(كريم)، قائلًا:

ـ «هل تذكر ما أخبرتنا به حين ناقشنا تفاصيل الخطة الخاصة بمدرسة عين حورس المصرية؟»

ـ «بلى، هل تريد أن نعيد النقاش فيها من جديد؟»

ـ «لندع تلك الإجابة بعد أن نشاهد سويًا هذا الفيديو؛ فهو سينال إعجابك»

لم يفهم (كريم) سر هذا الهجوم من شريكه، ولا تلك المعاملة الجافة التي ينالها من البقية، لكنه اعتدل وركز بصره على تلك الشاشة التي تحرك الوافد الغريب الواقف إلى جوارها ليستخدم جهازًا صغيرًا كان يخفيه في يده بعدما أشار له (أوكايو) إشارة مغزاها أن يبدأ. خفتت حدة الإضاءة بالمكان لتتناسب مع متطلبات عرض الفيديو على الشاشة والذي بدأ يظهر بصورة باهتة سرعان ما اتخذت طريقها السريع للوضوح. ظهرت أمام (كريم) (أسمايا) وهي تقوم بتجميع نباتات وزهور من أرض شاسعة بدت كحديقة لا حدود لها مليئة بتلك النباتات الغريبة التي تقطفها بأيديها. ظهر صوت عال بوضوح جدًا بصوت يعرف (كريم) أنه يعود لـ(أسمايا) وصوت شخص آخر كان يقف إلى جوارها ويساعدها في عملها بنفس الطريقة بالضبط. بدا من طريقة حديثهما أنهما قريبتين للغاية من بعضهما، ربما صديقتين. كان هذا خبرًا جديدًا عليه حيث كان يعرف أنها شخصية انعزالية لا تكترث للصداقة ولا للحب، لذا فطن أنه ربما تقوم (أسمايا) بتصنع مصادقتها في سبيل تحقيق أحد أهدافها. لم يعرف المغزى وراء عرضهم لذلك المشهد خاصة أنه لم يحمل أي شيء قد يضعه تحت مظلة الاتهام التي يؤمن الآن أنه موضوع فيها. نظر نحو (أوكايو) نظرة تساؤل وحيرة، فحرك رأسه بطريقة تعني أن يعود ليحدق في الشاشة. نظر من جديد نحو الفيديو وعقله يتساءل لماذا لم يخبره رجاله الذين دسهم وسط المسؤولين عن مراقبة (أسمايا) طيلة الوقت بتلك المشاهد الجديدة. تذكر أنه لم يتلقَ منهم أخبار منذ فترة ليست بالقصيرة، لكن نظرًا لانشغاله بأمور المجلس والتحضير

للهجوم على المدرسة وثقته بما تقوم به (أسمايا) فلم يلحظ ذلك إلا الآن. بدأ المشهد المتكرر والمتقطع بسبب لا يعلمه أحد حتى الآن بالتغير بظهور شخص جديد بدا وجوده مباغتًا لـ(أسمايا) ومن معها. بعدها أخذ يستمع بوضوح لكلمات أصابته بشلل تام وكلما استمرت (دريقا) في حديثها مع (أسمايا) كلما ارتعد جسده أكثر وصارت أنفاسه حبيسة صدره لا تقدر على الخروج بسهولة. لم يقدر على الشعور بأطرافه ولا بأي جزء من جسده حين انتهى عرض الفيديو وعادت الإضاءة القوية من جديد لتعيده من جديد إلى الواقع. أخذوا ينظرون له بثبات وقد أدرك مغزى هذا الاجتماع المباغت وتلك الطريقة في معاملته. ابتلع ريقه ليجد مرارة تثير الغثيان بحلقه. عاد (أوكايو) بعد برهة من الصمت والتشفي من غريمه الذي طالما كان يعارضه في كل شيء ليقول بنبرة بدت سعيدة بما وصل إليه (كريم) من انهيار:

ـ «هل عرفت الآن الإجابة على سؤالك؟»

شعر (كريم) أن الزمن بين سؤاله السابق وبين سؤال (أوكايو) عمر كامل. حاول الاعتدال في جلسته وعقله يعاني في سبيل أن يفكر بسلاسة كما اعتاد دومًا حتى في أحلك المواقف. تلعثم وهو يقول مجيبًا على (أوكايو) بنبرة بدت انهزامية للغاية:

ـ «نعم يا (أوكايو)، لقد عرفت»

ـ «إذن ما قولك فيما رأيت الآن؟»

لم يعرف بم عليه أن يجيب شريكه الكريه ذاك. لطالما كره (أوكايو) تواجده في هذا المجلس دون سبب واضح، وها قد أتت له الفرصة مواتية على طبق من ذهب ليطيح برأسه من فوق كتفيه. تلعثم وعقله يمنحه الإجابة بشكل بطيء للغاية قائلًا:

ـ «أرى أن هناك دافعًا قويًا لما فعلته (أسمايا)»

انفجر (أوكايو) فيه بغضب بالغ، وهو يقول:

ـ «لقد خانتنا تلك المصرية. لقد أخبرت (توت) وجميع من نخشاهم بالمدرسة بشأن خططنا. لقد عرفوا أننا سنهاجمهم. عرفوا الطريقة والتوقيت والهدف من هجومنا. هل ما زلت تدافع عنها؟ لماذا؟ هل أنت متواطئ معها؟»

انتصب جسد (كريم) واقفًا في غضب بالغ، ليسقط مقعده على الأرض خلفه، متسببًا في صوت ارتطام عالٍ، ثم اندفع مهاجمًا بشكل عنيف، صائحًا:

ـ «هل تتهمني في ولائي للمجلس؟ من أنت حتى تقول مثل هذا الاتهام؟ أين كنت حين دفعت من دمي ثمنًا غاليًا في سبيل تأسيس هذا المجلس؟ هل ضحيت بنفسك وحياتك أكثر من مرة حتى تشاهد هذا المجلس يتجسد على الواقع؟ أنت مجرد كائن طفيلي جئت تتغذى على مجهودات الذين سبقوك بتضحياتهم. ماذا قدمت من تضحيات حتى تجلس هكذا وتتهمني؟ أنت لا تعرف شيئًا عن تاريخ المجلس، فلا تتحدث كأنك أحد من آمنوا بالفكرة وعملوا على تحقيقها. أنت مجرد حشرة لم تقدم للمجلس يومًا أي شيء. إن كان الاجتماع هنا من أجل محاكمة أحد فلنحاكمك على تقصيرك وعدم عملك للمجلس وجلوسك كالأبله تريد أن تستفيد منا دون أن تفعل شيئًا»

وقف الجميع على أقدامهم وأمسكوا بـ(كريم) و(أوكايو)، قبل أن يتحول هذا النزاع إلى عراك بالأيدي. استطاعوا أخيرًا فصل التلاحم الجسدي الذي كان على وشك الحدوث، ليأخذ فريق (أوكايو) بعيدًا وهو يلقي بالسباب واللعنات بلغته اليابانية، وكريم الذي كان يرتجف من شدة الانفعال. وقف أمامه (جون) و(ألكسندر) و(يونج) ومعهم (كلير)، ينظرون نحوه نظرات تحمل اللوم والحزن أكثر من الاتهام. كانوا الخمسة جميعهم من عانى في سبيل تأسيس هذا المجلس، لذا تفهم الأربعة سر حنق وغضب (كريم)

البالغ تجاه (أوكايو). على الرغم من أن (أوكايو) كان محقًا في غضبه، لكن ما فعله تجاه (كريم) لم يكن مقبولًا لأحد منهم؛ فهم يعرفون ما الذي عاناه رفيقهم حتى يصلوا بالمجلس إلى المكانة التي هم فيها الآن، لولا تضحياته وتضحياتهم ما استطاع أشخاص مثل (أوكايو) أن ينعموا بسطوة ونفوذ المجلس الحالية. بعدما هدأ (كريم) قليلًا نظر لأصدقائه قائلًا في نبرة تحمل كثيرًا من اللوم:

ـ «لقد أخبرتكم سابقًا عن رفضي الشديد لانضمام من لم يكن معنا حين قررنا أول مرة أن نؤسس المجلس. هؤلاء لا يفهمون كم التضحيات التي بذلها كل منا في سبيل الوصول إلى ما نحن فيه الآن»

ـ «لا تغضب من كلمات هذا المعتوه؛ فأنت تعرف أنه يكرهك كثيرًا»

ـ «أنا لا أكترث له، ولكن حين تحضروني إلى هنا يا (يونج) لتحاكموني فحينها يحق لي أن أغضب وأنفعل»

تردد (يونج) في الرد عليه، كما تردد من إلى جواره. نظروا لبعضهم البعض نظرات صامتة تحمل الكثير من المعاني. لقد كانوا شاهدين على تحركات (أوكايو) المكثفة حين اكتشف هذا الفيديو بطريقة لا يعلمونها حتى الآن؛ فـ(أوكايو) لا يتمتع بالصلاحيات التي تجعله قادرًا على الوصول إلى غرفة المراقبة الخاصة بـ(أسمايا). دل ذلك على اختراقه لمجلسهم وما حمله ذلك من مخاطر شتى بوجود اختراقات مثيلة لا يعرفون عنها شيئًا. رغم غضبهم مما فعلته (أسمايا) وتساهل (كريم) معها الذي أفضى إلى تلك النتيجة، إلا أنهم الآن يشعرون بغضب أكثر تجاه أنفسهم؛ فكيف سمحوا لأحد من خارجهم أن يهاجم من يعتبرونه أخًا لهم!؟ لو سمحوا لتلك الحادثة أن تمر كما يخطط لها (أوكايو) ومن معه، فبعدها سيحين الدور على كل منهم ليجدوا أنفسهم في نهاية المطاف بعيدين كل البعد عن طفلهم الذي حاربوا

من أجل الحصول عليه وتنشئته. تحول موقفهم ليكون داعمًا قويًا لـ(كريم)، حيث ربت (جون) على كتفه، وقال بنبرة جادة:

ـ «لتترك هذا الموضوع لي. سأقوم بما يلزم في سبيل تعليم هذا الغريب أصول اللباقة، وسأذكره بطريقتي الخاصة بضرورة احترام من هم أكبر منه مقامًا في هذا المجلس. أما أنت، فعليك أن تذهب للملمة الفوضى التي تسببت فيها فتاتك؛ فنحن على وشك خسارة كل شيء»

لم يجادله فيما قال، حيث كان يدرك أن عليه فعل أي شيء للتحكم في الدمار الذي سببته (أسمايا) بما كشفته في المدرسة، لكن حتى لو استطاع استعادة ولائها لهم من جديد، سواء بالترهيب أو الترغيب، فلن يغير ذلك من الواقع شيئًا؛ فلقد عرف (توت) ورجاله بخطتهم، لذا فالمضي قدمًا فيها سيكون ضربًا من الجنون. قال بصوت هادئ، محاولًا أن يتجاوز ما حدث، واضعًا ثقته في رفيق دربه:

ـ «ماذا عن خطتنا؟ لقد انكشف كل شيء للجميع بالمدرسة. لو حاولنا الاستمرار فيها فلن ننجح»

ـ «لا تقلق نفسك بتلك النقطة، فلقد وضعنا خطة بديلة. سنعتمد على معرفتهم بما انتويناه، وسنرسل بمجموعة من رجالنا الذين لا نريدهم ليهاجموا المدرسة بالطريقة التي اكتشفوها»

ـ «وما الذي سنستفيده من ذلك؟ لم أفهم ما تلمح له يا (جون)»

تدخلت (كلير)، قائلة:

ـ «ما يريد (جون) قوله، أننا سنستخدم تلك المجموعة كإلهاء لـ(توت) ومن معه، وسنهاجم المدرسة بفريق آخر من الجهة المقابلة»

صمت (كريم) مفكرًا في تلك الخطة. بدت له خطة موضوعة على عجل؛ لذا لم ترقه، حيث قال معترضًا:

ـ «هذه الخطة غير عملية على الإطلاق؛ فمخزن الأسرار الذي نريد الهجوم عليه يقع قريبًا من البقعة التي اخترناها للهجوم آنفًا. إن اخترقنا المدرسة من الطرف القصي منها فسيكون علينا قطع مسافة كبيرة داخل نفوذ المدرسة. لن يكون صعبًا على (توت) ملاحظتنا، خاصة أنه قد رفع من مستوى مراقبته لما يحدث داخل المدرسة بعد علمه بمخططنا»

ـ «لقد نسيت نقطة هامة، هم يعرفون كل شيء عدا نقطة اختراقنا للمدرسة»

ـ «من السهل عليهم يا (ألكسندر) مراقبة كل إنش من الدرع المحيط بالمدرسة حتى يعرفوا أين سنهاجم، ومن ثم سيتكالبون علينا كالضباع الجائعة»

ـ «أنت محق، لكن من سيكتشفونه أولًا هو الفريق الذي سنضحي به»

ـ «ما علاقة ذلك بما قلت يا (جون)؟»

زفر (جون) في تعب، وبدا أن صديقه قد توقف عن استخدام عقله منذ تلك المشاجرة، فقال في ضيق شارحًا:

ـ «سنجعل الفريق يدخل من الطرف البعيد عن المنطقة التي حددناها من قبل، وبعدما ينشغل الجميع بمقاتلتهم سنقوم بالدخول من الجهة البعيدة مستغلين انشغالهم عنا. حينها سنكون قريبين من هذا المخزن لنسطو عليه، ثم نشعل النار في كل المباني المحيطة بها»

بدت الخطة مقبولة نوعًا ما عن السابق. أخذ (كريم) نفسًا عميقًا، ثم قال:

ـ «تبدو لي خطة معقولة، لكن ما الضامن ألا يكتشف (توت) دخولنا وسط معركته مع فريقنا الوهمي؟»

ـ «لا يوجد ضمانة ألا يكتشف ذلك، لكن يجب علينا أخذ تلك المخاطرة مع الوضع في الاعتبار أنه ربما لن يفكر في اختراقنا للمدرسة بفريقين من اتجاهين مختلفين، حتى لو شعر بنا سيأخذ ذلك منه وقتًا حتى يجمع عددًا مناسبًا من رجاله، قبل أن يتحرك للتصدي لنا»

بدا له أنهم يستخفون كثيراً بـ(توت). لقد نبهته تلك الحمقاء إلى خطتهم، لذا فإنه سيتعامل مع الموقف بشكل مغاير تمامًا لما يتخيله رفاقه. كان عالمًا بـ(توت) وطريقة تفكيره، حيث انكب على مراقبته ودراسة نمط عقله واستراتيجياته في التعامل مع كل الأمور المختلفة، لذا لم يشعر بالراحة إزاء تلك الخطة التي بدت مع كل عودة عقله للعمل بكل قوة خطة فاشلة بكل المقاييس. لكن لم يجد عقله بديلًا مناسبًا عنها، فأيقن أن أصدقاءه قد بذلوا جهدًا عظيمًا حتى يخرجوا بمثل تلك الخطة. تساءلت (كلير) في استفسار كان يفكر فيه الجميع، قائلة:

ـ «ماذا ستفعل مع (أسمايا)؟ هل ستخبرها خطتنا مجددًا؟»

ـ «لم أحدد بعد إن كنت سأخبرها أم لا. ما قامت به جريمة لا تغتفر. جزاء لها على ما فعلته سأقتلها بنفسي بعدما ننتهي من هجومنا على المدرسة»

اندفع (جون) مستنكرًا:

ـ «هل تريد أن تخبرها مجددًا عن خطتنا بعد كل ما فعلته!؟»

ـ «أعرف أن المنطق يُلْزِمني بألا أخبرها، لكن سيكون لها دور عليها القيام به في خطتنا الجديدة، لذا يجب عليها أن تعرف»

شعر (جون) ومن معه بالغضب البالغ من (كريم) بعدما صدق ما خمنوا ما سيقوم به معها. استدرك (كريم) موضحًا ما غاب عنهم جميعًا:

ـ «يبدوا أنكم لم تنتبهوا لنقطة في غاية الأهمية؛ فالمدرسة لها مدخل واحد فقط عبر بقعة تتوسط المسافة بين الأهرامات الثلاثة وأبي الهول. من المنطقي أن يجعل (توت) بعضًا من رجاله يراقبون تلك المنطقة عن كثب طيلة الوقت، حينها أي محاولة منا للدخول سيدركها (توت) لا ريب»

أصابتهم كلماته في مقتل، حيث تسمروا جميعًا شاعرين بالدهشة من عدم تذكرهم لتلك المعلومة البسيطة التي أخبرهم بها (كريم) من قبل. تنهد (كريم) مدركًا دوره الهام والمحوري في هذا المجلس، فولاه لما استطاعوا الوصول إلى ما هم فيه الآن. تابع كلماته شارحًا:

ـ «لذا لا سبيل لنا لإنجاح خطتنا الجديدة سوى استخدام طريقة مختلفة للدخول للمدرسة»

اندفع (جون) بلهفة، متسائلًا:

ـ «هل يوجد طريق آخر للمدرسة خلاف تلك البقعة؟»

ـ «بالتأكيد. لهذا السبب منحت لـ(أسمايا) صولجاني الشخصي حين قابلتها آخر مرة، كي تستخدمه لإضعاف الدرع، وهو ما عكفت على فعله طيلة الشهور الماضية»

ـ «ما علاقة ذلك بذلك الطريق الذي تتحدث عنه؟»

أدرك (كريم) أنه يحتاج لوقت طويل كي يشرح لهم ما قصده بتلك الخطوة التي خبأها سرًا لنفسه. لم يكن هناك وقت للشرح؛ فأمامه مهمة أخرى عليه أن يقوم بها في أسرع وقت ممكن. فقال في سرعة:

ـ «الموضوع طويل ومعقد، لكن لو حاولت تلخيصه لكم، فالدرع تعرف على صولجاني طيلة هذه الشهور، وما قامت به (أسمايا) عبارة عن مجموعة من التعاويذ، منها تعويذة خاصة لنقلي إلى داخل المدرسة من أي مكان أختاره ما دمتُ داخل دائرة قطرها كيلومتر واحد. ما سأفعله هو أنني سألقي بتعويذة تمنح كل الذين في فريقي نفس البصمة السحرية الخاصة بي، لذا سيتعرف علينا الدرع جميعًا كشخص واحد. بعدها سألقي بمجموعة من التعاويذ المعقدة لاستخدام التعويذة المدفونة وسط ما تفعله (أسمايا) لتنقلنا جميعًا إلى داخل المدرسة»

ـ «ألن يكون (توت) مستعدًا لهذه التعاويذ؟»

كريم: «بالطبع لا؛ لأنها من ابتكاري!»

ـ «وهل أنت متأكد من نجاحها؟»

ـ «لقد نجحت مرة سابقة بالفعل! قمت بتجربة مصغرة منها يوم سمح (توت) لي بلقائه. لم أكن الشخص الوحيد الذي دخل المدرسة يومها»

لاحت ملامح السعادة والطمأنينة على وجوههم، في حين تساءل (يونج) في حيرة:

ـ «إن كنت فهمتك بشكل صحيح، فما علاقة (أسمايا) بتلك الخطوة؟»

ـ «لها دور عظيم فيها؛ فتلك التعويذة ستنقلنا إلى داخل نطاق المدرسة، لكن لن تنقلنا إلى مكان محدد فيها. ما ستقوم (أسمايا) بفعله في الأيام القليلة المقبلة أن تلقي بتعويذة معينة، سأمنحها إياها حين أتحدث إليها، نحو البقعة التي سأختارها، كي نهبط فيها حين يتم نقلنا إلى داخل المدرسة. لو لم تفعل ذلك فسننتقل إلى أي مكان دون أن نتحكم في ذلك وهو ما سيدمر كل شيء نخطط له»

لمعت فكرة ما في ذهنه، فأضاف: «ما لم يرغب السيد (أوكايو) في أن يقوم رجله في التاسوع بالمهمة بدلًا من (أسمايا)»

ـ «قد يبدو هذا أكثر أمانًا بالفعل يا (كريم)»

احتقن وجه (أوكايو) وقد فهم ما يرمي له (كريم) و(جون)، كان نجاحه في اختراق التاسوع شوكة في حلق (كريم) والمؤسسين الذين فشلوا في الاقتراب من هذا الإنجاز، وهو يدرك أنهم لو عرفوا شخصيته، فسيحاولون السيطرة عليه بالابتزاز ليعمل لصالحهم مباشرة بعيدًا عنه.

ـ «لن يحدث إلا على جثتي، (جون)! لن أخاطر برجلنا في التاسوع، لقد ناقشنا هذا من قبل؛ إن مهمته أبعد وأسمى من مجرد سرقة المدرسة أو تدميرها. إن مهمته هي نقل قضيتنا للمجتمع السحري المصري، ولقلب مدرسة (عين حورس) وضم الأساتذة والطلبة لفكرة المجلس؛ كي نضمن أن يكون الجيل القادم مواليًا لنا بعد القضاء على المدرسة. لن أسمح بأن يخاطر بكل ما حققناه إلا للضرورة القصوى. يكفي مخاطرته بإبلاغنا بخطط (توت) ودفاعاته»

بدا كلامه منطقيًا للغاية، ولمع دور (أسمايا) الهام من جديد أمامهم. تساءلت (كلير) في توتر:

ـ «هل تضمن يا (كريم) أن توافق (أسمايا) على مساعدتنا في تلك الخطوة بعدما أفشت سرنا من قبل؟»

تردد (كريم) في الإجابة عليها؛ فهو نفسه لم يكن واثقًا في موافقتها، لكنه مؤمن بأنه لن يسمح لها أن ترفض مساعدتهم. كانت تلك المهمة الثقيلة ملقاة على عاتقه وحده، لكنه لم يشتكِ نظرًا لمعرفته أنه هو المسؤول منذ البداية عنها، ومسؤول مسؤولية كاملة عن خطئها الجسيم. لذا اعتبر أن القيام بتلك الخطوة هو تكفير بسيط لنفسه، حتى يقدر على الشعور

بالراحة بعد كل ما حدث. أما (أسمايا) فتكفيرها عن جريمتها تلك سيكون بسيطًا؛ فهو سيعود برأسها ويضعه أمام (أوكايو)، ليخرسه ويخرس كافة الألسن التي كانت تتآمر خلف ظهره في سبيل التخلص منه. قال بنبرة حملت رغبته في إنهاء النقاش:

ـ «سأجعلها تساعدنا مهما كلفني ذلك. دعوا هذا الدور لي ولتعودوا لما عليكم القيام به»

فهموا ما كان يعنيه، فودعوه، ثم تحرك مغادرًا المكان الذي شهد أحداثًا ساخنة للتو. كان مرتاحًا لتعديله الخاص بالخطة؛ فبه سيقدرون بكل تأكيد على النجاح في هجومهم، وتلقين (توت) درسًا، انتقاما مما فعله معه قديمًا. لكنه كان يدرك أن كل شيء مرهون بتلك الخائنة، حيث كان مصير المجلس كله معلق بخيط واهن للغاية، ومن تقدر على إنقاذهم هي المتسببة الأولى في موقفهم المزري الحالي. أخذ عقله يفكر في كل الطرق المتاحة له كي يستطيع إقناعها على مساعدتهم، فلن يقبل منها ردًا سوى بالموافقة مهما كلفه ذلك من ثمن. قبل أن يخطو نحو خارج القاعة توقف بغتة حين تذكر أمرًا ما، فمال برأسه للخلف ناظرًا لرفاقه، وهو يقول:

ـ «لم أستطع التواصل مع أي من رجالي في المجلس، خاصة أولئك المنوطين بمراقبة (أسمايا) منذ أسبوع مضى»

بدا الارتباك مجددًا على ملامحهم، فعلم أن حدسه كان على حق. ما قام به (أوكايو) أثناء غيابه لم يتوقف فقط عند محاولة الإيقاع به، بل تطاول ليمس رجاله الأوفياء داخل جسد المجلس. كان الأربعة يعرفون تلك المعلومة الخفية عنه، لكنهم بعد تغير موقفهم تجاهه أدركوا مدى فداحة الخطأ الذي سمحوا له أن يحدث تحت أعينهم. عقد (كريم) حاجبيه في غضب، قائلًا بلهجة آمرة:

ـ «لا أنتظر مبررًا منكم، لكن رجالي لا يمسهم سوء. حين أعود إلى قيلتي أريد أن أتلقى اتصالًا منهم يخبرني بعودتهم إلى المجلس، ومواصلة عملهم دون أي مساس بهم»

لم ينتظر منهم ردًا، وتحرك مغادرًا القاعة في سرعة، مغلقًا الباب خلفه في عنف. كان محقًا في انفعاله الأخير معهم، فلقد سمحوا لـ(أوكايو) أن ينهش جسده كاملًا، دون أن يحركوا ساكنًا. تبادلوا النظرات ليعرف كل منهم ما يفكر فيه الآخر. تحرك (جون) صوب هاتف موضوع على مكتب صغير في ركن مزوي بالمكان لم يكن من السهل ملاحظته، وهو يقول:

ـ «لا تقلقوا أنفسكم بتلك النقطة، فسأتحدث إلى (بيروف)، وسيطلق سراح رجاله في غضون دقائق»

كانوا يعرفون أن المشكلة ليست في إطلاق سراح رجاله، إنما فيما سيخبرون به (كريم) عما حدث طيلة الأسبوع الماضي؛ حينما يعلم بما تم من خلف ظهره وفي غيابه، ستكون ردة فعله بالغة العنف، للدرجة التي تجعل ثورته اليوم تجاه (أوكايو) تبدو مقارنة بها مجرد مزاح طفولي. قال (ألكسندر) لهم بلهجته الروسية المميزة:

ـ «دعونا لا نقلق بما سيحدث لاحقًا، لنحاول السيطرة على الوضع المتأزم وتقليل الخسائر قدر المستطاع. أما (كريم) فلننتظر ردة فعله، فربما يخذلنا ويتعامل بهدوء مع الموقف»

نظر الجميع له، حتى (جون) الذي كان ممسكًا بسماعة الهاتف، منتظرًا ردًا من (بيروف)، نظرات متشككة، وغير مصدقة لما يقول، لكن لم يجرؤ أي منهم على إبداء رأي غير ذلك، فيكفيهم ما حدث الليلة من مشاكل ومصائب عليهم التعامل معها، لذا انتظروا (جون) حتى انتهى من مكالمته وعلى وجهه أمارات الرضى بتمام ما يريد، ثم تحركوا جميعًا متجهين صوب

قاعة أخرى متصلة بالأولى عبر باب رفيع، كان خلفه (أوكايو) الثائر غضبًا مما فعله (كريم) معه. لكنهم كانوا يعرفون أنه سيصير أكثر غضبًا حين يعرف ماذا ينتوون أن يفعلوا هم معه.

⟦ الفصل الثاني عشر ⟧

تحرك (كريم) مغادرًا الفيلا، عائدًا للعربة التي أقلته. ما إن رآه السائق حتى فتح باب العربة، وعاد ليقودها في سرعة آلية. تحدث (كريم) له بلهجة آمرة، محاولًا عدم تذكر رحلته الخطرة من المطار إلى هنا بصحبة السائق نفسه:

ـ «لنذهب إلى الفيلا رقم 20»

كانت هذه الفيلا مخصصة لسكنه داخل هذا المنتجع السياحي الفخم. جلس ينظر نحو الثلج الأبيض المحيط بكل تفاصيل المكان من حوله، وعقله منشغل سارح فيما مر به للتو. كانت الرحلة قصيرة؛ نظرًا لقرب المباني من بعضها البعض. ترجل وشد عليه معطفه الفرو الثقيل، ليزيح ثقلًا من البرد شعر به حين هبت تلك الرياح السريعة تجاهه. لم يكن محتاجًا لأن تصيبه نزلة برد في هذا الوقت العصيب؛ فينتظره الكثير من العمل الذي سيحدد مصيره. دخل إلى الفيلا بعدما فتحت له الخادمة المسؤولة عن متابعة شؤونها حتى في أثناء رحلاته الطويلة والمتعددة خارج المكان. كان الجو بالداخل دافئ كفاية كي يتنازل عن معطفه الأسود لها. كانت عادته أن يذهب ليأخذ حمامًا دافئًا بعد رحلته الطويلة المرهقة دومًا إلى منزله، لكن هذه المرة لم يرغب في منح جسده أي لحظة من الراحة؛ عليه أن يظل مستيقظًا متأهبًا، ليفكر فيما عليه أن يفعل مع تلك المجنونة. دخل إلى حجرة مكتبه والتي شابهت حجرة الاجتماعات التي كان فيها منذ دقائق مضت، لكن تخلو من تلك المائدة البيضاوية الحجرية الضخمة، ومكانها يقبع مكتب خشبي أنيق إلى جوار مدفأة حديثة الطراز محفورة داخل الحائط خلف مقعده الكبير. تحرك نحو كتل من الخشب الموضوعة بعناية،

وألقى بعضًا منها نحو المدفأة، ثم أشعلها مراقبًا بعينيه تراقص النار ونهشها المستمر للخشب. ظل واقفًا مكانه ممسكًا بعصا معدنية، وأخذ عقله يسترجع الأحداث التي مرت به مع (أسمايا). كان يفحص ذكرياته معها ومعلوماته بشأنها، حتى يضع يده على المشاكل التي لم يلحظها قبلًا؛ فالمشاكل ليست وليدة اللحظة، إنما نتاج تراكمات عدة لأخطاء صغيرة تافهة، هكذا أخذ عقله يردد على مسامعه تلك العبارة مرات ومرات، محاولًا إيجاد تلك الهفوات التي مرت عليه ولم يلتقطها. كان أول ما خطر على باله هو تلك المقابلة الأخيرة التي جمعت بينهما وهي في المدرسة. كان النقاش بينهما محتدًا حول اختيارها لشخص مختلف عما حدده هو وفريقه من المحللين، كانت تلك أولى شرارات التمرد منها. جز على أسنانه في قوة نادمًا على عدم ملاحظته لتلك النقطة الهامة للغاية، تذكر نقاشها معه وجدالها وتمسكها برأيها، تذكر كذلك ما انتهيا إليه في هذه المواجهة، حيث كان قبلها يخطط لتعنيفها وجعلها تعود لخطته الأصلية. لكن ما وصلا إليه في النهاية كان الرضوخ لقراراتها هي لا هو. بدت العلامات جلية أمامه في هذا التوقيت، وإن كانت خفية قبلًا عنه. كانت صدمته في نفسه أكبر من صدمته في (أسمايا)؛ فقد كان يمتاز دومًا بعين ثاقبة كالصقر، قادرة على التقاط أدنى الهفوات، وأقل الأخطاء ضجيجًا. لكن يبدو أنه قد فقد مهارته مع ارتخاء حاسة الخطر لديه، بسبب ما يعيشه الآن من رخاء وأمان داخل هذا الكيان الذي عانى كثيرًا لتأسيسه. عاد مرات ومرات على تلك النقطة، محاولًا تحليل كل ما يتذكره من لقائه معها. بعد فترة بسيطة من التفكير الصامت قضاها جالسًا فوق مقعده الجلدي الناعم والمريح، مواجهًا المدفأة ليشعر بهواءها الدافئ يريح جسده المنهك، كان على ثقة تامة بأن هذا القرار هو النقطة التي بدأ منها كل شيء، لكن لم تكن كافية لتفسير كل ما حدث. فكر في كل الاحتمالات التي ترد على عقله، لكنه في موقف لا يسمح له بالتحرك بناء على حدس أو تفكير. يجب أن تكون بين يديه معلومات موثقة يعتمد عليها.

ما إن توصل إلى ضرورة إسراع رفاقه في إطلاق سراح رجاله حتى علا صوت هاتف موضوع فوق مكتبه الكبير لينتشله من أعماق أفكاره. أخذ عدة ثوان قبل أن يرفع سماعة الهاتف، ويستمع لصوت محدثه الذي تسبب في تلك الدفقة الغريبة من الطمأنينة التي اجتاحت جسده.

ـ «معذرة سيدي على تأخري في الحديث إليك؛ فلقد كنت أنا ورجالي في مكان بعيد جدًا»

ـ «لا عليكِ، (بورا). هل عدتِ مجددًا إلى مقر عملك؟»

ـ «بلى، سيدي. ما هي أوامرك؟»

تريث قليلًا وهو يداعب بعضًا من خصلات شعره. كانت (بورا) هي ذراعه اليمنى في المجلس. عثر عليها قديمًا أثناء رحلاته الطويلة في شتى بقاع الأرض. كانت (بورا) التي وجدها تختلف كلية عن (بورا) التي تحدثه الآن؛ فقد كانت فتاة صغيرة لا تتجاوز الرابعة عشر من عمرها، يملؤها حب الحياة، والرغبة في السلام، رغمًا عما حدث لبلادها من حرب ودمار. كانت إحدى الناجيات من الحروب الضروس التي ألمت ببلاد شرق أوربا. لم تكن نجاتها هي دونًا عن بقية أفراد عائلتها إلا بسبب (كريم) الذي استشعر فيها قدرات سحرية كامنة قوية. أخرجها (كريم) من هذا الجحيم، وأخذها تحت كنفه، وعلمها كل شيء تعرفه الآن. كان لها بمثابة الأب والأخ والصديق وكل الدنيا، وكانت له مجرد شخص يمكن أن يعتمد عليه. لم يكن سر غضب (كريم) على ما اقترفه (أوكايو) بسبب حبه لـ(بورا)، بل لخوفه أن يفقد شخصًا اعتاد على تولي الكثير من الأمور المهمة في حياته. كانت (بورا) ابنة الاثنين وعشرين عامًا ذكية، ولديها خبرات طويلة اكتسبتها سواء من معاناتها قبل وحياتها بعد (كريم)، لذا كانت تعرف أن (كريم) لا ينظر لها كما تراه هي، رغم ذلك ظلت إلى جواره، وتحملت الكثير من الأمور، آخرها ذلك

التعذيب الذي تعرضت له على يد هذا الكريه (أوكايو) ورجاله. ظلت صامتة على الطرف الآخر للهاتف، منتظرة ما سيأمرها به (كريم) الذي كان يفكر في ما عليه فعله بعد عودة كافة رجاله. كان أول ما خطر على باله هو أهم شيء يجب عليه فعله الآن، فتحدث بنبرته الجادة المعتادة:

ـ «أريدك أن ترسلي لي كافة التطورات التي حدثت لـ(أسمايا) منذ اليوم الثالث في المدرسة»

ـ «هل تريدني أن أرسل لك سيدي الفيديوهات؟ أم ملخصًا مكتوبًا؟»

ـ «أريدك أن ترسليه مكتوبًا؛ فلا وقت لدي للمشاهدة»

ـ «سأنفذ أوامرك، سيدي. هل هناك أوامر أخرى؟»

ـ «لا»

ثم صمت وقد شعر بمدى جفائه تجاهها. كان قد نسي أن يسأل عما حدث لها ولرجاله، واندفع صوب ما يشغل باله بخصوص مشكلة (أسمايا). فقال بنبرة هادئة:

ـ «هل أنتِ بخير؟»

صدمها سؤاله المباشر والمباغت عنها. تلجلجت وهي تحاول أن تتمالك نفسها من تلك المشاعر المختلطة، ثم أجابته في بطء، قائلة بنبرة عدم تصديق:

ـ «لقد تعرضتُ لتعذيب شديد، لكني الآن بخير ما دمتُ إلى جوارك»

ـ «حسنًا، سأنتظر الملخص. وداعًا»

عاد مجددًا لهيئته المعتادة، لينهي محادثته معها. ما دفعه لإنهاءها بتلك الطريقة هو موجة الغضب العاتية التي خلفتها كلمة (تعذيب) داخله. لم

يرغب في أن تشاهده (بورا) وهو في تلك الحالة شديدة التطرف وعدم الاتزان. عاد برأسه للخلف، وأمسك به بين يديه، محاولًا عصره. كان الصداع الذي أصابه منذ هبوطه من الطائرة قد بدأ ينمو على مخلفات أحداث الليلة الطويلة. هدأت نبضات عقله المؤلمة، ومعها عاد هدوؤه ليفكر فيما سيجده في ذلك التقرير، كاد أن يتحرك من مكانه حيث كان. أمام (بورا) ليلة طويلة من العمل بعد تلك التجربة المؤلمة، لكنه تسمر في مكانه حين سمع طقطقة الحاسوب الخاص به، والموضوع فوق منضدة صغيرة في الطرف الآخر للحجرة. تمتم في دهشة وهو يتحرك صوبه محدثًا نفسه:

ـ «مستحيل أن تكون قد انتهت من هذا الملخص!»

قطع الغرفة في ثوان، ليجلس فوق مقعد معدني مواجهًا الحاسوب الذي فتحه وعبث في أزراره، ليجد رسالة من (بورا). كانت الرسالة مرفق معها ملف خاص بما طلبه من ملخص لحياة (أسمايا). كان ذلك أمرًا في غاية الغرابة، فكيف استطاعت أن تنهي ما طلبه منها في خلال دقائق قليلة!؟ لم يجد إجابة على هذا السؤال، لكنه سارع بتحميل الملف، ثم فتحه. كان يحتوي داخله على عدد كبير من الصفحات. لم يكن من محبي القراءة على الحاسوب، لذا أرسل أمرًا للطابعة التي توجد إلى يمينه، لتطبع الملف في سرعة. انتظر حتى انتهت الطباعة، ثم أخذ الأوراق التي وصل عددها إلى ست وخمسين ورقة، وبدأ يقرأ فيها بتركيز بالغ، وعيناه تحاولان التقاط ما يمكن أن يبرر له تلك الألغاز التي لا يعرفها.

استغرقه قراءته لهذا الملخص الليلة بأكمله. كان يخط عددًا من الملاحظات في مجموعة أخرى من الأوراق الموضوعة بجواره. بعدما انتهى كان ضوء الصباح قد بزغ منذ ساعات عدة وتحولت قاعة المكتب المرتبة إلى فوضى عارمة من الأوراق الملقاة في كل مكان فيها. لم يأبه لكل هذه الأوراق من حوله؛ فقد كتب ما وصل إليه في نهاية ليلته تلك في هذه الورقة الصغيرة

التي يمسكها بين يديه. راجع محتويات الورقة مرات عدة وعقله يسترجع كل ما يتفرع من تلك النقاط المختصرة من تفاصيل. كان أبرز ما واجهه من صعوبة تتمثل في التقطع المستمر لاستقبالهم لما ترسله (أسمايا). لذا سقط من التسلسل اليومي للأحداث كثير من التفاصيل التي جعلت الملخص مجتزءًا ليبدو غير مفهوم. غادر حجرة مكتبه متجهًا صوب الردهة التي تقابل باب الفيلا، حيث جلس ليتناول طعام إفطاره، ويحتسي كوبًا عملاقًا من القهوة غنية المذاق ومتناغمة القوام. تحرك الخدم حوله يقومون برفع أطباق الفطور التي انتهى منها من فوق هذه المائدة البيضاوية الخشبية الطويلة، التي تكفي لإفطار ثلاثين شخصًا في آن واحد. كان مازال مرتديًا بدلته التي جاء بها، وإن بدا مظهرها مغايرًا، لما يعتريها من اضطراب وعدم تنظيم، مع بقع صغيرة داكنة نتجت من تلوثها ببعض من الأتربة والغبار. كان شعره الطويل مشعثًا، مع تلك الهالات السوداء تحت عينيه تتماشى مع إرهاقه العنيف الذي يجتاح جسده المنهك للغاية. لم يقدر على منح جسده ما يتوسل للحصول عليه من الراحة؛ حيث مازالت هناك مهمة أخيرة يجب أن يقوم بها قبل أن يخلد للنوم. بدأ يشحذ عقله ليستحضر كل ما قرأه ليلة أمس، ليستخدم أي معلومة منها إن تطلب الأمر ذلك. أخذ يتلذذ بكوب القهوة اللذيذ، والذي كان دائمًا ما يسبب له شعورًا بالندم والألم حين يكون بعيدًا عن الفيلا إن تذكره. كان لهذا السائل الأسود مفعول السحر على هذا الساحر؛ فقد استعاد تدريجيًا جزءًا من نشاطه وحيويته، ليغادر المائدة في خطوات سريعة، عائدًا أدراجه صوب قاعة مكتبه. ما إن دخلها حتى أوصد الباب بحرص، متيقنًا من سماعه تكات القفل الداخلي بوضوح. توجه صوب ستارة مخملية كانت تزين نافذة مغلقة بطبقات من عازل شفاف مانع لتسرب الصقيع من الخارج للداخل. خلف تلك الستارة التي بدت مشعة بضوء النهار الضعيف مد يده ليمسك ببروز خشبي صغير جذبه نحوه لتتحرك تلك المنضدة الخشبية المزدانة بقطع من النحت الخشبي المميز

لتماثيل صغيرة ذات أشكال متنوعة. فوق تلك المنضدة استقرت قطعة رخامية بيضاء اللون، انعكس لونها على سطح المرآة المثبتة بإحكام في أعلى المنضدة التي يسهل تحريكها بواسطة مجموعة من العجلات الصغيرة المثبتة في قعرها. أحضرها نحو مكتبه ليجلس على مقعده مقابلًا لها، حيث يصبح رأسه في مستوى المرآة. دس يده في جيب داخلي ليخرجها ممسكًا بصولجان صغير، كان مختلفًا عن صولجانه الخاص الموجود حاليًا في المدرسة بصحبة (أسمايا). ظل جالسًا مكانه صامتًا، دون أن يرمش له جفن. كان يعد ذهنه للقاء (أسمايا) الذي كلما فكر فيه يشعر بغضب بالغ وألم عميق. بعدما تمالك نفسه واستحوذ العقل على غضبه رفع الصولجان تجاه المرآة وتمتم بتعويذة جعلت سطح المرآة يتموج في بطء، ليتحول إلى اضطرابات قوية انتهت بصورة باهتة بدأت تتضح تدريجيًا له.

⟦ الفصل الثالث عشر ⟧

كانت الصورة التي ظهرت أمام عينيه مباغتة بشكل عاصف، حتى أنها أربكت كافة حساباته. كانت الحجرة التي ظهرت في الصورة المنقولة على تلك المرآة البيضاوية متوسطة الحجم، تُظهر دمارًا شاملًا حاق بتلك الغرفة ومحتوياتها، كما لو أن قنبلة يدوية انفجرت في المكان. ظل صامتًا لدقيقة أو تزيد، محاولًا استيعاب ما يراه، وما تحمله من احتمالات قد حدثت لـ(أسمايا). لم يأتِ في الملخص أي ذكر لتعرضها لاعتداء من أحد حتى ليلة أمس، فهل قام (توت) بالانتقام منها في تلك الليلة؟ لم يجد بُدًا من النداء عليها، علها تكون موجودة وسط هذا الخراب، قائلًا بصوت عال:

ـ «(أسمايا)! هل أنتِ هنا؟ (أسمايا)! (أسمايا)!»

كانت تركض داخل أرض متسعة تمتلئ بنيران حارة ذات لهيب متأجج وصوت اشتعالها عالٍ يكاد يصم أذنيها. ظلت تجري وتجري وحياتها على المحك. تدرك في هلع لم تعهده أنها إن توقفت ثانية عن الركض للحقت بها تلك النيران التي تركض هي الأخرى وراء ظلها. أخذت تحرق كل ذرة طاقة في جسدها، غير مدركة كيف أتت إلى هنا، ولا السبب وراء هذه النيران ولحاقها بها. علا صوت النيران بشكل غير مسبوق ليصم عنها كافة الأصوات الأخرى، حتى صوت لهاثها المرتفع صار كما لو كان يأتي من مكان بعيد. وسط هذا الضجيج الصاخب للنيران المخيفة شعرت بكلمات تتناثر حروفها بصعوبة. حاولت التركيز فيها، لتجد بعد عناء كلمة أخذت تتردد داخل النيران مكررة اسمها. بدت أن النيران تنادي بها وتطالب بجسدها وبروحها. انخفضت سرعة ركضها حين وصلت لحالة من التعب لم تقدر على تحمله؛ فعضلاتها كانت تئن تحت وطأة هذا العمل الشاق وتلك الحرارة الحارقة.

التفتت خلفها لتجد النيران تقترب في سرعة بها حتى انقضت عليها، لتحيل كل ذرة من خلاياها إلى شعلة متأججة بألم بارح جعلها تصرخ بعلو صوتها.

ـ «(أسمايا)! أجيبيني، (أسمايا)! (أسمايا)!»

تردد الصوت نفسه الذي سمعته أثناء ركضها صادرًا من النيران. في حركة تلقائية من الرعب تلفتت خلفها وهي تقفز من مكانها نحو الأمام، كما لو كانت تقي نفسها شر النار. التقطت أنفاسها بصعوبة وعيناها مثبتة على الحائط الذي كانت ترتكن عليه قبل أن تفقد وعيها. جالت ببصرها فيما حولها وعقلها عاد ليعمل من جديد. كان مشهد الدمار المحيط بها مصحوبًا بما نقله له عقلها عن أحداث ليلة أمس. أدركت أن كل ما تراه من خراب قد حدث بيدها لا بيد غيرها. اعتدلت مريحة ظهرها على الفراش الذي بدا مثخنًا بالجراح الغائرة. بدأ عقلها بالعمل محاولًا تهدئة روعها، حيث يخبرها أن ما تتذكره مجرد كابوس ليس أكثر. دفنت وجهها داخل كفيها وضمت ساقيها إلى صدرها وأخذت تحاول الإنصات لصوت العقل داخلها.

ـ «(أسمايا)، هل تسمعينني!؟»

انتفضت حالما تكرر الصوت نفسه ناطقًا باسمها، لترفع رأسها في بطء ناظرة نحو مصدره. كانت المرآة الكبيرة هي الشيء الوحيد المتبقي على حاله ولم تمسه ليلة أمس. أما سطحها اللامع فقد نقل صورة بدل أن يعكس صورتها لتتسع مقلتاها على آخرهما ومن تراه داخل المرآة قد أصاب عقلها وجسدها بالشلل التام.

ـ «هل أنتِ بخير؟»

ظلت (أسمايا) قابعة في مكانها متقوقعة على نفسها بتلك الطريقة التي دلته على إصابتها بصدمة بالغة الحدة. قام بتقطيع كل ما حضر له من استراتيجية للتعامل معها وقرر أن يرتجل؛ فما تبدو عليه الآن يختلف كثيراً عما توقعه،

فمن أمامه لا تبدو سعيدة لتغيير انتماءاتها، بل بدت كأسيرة أُجبرت على شيء لا تقبله. لم يتعافَ عقلها بعد من صدمة الأمس حتى يأتي (كريم) في هذا التوقيت السيئ ليزيد من عمق جراحها، ويلطم عقلها بصدمة جديدة. ابتلعت ريقها محاولة أن تعيد عقلها لرشده متشبثة بأمل خافت في أن تخرج من هذه الورطة على خير. قرر (كريم) أن يبدأ في النقاش حتى وإن كانت في تلك الصورة؛ فهذه هي فرصته لمعرفة الحقيقة منها دون أي تلاعب أو كذب. فمن يكون في مثل حالتها من الانهيار العصبي يكون عادة كتابًا مفتوحًا لمن يرغب في قراءته. قال واكتست ملامحه بجدية تامة:

ـ «ما الذي فعلتِه يا (أسمايا)؟ ألم نتفق سويًا على كتم أسرارنا وعدم إفصاحها لأحد؟»

أيقنت أن ما كانت تخشاه قد حدث؛ فها هو (كريم) قد أتى لمحاسبتها. كانت تعرف، دون أن يحتاج أن يخبرها (كريم) بذلك، أن ثمن خيانتها له سيكون باهظًا للغاية. لم تكن مستعدة بعد كي ترحل عن هذا العالم بعدما تهيأت لها فرصة لم تأتِ لها قط كي تعيش حياة زاخرة مفعمة بالأمل. استطاع ذلك الشعور الغريزي القوي بالرغبة في البقاء في إفاقة عقلها ودفعه بوقود معنوي بحت للعمل رغم ما مر به. كانت أولى الأوامر التي وصلت لها من عقلها ألا تغير من وضعية جسدها، ولا نظرات الخواء التي تمتلئ بها عيناها. أدرك عقلها أولى الحقائق التي منحها إياه رغبتها الأقوى في الحياة وهي أنها في وضعها المزري ذلك ستقدر على خداع (كريم) بكل سهولة؛ فمؤكد أنه يرى في انهيارها الواضح أمامه فرصة لاستجوابها، خاصة أنه يعتقد أنها لا تقدر على الكذب عليه في هذه الحالة. بدأ عقلها في العمل بتسلسل غريب، وعمق لم يصل له من قبل. ربما حين وصلت إلى تلك الحالة الميؤوس منها استفزت كل قدراتها الكامنة لتحاول الفكاك من هذا المصير

الأسود. تابع عقلها مدها بمزيد من الأوامر لتقول بنبرة تصنعت فيها الضياع والانهيار:

ـ «لم أقصد أن تصل الأمور إلى هذه المرحلة. لقد كنت مجبرة على إخبار هذا الخائن (چيكا) ببعض من الأسرار وكذبة كبيرة حتى لا ينكشف أمرنا ويضيع كل شيء»

بدت له كلماتها مبهمة لا يفهم المغزى من ورائها. تيقن أن تلك المشاهد المبتورة لم تقدم له الصورة كاملة كما توقع. لذا قرر أن يتحرك بحذر، محاولًا فهم كل الجوانب الخفية عليه أولًا، قبل أن يتخذ قراره النهائي بشأنها، فقال متسائلًا:

ـ «ما الذي أجبركِ على فعل ذلك؟ وما الذي أخبرتِه له؟ وما تلك الكذبة؟»

اندفع عقلها يمدها بالإجابات اللازمة التي كررتها وراءه دون مراجعة أو تردد قائلة:

ـ «لقد اكتشف ما أفعله في المدرسة، حيث شاهد إحدى نسخي وهي تلقي بالتعويذة ذات مرة. ظل يبحث خلفي ويراقبني عن كثب حتى لم أجد مفرًا من إخباره. أخبرته أنك والمجلس أجبرتموني على فعل تلك التعاويذ داخل المدرسة. أخبرته عن مخطط هجومكم على المدرسة»

حاول الحفاظ على ثباته، وعدم الهجوم غاضبًا عليها، حتى يستمع إلى كل شيء، فقال في تساؤل خلفه أطنان من الغضب الدفين:

ـ «وما هي تلك الكذبة التي قلتِها له؟»

ـ «لقد أخبرته أنكم اختطفتم والديّ وهددتموني بقتلهما إن لم أذعن لكم. كذلك أخبرته أن والديّ محبوسان في عالم دوات، لذا قرر مساعدتي في استعادتهما. لا أعلم لماذا أخبر (توت)؛ فقد نبهتُ عليه كثيرًا ألا يفعل. لكن

يبدو أنه لم يستمع إلى كلماتي التحذيرية، لذا انتهى الأمر بـ(توت) لمعرفة كل شيء قلته»

بدأت الصورة تكتمل أمام عينيه. ما سمعه كان يوضح أنها كذبت لتدافع عن حياتها ومكانتها في المدرسة. كان ثمن ذلك هو كشف خطته لـ(توت) وما تلاه ذلك من تبعات أثرت عليه حتى وهو في هذا المكان البعيد للغاية عن المدرسة. وسط هذا كله استطاع عقله الإمساك بخيط بدا مختفيًا داخل كل تلك التفاصيل وهذا الشعور الغاضب نحوها. بدأت سلسلة من الترابطات تحدث بين أفكاره وبين ما اكتشفه ليصل في نهاية المطاف إلى استنتاج واحد.. لقد وجد مخرجًا يؤمن له نجاح خطته من جديد، وإن كان هذا المخرج معتمد كالعادة عليها. تريث حتى لا يخبرها بتلك الخطة؛ فعليه أولًا أن يجعلها تدرك عواقب ما قامت به، حتى لا تكرره من جديد. لم يكن منظرها البادي أمامه كافيًا له كعقاب لها، لذا قال بلهجة حملت تهديدًا قويًا داخلها:

ـ «لقد حذرتكِ من إخبار أي شخص بالمدرسة عن سرنا وخططنا. حتى إن اكتشف (چيكا) مصادفة ما حدث كان بإمكانك أن تكذبي بأي شيء آخر وألا تزجي باسمنا في الموضوع. ما أراه أنكِ اخترتِ سلامتك على حساب مصلحتنا وهذه أعتبرها خيانة ضدنا»

ابتلعت (أسمايا) ريقها تحت وطأة هذه الكلمات بالغة الحدة ضدها، لكن عقلها طمأنها؛ حيث مازالت تسير في الطريق الذي يرسمه. زودها بالجمل التي تحتاجها، حيث قالت في سرعة:

ـ «لا تقل هذا عني؛ فلو أردتُ فعلًا أن أخونك فكنت سأمنحه صولجانك وأقوم بالتعويذة بصولجاني. لا تنسَ أنني ذكية وانتبهتُ لأهمية الصولجان

الذي منحتني إياه، حيث حذرتني مليًا من فقدانه مهما حدث. إنه صولجانك، أليس كذلك؟»

باغتته كلماتها التي قالتها. اكتفى بالتحديق نحوها صامتًا وسكوته أكبر دلالة على صحة تخمينها. لم تكن قد أدركت تلك النقطة من قبل التي تخطت كافة قنوات استشعارها حينها، فلماذا استطاع عقلها تذكرها والتقاط تلك الجزئية في هذا الوقت بالذات؟ كان عقلها لا يعرف كيف عثر عليها لكنه وجد تلك النقطة تومض بشكل غريب لتجذب انتباهه. كانت هي أساس ما ستبني عليه دفاعها عن نفسها؛ فلو صح ما ظنه فصولجانه ذاك يمثل له أهمية كبيرة في خططه. وكونه لم يخبر (أسمايا) بها حينها قد عاد بالنفع عليها، فلابد أنها حين تلمح إليه فستحظى على فرصتها للنجاة بحياتها. هذا كله معتمد على إجابته التي أخذت (أسمايا) تنتظرها بنفاد صبر. أدركت في أثناء صمته ذاك على تساؤلها المباغت كيف استطاع عقلها إيجاد تلك الثغرة وسط أكوام من المعلومات التي تزحم رأسها. شعرت بالعرفان تجاهه؛ فلو قُدر لها أن تنجو سيكون بفضله. كان عقلها يعزو بالعرفان لرغبتها العظيمة في النجاة، تلك الغريزة البشرية الأقوى على الإطلاق. لو كُتب لهما النجاة فسيكون بسببها. كان (كريم) في عالم مغاير تمامًا؛ حيث تلك الفتاة الواقفة على حافة الانهيار قامت لتوها بسبر أغواره وكشف لب خطته الجديدة بكل تلك السهولة. كيف أدركت تلك النقطة التي حاول أن يهملها كثيراً حتى لا تنتبه لها؟ كان هذا السؤال يتردد بعنف داخل رأسه دون أن يجد له إجابة سوى أنه قد استخف بقدراتها. لم يكن قادرًا على نفي تلك المعلومة، وإلا فلن يقدر على طلب مساعدتها الحتمية والضرورية لمتابعة خطته الجديدة. في الوقت نفسه لو أكد هذه المعلومة فعليه أن يبرئها من تهمة الخيانة التي وصمها إياها لتوه. كانت معضلة معقدة للغاية، لكن اختياره يجب أن يتم

بسرعة، لذا اختار ما سيفيد مستقبله على أن يتمسك بماضيه. أجابها وعيناه تحاولان الغوص داخلها للكشف عن أي ذرة خداع دون جدوى قائلًا:

ـ «لقد أصبتِ كبد الحقيقة. هذا الصولجان الخاص بي في غاية الأهمية»

ثم تنهد وهو يحاول كتم غضبه من فشله في تعنيفها بالقدر الكافي الذي كان يلزمه للشعور بالراحة. تابع قائلًا:

ـ «أعتذر لكِ عن إتهامي بالخيانة. معذرةً؛ لم أكن أعرف أنكِ لاحظتِ أهمية الصولجان، وحاولتِ الحفاظ عليه رغم جهلك لما أنتويه»

منعها عقلها بصعوبة من الابتسام بل والضحك على نجاحها في الهرب من فكيه المميتين. كان هذا الاعتذار هو الإعلان الذي كانت تنتظره للحفاظ على حياتها. كان عقلها يخشى أن يدرك (كريم) أنها تحاول تصنع موقفها، فإن ابتسمت أدرك أن عقلها موجود الآن ويعمل بقوة على عكس ما وصله من انطباعات في الدقائق الماضية. لذا تابعت (أسمايا) وضعيتها المتكورة على نفسها فيها ولم تتغير ملامح وجهها ولم تدب الحياة في عينيها الخاويتين بعد، وهي تقول معلقة على كلماته:

ـ «كما لو كنت بحاجة لاعتذارك! أنا موقنة من عدم خيانتي لك ولا للمجلس»

بدت غطرستها وثقتها في كلماتها مناسبة لحالتها التي هي عليها الآن. ارتاح (كريم) أخيرًا إلى حقيقة أنها لم تستعد بعد عقلها، ومازالت متأثرة بنوبة الانهيار التي أصابتها. لذا فكل ما قالته كان انعكاسًا مباشرًا لما تخفيه داخلها. ابتسم للمرة الأولى في هذه المقابلة وهو يقول:

ـ «لم تسأليني عن الخطة الخاصة بي..»

ـ «أنا لا أتدخل في أمور لا تعنيني. كذلك لا أريد أن أتدخل في خططك ثم تعود لتلومني على فشلك بما فعلت، وتلقي باتهاماتك جزافًا نحوي، محاولًا التملص من مسؤوليتك»

كان عقلها قد تحول من موقف الدفاع إلى الهجوم. حيث كان لزامًا عليه أن يضغط على (كريم) بشكل يجعله لا يشك في أي وقت لاحق في نواياها. لم تحتج إلى أي معلومات بخصوص المجلس، حيث من المنطقي وجود مجموعة ترأس عملياته الكبرى والتي من بينها هجومهم على مدرسة (عين حورس). لذا فإن استطاعت التملص من (كريم) فلن تقدر على الهرب منهم، لذا اهتدى عقله وسط نشوته الاستثنائية أنه ليحل هذه المعضلة عليه أن يجند (كريم) بشكل كامل ليقف إلى صف (أسمايا). فلو حاول أي شخص آخر عداه الهجوم عليها فسيتحول (كريم) مباشرة للدفاع عنها بشكل مستميت. كانت تنجح في مخطط عقلها العبقري بشكل منقطع النظير؛ حيث شعر (كريم) بغتة أنه قد أثار استياءها بشكل غير مقصود. لم يفكر عقله ولو للحظة أنه قد جاء ليهاجمها ويهددها ويجبرها على الخضوع له، لكنه دون أن يعي ذلك تحول إلى موقف المدافع عن نفسه وصار مؤمنًا غاية الإيمان بولائها ولا يرى فيما اقترفته جريمة أو خيانة أو حتى خطأ تحتاج أن تُحاسب عليه. لمست كلماتها وترًا حساسًا داخله، حيث كانت الحقيقة الأكثر ثباتًا هي أنه المسؤول الأول والأخير عن هذه الخطة. لذا من تبعات هذا المنصب الهام هو تحمل مسؤولية إخفاق الخطة، لا أن يحمل تبعاتها إلى رجاله. أدرك لأول مرة أنه كان يحاول التملص من مسؤوليته، ويلقي بما يستحق من عقابًا ولومًا على غيره، وهذا ما كان يهدف له عقلها. تكلم بنبرة هادئة بعد فترة صمت لم تطل كثيرًا، حيث قال:

ـ «من قال أن هذه الخطة لا تعنيكِ!؟ أنا أدرك جيدًا تبعات منصبي الذي أتولاه في المجلس. أنا لا أحاول أن ألقي باللوم عليكِ لأهرب من العقاب. فإن

فشلت الخطة فسيكون فشلي أنا لا أنتِ، وسأتحمل عواقبه أنا لا أنتِ. كما احتجتكِ سابقًا أحتاجكِ الآن لتنفيذ خطتي الجديدة، وكما خمنتِ فصولجاني يلعب دورًا محوريًا فيها»

صمتت وهي تستمع إلى شرحه المفصل عن خطته الجديدة. ما إن انتهى حتى أنهى اللقاء بينهما بعدما أخذ منها وعدًا بتنفيذ ما يريده والمشاركة في خطته. كان عليه أن يستعد لمواجهات صعبة بينه وبين زملائه التسعة في المجلس، بالأخص ذاك الأحمق (أوكايو). لم يوجد لديه أدنى شك تجاه نوايا (أسمايا) ولا ولائها له وللمجلس، كذلك أدرك أن عليه تحمل تبعات أي فشل مهما بلغت حدتها فهذه هي مسؤوليات منصبه الحساس. أما (أسمايا) فقد اكتفت بإرجاع رأسها للخلف مطلقة تنهيدة طويلة للغاية، حملت أطنانًا من القلق والتوتر والخوف الذين تخلصت منهم جميعًا. شعرت بالامتنان لعقلها الذي كان يشعر بالعرفان لها. قبل أن يفقد عقلها قدراته الاستثنائية بعد زوال الخطر قرر أن الاستمرار في اتباع أوامر (كريم) سيلحقه توابع جسيمة؛ فقد تملصت بشق الأنفس من هذا المأزق، لكن لا ضمانة لها أن تنفد بجلدها المرات التالية. توصل في لحظات قليلة من التفكير إلى ضرورة التخلص من (كريم) في أسرع وقت؛ فهو الوحيد الذي يعلم هويتها وبيده كل المعلومات التي قد تدينها وتدمرها. لم تكن هناك سوى فرصة واحدة لفعل ذلك. كان الفارق الشاسع بين قوتها وقوة (كريم) المجهولة، لكنها حتمًا كبيرة، أمرًا يقلقها ويشغل بالها. لكن عقلها اهتدى إلى خطة مضادة، واضعًا كافة تفاصيلها في لحظات. انتوت التحرك وفقًا لتلك الخطة كما أمرها عقلها حتى يختفي (كريم) عن حياتها إلى الأبد. كما توقع عقلها فقد زال التأثير المؤقت لغريزتها البشرية عنه بعد إنهائه للخطة مباشرة، ليشعر بالراحة أنه تمكن من استغلال الثواني التي تبقت له في الوصول لحل سينقذها من أي تهديد مستقبلي لها. فكما أدركت (أسمايا)

قبلًا بقلبها وتوصل عقلها لتلك النهاية بتفكيره المتفرد، فإن مستقبلها سيكون أكثر ضمانة وحياتها ستصبح أكثر أمنًا ورخاء طالما ظلت مع (چيكا)، لا مع (كريم). كانت تلك الخطة المضادة هي خطوتها الضرورية لتأمين تلك العلاقة التي ستعمل على جعلها أكثر قوة ومتانة من ذي قبل، وكان التخلص من (كريم) هو الحل الوحيد للبقاء مع (چيكا) للأبد.

⟦ الفصل الرابع عشر ⟧

مرت ساعة على لقائها بـ(كريم)، وها هي قد استعدت لمقابلتها المصيرية التالية. كانت تدرك حين عادت لتتذكر تفاصيل محادثتها مع (دريقا) بعد التخلص من تأثير رعبها أن (چيكا) لم يملك مفرًا من إخبار (توت) و(آماليا) و(دريقا) بما يعلمه. كان خطأ يليه خطأ هو المتسبب في تلك الأحداث المأساوية التي مرت بها طيلة حياتها، أو ربما سوء حظ غريب يلزمها ولا يرغب في مفارقة جانبها. نحى عقلها كل تلك الأفكار السلبية، خاصةً أنه قد استطاع التخلص من أشد المخاطر تهديدًا لها، ولا يتبقى سوى بعض الأمور اللازمة لخطته المضادة. عدّلت من فستانها الضيق، والذي لاحظت كثيرًا إعجاب (چيكا) به، رغم أنه ينتهي قريبًا من كعبها العالي الذي ترتديه. على عكس (بهير) كان (چيكا) لا يحب الفتاة الجريئة، بل بدا أنه يحب التوسط في كل شيء. وضعت قليلًا من مساحيق التجميل على وجهها حتى تخفي آثار ليلتها شديدة الوطأ عليها، ولتزيد قليلًا من جمالها الفطري. تحركت لتغادر غرفتها المدمرة، والتي لم تقم بأي ترتيب أو تنظيف لها، حيث كانت تريد اللحاق بـ(چيكا) الذي كان معتادًا على الركض من بيته نحو ساحة الملوك، ثم العودة مجددًا لبيته. كانت عقارب الساعة تشير إلى تمام التاسعة صباحًا حين تحركت بخطى سريعة أشبه بالركض رغم عدم مساعدة كعبها العالي لتلك الحركات الأكروباتية المتهورة. كانت تسابق الزمن حتى وصلت إلى الطريق المؤدي لبيت (چيكا)، حيث من المفترض أن تنتظر مروره من هنا في الدقائق التالية. مر الوقت سريعًا عليها وعقلها يراجع ما ستفعله مرارًا وتكرارًا ويقارنه بالصورة الكاملة التي يود الوصول إليها في نهاية المطاف. جذب انتباهها صوت تحطم مجموعة من الأغصان الجافة والتي تساقطت في هذا الوقت من السنة على الطريق المعبد الذي يعتاد (چيكا)

اجتيازه. لم تنتظر كثيراً حتى لاح خياله في الأفق، ليقترب منها في سرعة وعيناه مثبتتين فوقها. كان أكثر ما يخشاه هو نوبة غضبها حين تعلم بعدم سماعها لتحذيراتها. لكنه رغم إدراكه لعدم التزامه بما طلبته منه موقن أنه استطاع أن يصل إلى نتيجة ترضيها وتحميها من مخاوفها وشكوكها. وصل إليها، ثم قال وأنفاسه المتسارعة تحول دون أن يقول كلماته بوضوح:

ـ «مرحبًا، أسمايا. اشتقت لكِ كثيراً»

كانت تدرك أنه سيحاول تجنب النقاش مباشرة معها فيما فعل، لكن عقلها أخبرها بضرورة مباغتته، والهجوم فورًا عليه، لذا قالت بنبرة حملت لومًا شديدًا له:

ـ «ألم أحذرك من إخبار (توت) و(آماليا) و(دريقا) بما أطلعتك عليه من أسرار!؟ هل هذه هي إجابتك على ثقتي بك!؟»

أربكته نبرتها الهجومية والمحملة بلوم واضح تجاهه. تلعثم وسط تسارع أنفاسه، لكن (أسمايا) اتبعت عقلها وواصلت هجومها العنيف عليه، قائلة:

ـ «لم أكن أعرف أن حبك لي يبدو بهذه الهشاشة يا (چيكا). لقد خيبت أملي فيك»

تحركت مبتعدة عنه، متصنعة الغضب والنفور منه. أذهله ردة فعلها العنيفة تجاهه، وألفاظها التي قالتها كانت في مرارة العلقم، بل أشد منه كثيراً. حين تمالك شتات نفسه من جديد كانت على بعد أمتار عنه، فاندفع راكضًا صوبها، ليمسك بكتفيها ويقربها منه، ووجهه يلامس وجهها، وهو يقول بملامح مليئة بتأنيب الضمير، ومشبعة بذنب عظيم، وندم بالغ:

ـ «لم أفعل ذلك لأنني لا أحبك كفاية، بل فعلتُ ذلك لأني أحبك كثيراً»

واصلت هجومها وسط سيل من دموع التماسيح التي اندفعت من مقلتيها بغتة دون توقف، قائلة بنبرة ضعيفة، متصنعة الصدمة منه:

ـ «نعم.. يبدو حبك لي جليًا للغاية يا (چيكا)»

ـ «لا تقولي هذا عني رجاء، ما أقدمت على تلك الخطوة اختيارًا بل إجبارًا. لقد اكتشفت (أماليا) و(دريقا) سرنا الخاص بمجموعة العين. لم يكن أمامي من خيار آخر»

ـ «لذا قررت الدفاع عن نفسك حتى لو كان ثمن ذلك هو تضحيتك بي»

ـ «لا، لم أفعل ذلك تضحية بكِ؛ فقد ناقشتهم جميعًا في سبيل الدفاع عن موقفكِ. وقد نجحت محاولاتي في ذلك، ولم يركِ (توت) مذنبة فيما حدث»

ـ «لا تقل ذلك؛ فلم تكن تعلم ردة فعله يا (چيكا) حين أخبرته. كيف أهون عليك بتلك الطريقة!؟ عار عليك!»

احتضنها رافضًا أن يتركها تبتعد عنه مجددًا. اندفعت في بكاء هستيري زائف و(چيكا) يمسكها في قوة بالغة. كان شعوره بالذنب جديدًا عليه؛ فلم يجد له صدى في نفسه قط. لام نفسه كثيراً على عدم التفكير في مصلحتها بالشكل الكافي واللازم والضروري لأي حبيبين حقيقين، وقد كان يعشقها. أفلتها حين هدأت وعيناها متورمتان من آثار ليلة البارحة، لكنه فطن إلى شدة بكائها، ثم قال بصوت خفيض:

ـ «سيكون هذا درسًا لي لن أنساه قط طيلة حياتي. أعتذر لكِ عما بدر مني من إساءات لم أقصدها قط. كنت أحاول التخلص من كافة مخاوفك وأن أجعلكِ تعيشين هنا مطمئنة. أدرك الآن أن ما استطعت الحصول عليه من نتيجة ستحميكِ لا تكفي للتبرير عن خطئي تجاهكِ، لكن أقسم لكِ بحبي العظيم لكِ أنني لن أقدم على شيء مثل ذلك مهما كانت التهديدات»

بدا أنه يوم الاعتذارات العالمي تجاهها. تلقت الاعتذار الثاني هذا اليوم لها بغبطة وسرور، وعقلها يقف بشموخ وكبرياء فخورًا بإنجازاته. ليس من السهل العودة بعد كبوة عظيمة كالتي تعرضت لها بالأمس، لكن كانت عودتها على نفس مستوى الكبوة بل أقوى؛ فقد كانت أسطورية بكل المقاييس. مسح (چيكا) دموعها المتبقية على خديها المشبعين بحمرة تميزها وتزيد من جمالها النقي، وغاص في نقاء عينيها الذي اعتاد أن يأسره طيلة الوقت. حتى أثناء حزنها وغضبها هي أميرة من أميرات الحواديت الخيالية. جمالها لم تنتقص منه دموعها قيد أنملة إن لم تكن قد زادته. رسمت ابتسامة خجلة، كانت بمثابة إعلان صريح عن عفوها عنه. ابتسم هو الآخر واحتضنها هذه المرة بدفء وعشق عميق، وعقله يحتفظ بتلك الذكرى خالدة داخله حتى لا ينسى ما أقسم به لها. لم يكن متيقنًا من مشاعره بذلك القدر من الثقة التي تغمره الآن. لقد تأكد بدون أي ذرة شك أنه قد عثر على توأم روحه، ورفيقة دربه، وأميرة قلبه، وهو موقن من مكانته لديها دون الحاجة لها بأن تفصح له بأي شيء؛ فلم تكن غضبتها العظيمة تجاهه ولا حزنها العميق مما فعل سوى دليل عظيم على مكانته في قلبها؛ فعلى قدر الحب يأتي الحزن والغضب. أفلتها بعد دقائق طالت كانت من أكثر الدقائق سعادة وراحة لقلبه، ثم نظر في عينيها سامحًا لهما أن تأسراه من جديد، وهو يقول:

- «هل عفوتِ عني؟»

هزت رأسها مؤيدة، وعيناها تبثان عشقًا حقيقيًا نابعًا من أعماق قلبها نحوه. تابع قائلًا بنفس النبرة الحنون:

- «أريد أن أسمعكِ تقولينها»

ابتسمت له في خجل، وشخصت ببصرها نحو الأفق، وهي تقول بصوت خافت:

ـ «نعم، لقد عفوت عنك، فكيف لا أفعل وأنا أعشقك!؟»

احتضنها من جديد، وقد اطمأن قلبه لمشاعرها تجاهه. انفصلا واكتفيا بالنظر دون تبادل أي كلمة أخرى، مودعين بعضهما البعض، ثم عاد كل منهما أدراجه صوب بيته، و(أسمايا) تشعر بالزهو مما استطاعت تحقيقه في بداية يومها من إنجازات ستؤمّن لها الكثير، خاصة أنها بدأت العمل على خطتها الجديدة بنجاح باهر. أما (چيكا) فكان يشعر أنه يطير على الأرض لا يسير، وسعادة الحب المتبادل الذي تيقن منه لتوه كانت تسيطر عليه دون أي منافس.

⟦ الفصل الخامس عشر ⟧

كانت لقاءاتها التالية بعد ذلك مجرد مواجهات بسيطة لم تكن في حاجة للقلق بشأنها. حتى حين قابلت (أماليا) لم تخشَ ردة فعلها، خاصة حين ضمنت عدم توجيه أي إتهام لها من قبل (توت). أبدى الجميع تعاطفه معها إزاء ما تعرضت له من تهديدات، وعرضوا عليها كامل دعمهم كي تقدر على إنقاذ أسرتها من الأسر. أبدت لهم عرفانها التام بجميلهم الذي لن تنساه. انهمك بعد ذلك جميع أعضاء الفريق في مهامهم الخاصة، إلى جانب تدريباتهم التي بدؤوا يقومون بها بمفردهم حين لا يلتقون، ويحاولون الوصول إلى طريقة جماعية فعالة بإصرار بالغ. كانت (أسمايا) دوما تقف إلى جوار (چيكا)، إن لم تكن تتأبط ذراعه، أو ترتمي بين أحضانه أمام الجميع، ليتيقنوا من توطد علاقتهما بشكل أكثر عمقًا. لم تتخلف (مهالينا) عنها، حيث بدأت في التقرب بسرعة من (بهير) الذي لم يمانع ارتباطه بها، وإن لم يرغب في التسرع باتخاذ أي قرار، خاصة في ظل خروجه لتوه من صدمة عاطفية نفسية، قد تؤثر على أي قرار يتخذه بهذا الشأن. لم تكن (مهالينا) متعجلة في محاولتها لدفعه للارتباط بها؛ حيث لم يكن هناك أي تهديد أنثوي تجاهها أو منافسة قد تخشاها؛ فقد اختفت من الصورة أشد منافسة لها خطرًا وهي (أسمايا). مرت الأيام سريعًا، ليصلوا إلى الليلة السابقة ليوم بدء المسابقة المرتقبة. أرسل المدير إلى كل منهم ليجتمعوا من جديد وسط توتر عالٍ لم يكن له مثيل من قبل. اجتمع الفريق إلى جانب (أماليا) و(دريقا)، وأمامهم يجلس المدير (توت) في هدوئه العظيم، وشخصيته ذات الحضور الطاغي. كانت أول مرة تقابله فيها (أسمايا) وجهًا لوجه، والمرة الأولى لرؤيته بعدما عرف عنها كل شيء. لم تحمل عيناه أي ضغينة تجاهها

لتتيقن من خلو نيته من أي سوء لها في المستقبل. جال (توت) ببصره فيهم جميعًا، ثم قال:

ـ «لقد حانت لحظة الحسم؛ فغدًا هو اليوم الذي سيحدد كل شيء»

ـ «ألا يمكن أن نتجاوز المنافسات وتجعلنا نتأهل مباشرة يا سيدي؟»

ضحك (توت) على كلمات (چيكا)، قبل أن يجيبه قائلًا:

ـ «أعرف أنك تمزح، لكن هذا لا يجوز؛ فالقواعد يجب اتباعها دونما استثناء»

ـ «كنت أعرف ذلك»

ـ «لنتحدث بجدية. ماذا اكتشفتم من معلومات بخصوص أتباع المجلس العالمي للسحرة؟»

تحرك (بهير) ممسكًا بملف كبير مليء بالأوراق، وسلمه للمدير. كان قد سلم (چيكا) نسخة مطابقة لهذا الملف، إضافة لنسخة أخرى خاصة بكافة التفاصيل الممكنة عن منافسيهم في المسابقة غدًا. أخذ (توت) يقلب الأوراق سريعًا، كما لو كان يعرف مسبقًا محتوياتها، ثم قال بعدما انتهى:

ـ «هذا عمل رائع، لكن فريقي استطاع الحصول على معلومات أكثر»

ـ «يبدو أن فريقك مميز حقًا، من ينتمي إليه بخلاف الثلاثة هنا يا سيدي؟»

ابتسم (توت)، وهو يقول لـ(چيكا):

ـ «مجموعتي سرية، وهذا يعني أن هويتهم يجب أن تبقى سرية»

ـ «لكنك تعرف هوية جميع أعضاء مجموعتي يا سيدي»

ـ «الخطأ خطؤك؛ فالمجموعة يجب أن تبقى سرية، لكنك فشلت في الحفاظ على ذلك. لن أخبرك بهوية أعضاء مجموعتي قط، فلا تسأل مجددًا»

ثم عاد ليوجه كلامه للجميع، قائلًا:

ـ «لقد حللتُ بنفسي الصولجان الذي بحوزة (أسمايا). هو صولجان ضعيف القوة، ينتمي لساحر ضعيف، ولكنه كبير في السن، وليس صغيراً. أعتقد أنه يعود إلى (كريم)»

كانت (أسمايا) مدركة لمدى خطورة تلك الخطوة حين طلبت (دريقا) منها أن تمنحها الصولجان الذي معها لفحصه. لم تكن بحاجة لأي مساعدة حتى تخمن هوية من سيفحص الصولجان. لم تجد في تسليم الصولجان لها وبالتالي لـ(توت) أي مشكلة تخص خطتها الخفية، لكنها كانت تخشى أن يدرك (كريم) ذلك من خلال متابعته الحثيثة لها. لكن (دريقا) طمأنتها حين أخبرتها أنها قامت بإلقاء وصفة تعيق أي مراقبة من أي شخص عليهم. كذلك أخبرتها أن تلك الوصفة صعبة، ولا يمكن استخدامها على نطاق واسع، حيث كانت على وشك أن تطلب أن تمنحها عددًا كبيراً منها، لكنها تراجعت إزاء ما عرفته منها. منحت (دريقا) الصولجان التي ابتعدت في سرعة لتذهب به نحو (توت) كي يفحصه بعدما وعدتها أن تعيده إليها غدًا بنفس الطريقة التي أخذته منها. كانت صادقة حيث استخدمت نفس الوصفة قبل أن تعيد الصولجان إليها. لم تهتم بما توصل إليه (توت) بشأن هذا الصولجان بقدر ما كانت معنية بتعميق وجهة نظر (توت) ومن معه من التاسوع إليها، حيث رغبت في أن تؤكد ولاءها لهم وأن ترفع من ثقتهم فيها أطنانًا وأطنان. ودت لو استطاعت الحصول على قنينة واحدة من تلك الوصفة التي رأت فيها حلًا بالغ الروعة لمشكلة عظيمة تعرقل سير خطتها التي على وشك الاكتمال. لكن (دريقا) رفضت رفضًا قاطعًا منحها أي قنينة منها، حيث أخبرتها أنها لا تملك سوى ثلاث فقط، وهم في حاجة ماسة إليها لمنع تلصص (كريم) والمجلس عليهم. لذا استسلم عقلها وألقى بهذا الحل المثالي تمامًا، وواصل تفكيره في كيفية اجتياز تلك المعضلة.

- «هل تقصد (كريم) الذي رأيناه في أول يوم بالمدرسة؟»

- «بالفعل هو يا (مهالينا)؛ فهو من أصول مصرية. وكما يعلم الجميع لا يكفي أن تكون ساحرًا كي تنضم إلى المدرسة، بل يجب أن تكون قوتك في مستوى معين حتى تنضم إلينا. لكن حين تنضم إلى مدرسة العين يجب أن تحترم قوانينها ونظمها وهذا ما لم يؤمن به (كريم) حين كان طالبًا هنا. قمت بنفسي بتولي عملية طرده من المدرسة، لذا أعتقد أنه يحمل ضغينة شخصية ضدي، خلاف ما يضمره من بغض للمدرسة التي طُرِد منها»

تفاجأ الجميع ومن بينهم (أماليا) و(دريقا) حين علموا أن (توت) كان يعرف (كريم) بشكل شخصي. مثل هذا التاريخ القصير لـ(كريم) في المدرسة مفاجأة لـ(أسمايا)، لكنها لم تندهش كثيرًا حيث بدا من معلوماته الغزيرة عمق معرفته الشخصية بالمدرسة وتفاصيل الدراسة فيها. عرفت الآن كيف علم (كريم) كل هذه المعلومات رغم تعويذة الحماية التي تُلقي على أي طالب يدخل المدرسة.

- «لكن ما فائدة التعويذة التي كانت تقوم بها (أسمايا)؟»

- «تلك التعويذة يا (دريقا) تجعل الدرع الحامي للمدرسة يتعرف على (كريم) على أنه عضو من التاسوع. لذا حين يدخل إلى المدرسة لن يدق جرس الإنذار قط. كذلك بوجوده وسط طائفة التاسوع سيتمكن من دعوة أي عدد من السحرة كيفما يرغب»

كان كلامه منطقيًا، حيث استطاع ببساطة أن يملأ كافة الفراغات التي كانت عصية على (چيكا) وفريقه. تابع حديثه قائلًا:

- «خطتهم التي خمنتها هي الوصول إلى سرداب الأسرار في المدرسة. سبب تخميني لهذا المكان كهدف للهجوم لأنني تذكرت الفترة التي كان (كريم) متواجدًا فيها بالمدرسة، حيث بدا مهتمًا للغاية لدخول هذا السرداب، حتى

أنه قد تجرأ وطلب ذلك مني أكثر من مرة. هذا السرداب لا يعرف مكانه أي شخص في المدرسة، حتى بين طائفة التاسوع لا يعرف أحد عن وجوده إلا فئة قليلة، لذلك ربما قاموا بتجنيد عدد منهم لخدمة أغراضهم ومساعدتهم فور الدخول للمدرسة لمعرفة مكان السرداب»

ـ «هذا يُضيِّق من دائرة الشك إذن، فهل تشك في أحد منهم، سيدي؟»

ـ «معك حق، (چيكا)، فعدد من يعرف بذلك المكان لا يتجاوز خمسة عشر شخصًا. خمسة منهم أثق فيهم وهم أعضاء في مجموعتي»

ـ «وماذا عن العشرة الآخرين؟ كيف تنوي التعامل معهم؟»

ـ «لقد تصرفتُ بالفعل يا (بهير)؛ فستة منهم يقودون فرقهم في المنافسات لذا وجودهم هناك أثناء المنافسة أمر حتمي»

ـ «هذا يضيق دائرة الشك لتصير حول أربعة فقط»

ـ «لذلك قمت بإسناد مهمة التحكيم وإدارة المسابقة لهم، فانضموا بالأمس إلى مجموعة إدارة المسابقة»

ـ «فكرة سديدة، سيدي»

ـ «سيقوم أعضاء مجموعتي بحماية السرداب ومراقبته. سنسمح للدخلاء باقتحام السرداب، لكن لن نجعلهم قادرين على استخدام السحر في تلك المنطقة، وبالتالي سيتعين عليهم الخروج من المدرسة لإرسال المعلومات إلى مرؤوسيهم. وهناك بالخارج سيقوم أعضاء مجموعتك بمعاونة مجموعتي بنصب كمين لهم. وجود فريقك معي مهم هنا؛ فهم كطلبة ستكون حركتهم أقل إثارة لشكوك الخونة من التاسوع وسيساعدوننا في استدراجهم»

ـ «لماذا لا نعكس الأدوار؟ فمراقبتهم لا تحتاج لمجموعتك القوية، سيدي»

- «هذا لأنني أخشى أن وجودهم هنا ليس فقط من أجل المعلومات»

لم يفهم أحد ما يعنيه (توت)، فاستدرك موضحًا:

- «لو كانوا يرغبون في التسلل، وأخذ المعلومات، والهرب بعدها، فلماذا أحضروا كل هذا العدد معهم؟ ثمانون ساحرًا عدد ضخم على مهمة تسلل وسرقة معلومات كتلك. أخشى أن وجودهم هنا ليس فقط بغرض سرقة المعلومات، بل ربما سيحدثون أعمال شغب قوية، وإلحاق تدمير ببعض المباني بالمدرسة»

- «ولماذا سيفعلون ذلك؟ لن يجنوا شيئًا من ذلك، وسيجذبون أنظارنا بلا ريب تجاههم»

- «وجودهم داخل المدرسة، (أماليا).. وسرقة محتويات السرداب أمنية قديمة لـ(كريم)، لكن ذاك المجلس لا يتكون فقط من (كريم). فكما توصلنا لمعلومات عنه أنه يُقاد بعشرة أشخاص ينتمون لعشرة جنسيات مختلفة من بينهم (كريم). لذا أشك أن نواياهم ستكون فقط من أجل إشباع رغبة (كريم). ربما أغراهم بمحتويات هذا السرداب وما يخفيه من أسرار، لكن الأهم بالنسبة لهم ليس الحصول على أسرارنا فحسب، بل تدميرنا كذلك. لذلك فما سيفعلونه من أضرار بالمدرسة بمثابة إعلان جلي عن وجودهم ومسؤوليتهم عما حدث، وتصريح علني عن مقدار الوهن الذي لحق بالمدرسة. يمكن اعتبار ذلك إعلانًا واضحًا بالفارق بين قوتهم وضعفنا، وهو شيء هام للغاية لهم»

لم يجادله أحد؛ فمنطقه القوي في التفكير قد جعلهم غير قادرين على عدم تقبل ما قاله للتو. تساءل (چيكا) قائلًا:

- «لكن متى سيبدؤون خطتهم غدًا، سيدي؟ هل في بداية المسابقة أم في منتصفها؟»

ـ «لا هذا ولا ذاك. سيبدؤون خطتهم في نهاية المنافسة. حيث الإثارة تصل إلى أقصاها ويزداد التركيز إلى أعلى معدل له في المسابقة. في تلك اللحظة سيستغلون تلك الحالة من تشتيت الانتباه عن أي شيء آخر عدا المسابقة ويدخلون المدرسة»

ـ «إذن من الأفضل أن يكون فريقي إلى جوار مجموعتك، سيدي»

ـ «لا؛ فمجموعتي قادرة بمفردها على ردعهم جميعًا»

ـ «إنهم ثمانون ساحرًا، سيدي. كم عدد مجموعتك؟»

ـ «لن أخبرك»

ابتسم (چيكا)؛ فعلى ما يبدو أنه لن يحصل على أي معلومة منه قط، لكن بالغد سيستطيع أن يعرف هوية كافة أعضاء مجموعته وعددهم؛ فهو لا يحب حقيقة أنه يعرف كل تفصيلة عن العين وهو لا يعرف حتى اسم مجموعته!

ـ «لتذهبوا وتستريحوا؛ فغدًا يوم شاق جدًا. بالتوفيق لنا جميعًا»

كان جميع من بالمكان، عدا (أماليا) و(دريقا) و(أسمايا)، لا يدركون كافة التفاصيل المتعلقة بخطة (توت) الكاملة؛ فـ(آماليا) و(دريقا) قد شاركتا (توت) في وضع خطته في تلك الليلة أثناء اجتماعه مع أفراد مجموعته الخاصة. أما (أسمايا) فقد أخبرها (كريم) بما ينتوي (توت) فعله دون أن تعرف بكيفية علمه بتلك الخطة. كانت تشك في معرفته السريعة لخطة (توت) التي وضعها قبل بضع ساعات من لقائهما ذاك الصباح، لكنها بعدما رأته وهو يتحدث عن خطته لاحظت تجنبه لنقاط بعينها وهو ما أثار ريبتها وجعلها توقن أنه يخفي أكثر مما يبدي. ما كان يخفيه كانت قد علمت به من (كريم)، لذا تيقنت من مدى عمق الخيانة التي يعتمد (كريم) عليها.

هذا دفع في نفسها مزيدًا من الحذر، وكثيراً من التردد تجاه ما ستفعله بالغد في سبيل التخلص منه؛ فعلى ما يبدو أنها لا تقدر على الوثوق بأي شخص ممن يثق فيهم (توت)؛ فالخائن الأكبر منهم لا ريب. تحركوا جميعًا مغادرين المكتب. ودع (چيكا) وفريقه (أماليا) و(دريقا)، ثم تحركوا مغادرين ردهة الموائد. أخذوا يتحركون في صمت وسط مباني المدرسة وعقولهم كافة مليئة بأفكار شتى تجعل من فكرة النوم أمرًا مستحيلًا. لم ينطق أي منهم بشيء، لكنهم اتفقوا بنظرات أعينهم على التحرك صوب مكانهم الخاص. أخذتهم أقدامهم ببطء صوب الحديقة الفسيحة المليئة بعدد لا يُحصى من النباتات السحرية، ليجلسوا على الأرض العشبية الرطبة وأعينهم تحدق بدون هدف نحو السماء المليئة بآلاف من النجوم المتلألأة والقمرين الساطعين بجمال بالغ.

ـ «يبدو أن غدًا سيكون يومًا عصيبًا»

ـ «بالتأكيد يا (أوتارا)، حقيقةً لا أستطيع أن أنام»

ـ «لا أعتقد أننا سننام الليلة؛ فما نراهن عليه غدًا كثير»

ـ «معكِ حق، (مهالينا)، لكن هل سننجح غدًا؟»

ـ «ربما؛ فعلى الرغم من ضآلة فرص نجاحنا في الفوز بالمسابقة، لكن لا سبيل أمامنا سوى التمسك ببصيص الأمل ذلك»

ـ «أتعرف، (چيكا)؟ لم يخبرنا (توت) قط عن مكان السرداب»

ـ «لاحظتُ ذلك أيضًا يا (باقر)؛ فـ(توت) رجل حذر جدًا، وهو لن يخبرنا بأي شيء بتلك السهولة»

ـ «لكن إن حدثت معركة سنعرف بالضبط مكان السرداب»

- «لذلك هو قال أنه سيمنع استخدام السحر حوله، وبالتالي لن يجعلهم يقاتلون مجموعته هناك»

- «ربما، لكن غدًا سنعرف هوية مجموعته»

- «أتمنى ذلك يا (بهير)؛ فأنا حانق على معرفته بكل شيء عنا دون أن نعرف أي شيء عنه»

- «لكنه لم يعترض قط على وجود مجموعتنا بالمدرسة، بالعكس قد رحب بها»

- «لا أحد يعلم ما الذي يخبئه الغد لنا يا (كريستي)؛ فربما اليوم يرحب بنا وغدًا يحاول تدميرنا»

- «إذن، ما العمل؟»

- «بادئ ذي بدء علينا أن نقوم بتغيير مكان تدريباتنا إلى مكان سري حقًا. بعد انتهاء اليوم الطويل غدًا سنجتمع لإيجاد مكان جديد خاص بنا لا يمكن لأحد غيرنا أن يدخله»

- «معك حق، (چيكا)؛ فلولا أن مكاننا هنا مكشوف لما استطاعت (أماليا) و(دريقا) اكتشاف أي شيء عنّا، ولما عرف المدير بأي شيء على الإطلاق عنّا»

- «متفق معكِ، (مهالينا)، لكن لنؤجل الحديث عن ذلك لاحقًا؛ فإيجاد مكان في عقر دار المدير الذي يعرف كل خبايا المدرسة لن يكون أمرًا هينًا على الإطلاق، خاصة أنني أتوقع أنه سيراقبنا طيلة الوقت. أخبريني، (أسمايا).. هل قمتِ بإعداد كافة الوصفات اللازمة للغد؟»

- «بالطبع؛ فبمساعدة (دريقا) استطعنا تصنيع عدد ضخم من الوصفات، أخذت جزءًا كبيرًا منها لمجموعة (توت) السرية، لكن لدينا كمية لا بأس بها للغد. وهذه ورقة خاصة بكافة المعلومات عن كل وصفة»

منحت كل فرد من فريقها ورقة بردي مدون عليها أسماء الوصفات والغرض منها. مر (چيكا) سريعًا على محتوياتها، ثم طواها جيدًا، وقال بهدوء:

ـ «عمل رائع يا (أسمايا)»

ـ «هل قرأتَ الملف الذي أعددناه لك بخصوص المنافسين غدًا؟»

ـ «نعم، اطلعت عليه في الصباح. مجهود جبار قمتما به يا (باقر) و(كريستي). لقد استطعتما تحديد نقاط قوة وضعف كل فريق منهم. حقيقة، أغلب الفرق قوية فعلًا، لكن هناك عدد من نقاط الضعف الخاصة بكل فريق، والتي إن ركزنا عليها فسنتمكن من الفوز»

ـ «هذا جيد؛ فلابد أن نُحضِّر استراتيجية غدًا لمواجهة كل فريق»

ـ «من الصعب وضع كل تلك الخطط لهذا العدد الضخم من الفرق، لكن حالما نعرف من سنقوم بمواجهته سأضع خطة على الفور مبنية على المعلومات التي برأسي؛ فلقد حفظتُ كافة المعلومات عن ظهر قلب»

ـ «هذا شيء مطمئن للغاية، (چيكا)»

ـ «هناك شيء آخر أود إطلاعك عليه يا چيكا»

ـ «هل نسيتَ شيئًا ما بخصوص المعلومات عن الفرق؟»

ـ «لا، ليس هذا.. هو لا يتعلق بشكل مباشر بخطتنا بالغد»

ثم صمت (باقر)، وتبادل النظرات مع أخيه و(بهير) و(مهالينا) و(أوتارا)، قبل أن يتابع قائلًا:

ـ «لقد اتفقت عائلاتنا الأربع على توجيه ضربة قوية غدًا لإحدى العائلات الملكية التي ساعدت الخائن (سمهاري) في مكيدته السابقة ضدنا»

صمت (چيكا) مفكرًا فيما سمعه للتو. لم يكن بحاجة لمعرفة الكثير عن العائلات الملكية حتى يشعر بذلك التشاؤم والخطر من تلك الحركة بالغد؛ فمؤكد أنه بعد ذلك الهجوم ستلقى العائلات الأربعة مزيد من الهجوم الضاري والمباشر عليها. علق (چيكا) قائلًا:

ـ «خطوة خطيرة يا (باقر)، هل فكروا مليًا فيها؟»

ـ «بالطبع؛ فنحن نعرف مدى خطورتها، لكن هناك أمر لم يخطر على عقل أحد، حتى على (توت)»

ـ «وما هو؟»

ـ «احتمالية أن يكون عدد من العائلات الملكية متواطئ مع المجلس العالمي للسحرة»

صدمه مدى واقعية هذا الاحتمال الذي غاب عنهم؛ فعدد كبير من التاسوع ينتمي لعائلات ملكية بالفعل، و(سمهاري) كان نموذجًا مثاليًا لذلك. لو تعدى الأمر احتمالية الخيانة الفردية إلى خيانة العائلات، فسيصبح الأمر أكثر تعقيدًا عليهم لا ريب. تمتم (چيكا) بضيق، قائلًا:

ـ «رغم خطورتها لكنها تبدو خطوة هامة فعلًا. أتمنى ألا يكونوا مخطئين في تقدير مدى الضرر الذي سيحدث، فلا أرغب في أن يلحق بهم أي ضرر بسببنا»

ـ «لا تقلق؛ فلا يوجد من هو أغلى من الأبناء في العالم لدى أي أسرة. وهؤلاء قاموا بمحاولة أذية أبنائهم لذا تلك الخطوة ضرورية لهم حتى يشعروا أنهم قاموا بما عليهم تجاه حماية أطفالهم»

ـ «معك حق، (بهير). حسنًا، بما أننا لن ننام، لماذا لا نتدرب قليلًا ونراجع ما تعلمناه؟»

لم يعترض أحد، فاستغرقوا طيلة ليلتهم الطويلة في مراجعة تعاويذهم ودراسة وصفاتهم التي أعدتها (أسمايا) بمعونة (أوتارا) و(دريقا). حالما عاد ضوء الصباح للانتشار في المحيط الواسع للكون الفسيح حولهم تحركوا صوب قاعة الموائد ليتناولوا طعام إفطارهم، وسط جو عام مليء بمزيج من الحماسة والقلق والترقب. بدا التوتر جليًا على الجميع فور دخولهم للقاعة. لم يجلسوا في موائد بيوتهم، بل اجتمعوا سويًا يتناولون طعام الإفطار الشهي فوق مائدة بيت (ست). لم يكترث أي شخص بما فعلوه، حيث انهمك الجميع منشغلًا في أموره الخاصة. بعد الانتهاء من طعام الإفطار دخل عليهم كافة أعضاء التاسوع بأزيائهم المميزة، وعلى رأسهم وقف (توت)، ثم قال بصوته الجهوري:

ـ «مرحبًا بكم جميعًا. بعد قليل ستبدأ أحداث المسابقة الخاصة بتحديد من سيمثل المدرسة في كأس العالم للسحرة. قبل أن تبدأ المسابقة أحب أن أقول أن الشرف يحظى به كل من سيشارك بالمسابقة والمجد حصري فقط على من سيفوز فيها. أتمنى التوفيق لكم جميعًا يا أبنائي، ولتذهبوا خلف التاسوع فور انتهائكم من الإفطار»

اختفى (توت) مجددًا، عائدًا نحو الطرقة المؤدية إلى مكتبه. تحرك الجميع على الفور متبعين خطوات التاسوع وسط ضجة ضخمة ناجمة عن خطواتهم المرتبكة. لم يكن (چيكا) في حاجة لقول أي شيء حيث انقسمت مجموعته على الفور إلى فريقين، سار أحدهما خلف التاسوع والآخر اتجه تابعًا المدير نحو مكتبه. نظر خلفه لتتعلق عيناه لوهلة بحبيبته، وهي تبادله نفس النظرات التي تقول الكثير في وقت قليل. تحرك كل منهما في اتجاه مغاير للآخر، وقلباهما يتمنيان أن يعود رفيقه الآخر له سالمًا في نهاية اليوم.

⟦ الفصل السادس عشر ⟧

كان الجو في ذاك التوقيت من منتصف شهر يناير في هذه المدينة العتيقة يُعتبر باردًا عاصفًا ممطرًا وفي غاية السوء، لكنه شهد أسوأ من ذلك بكثير. تحركت عربة الليموزين وسط شوارع القاهرة التي لم تتغير عن آخر مرة زارها وسار في أحيائها المختلفة. هذه المرة كانت زيارته لها مختلفة؛ فكان دومًا يتحرك خلسة وبحذر بالغ، وعيناه تلتفتان في كل جانب وركن حوله. كان دومًا ما يزورها كالطفل الهارب من بيته، لكنه اليوم جاء لها كالبطل المنتظر. لم يكن بحاجة للحذر فتلك السيارات السوداء ذات الدفع الرباعي والمحيطة بسيارته تؤمن له عبوره ضد أي خطر. ترجل (كريم) من السيارة فور وقوفها أمام مقدمة فندق ضخم يقع في قلب المدينة. أحاط به على الفور مجموعة كبيرة من الرجال ضخام الجسد مفتولي العضلات يرتدون زيًا موحدًا من البِزَّات السوداء ونظارات الشمس القاتمة. كل من وقعت عينه على (كريم) حينها تيقن أنه شخص ثري للغاية، أو دبلوماسي من أحد البلدان المجاورة، وإلا كيف سيحصل على كل هذا الجيش الصغير لحمايته؟ تحرك عابرًا بوابة الفندق ليسير إلى جواره آخر شخص كان يتمنى وجوده معه في تلك المهمة. مضى الوقت سريعًا حتى اجتمع بكافة قادة الفرقتين اللتين سيقومان بتنفيذ خطته، وإلى جوارهم يجلس هذا الكريه (أوكايو) مبتسمًا بتلذذ واضح لضيق (كريم) لوجوده. شهدت الأيام الماضية لقاءات عاصفة بين الطائفتين، حيث انقسم المجلس إلى فئة المؤسسين وفئة المجددين. كان التعارض الواضح بين الفريقين قد أوشك على العصف بهذا المجلس، لولا حنكة البعض من الجبهتين حتى لا يفقدوا بوصلتهم نحو الهدف الأسمى من أي خلاف. كانت المناقشات تتركز كالعادة بين (كريم) و(أوكايو)، حيث هاجم الأخير (كريم) بضراوة، محاولًا التشكيك في خطته

وضربها في مقتل. استغل ما فعلته (أسمايا) قبلًا ليقلب أعضاء المجلس ضد (كريم)، لكن الأخير كان قد أمّن جبهته عبر إقناعه لرفاقه المؤسسين بخطته، وبدور (أسمايا) فيها، ولم يغفل عن توضيح كل الملابسات المتعلقة بما فعلته بالمدرسة. تحركت جبهته لتؤمن تأييد شخصين من المجددين، ليقف في نهاية المناقشات (أوكايو) بمفرده، إلى جانب شخصين آخرين ضد خطة (كريم) ومن يدعمها. رغم صغر عددهم إلا أن (جون) كان حكيمًا حين اقترح درأ الصدع الذي حدث بالمجلس، وأن ترسل جبهة المجددين شخصًا منهم يشارك في المهمة ويتابع أحداثها. خمن (كريم) فورًا هوية ذاك الشخص حالما أخبره (جون) باقتراحه، لكنه قبل أن يعترض شد انتباهه صوب نقطة كان قد غفل عنها، لذا فرغم ضيقه البالغ من وجوده، إلا أنه تقبل ذلك على مضض، متذكرًا تعليمات (جون)؛ فإن مثلت المهمة أكبر خطط المجلس حتى الآن، فقبوله لوجود (أوكايو) ومساعدته لأن يرى كل شيء بوضوح سيكون أكثر أهمية، نظرًا لأنه سيساهم في ترميم ذاك الانقسام داخل قادة المجلس. بدأ (كريم) الاجتماع الذي دار في جناحه الخاص، والذي كان متسعًا بما يكفي لاستيعاب اجتماعه مع هؤلاء الشخصيات الخمس إضافة لـ(أوكايو)، حيث قال:

ـ «لا وقت لدينا لمراجعة كل التفاصيل الخاصة بالخطة. قرأتم ما أرسلته بالأمس لكم. هل هناك أي أسئلة بخصوص الخطة؟»

كان يجلس أمامه أربعة رجال وامرأة، وجميعهم ذوو عضلات بارزة. كان يعرف مسبقًا أن اختيار الفرقتين تم بواسطة (جون)، حيث جمع أقوى المقاتلين في المجلس. ربما أعاد (جون) تنظيم الفرقتين بناء على ما تم تعديله من خطط خاصة بالمهمة، لكنه يدرك أن فرقته التي سيتولى قيادتها ستضم أقوى السحرة المقاتلين من القارات الخمس. شعر بالزهو يملؤه وهو يشاهد تجمع هؤلاء الأشداء أمامه وسنوات الخبرة الطويلة في القتال السحري

تتجلى أمامه بوضوح. تساءلت المرأة والتي كانت عضوة في فريقه الذي يترأسه قائلة:

ـ «ما فهمت من الأوامر أننا سنستخدم الفريق الأول كطعم حتى يتشتت تركيز سحرة (عين حورس) ونقدر على اختراقهم»

ـ «هذا صحيح يا (سالي)»

ـ «لكني لم أقرأ في الملف عن الخطة المتعلقة بإخراج الفريق من المدرسة، فهل توجد خطة كتلك؟»

تفهم (كريم) ما كانت تلمح إليه، فقال في صوت جاد تمامًا:

ـ «لا توجد خطة لإنقاذ الفريق الأول. خطتنا هي ما يوجد في الملف»

بدا على القادة الخمس أمامه أنهم قد تناقشوا مليًا في هذه النقطة. ما بدا من الخطة المرسلة إليهم من قبل المجلس، أن المجلس سيضحي بالفريق الأول، ويقدمه كبش فداء وليس مجرد طعم. تدخل أكبرهم سنًا وأكثرهم خبرة، قائلًا بصوته ذا النبرة الخشنة واللكنة الثقيلة:

ـ «خسارة ثمانين ساحرًا دفعة واحدة ستكون خسارة فادحة لنا»

ـ «هل تعترض على أوامرك يا (كورالوف)؟»

ـ «لا، سيدي. أنا أحاول تقليل الخسائر الممكنة»

صمت (كريم) مدركًا أن (كورالوف) لا يتحدث من خوفه على حياته، بل على حياة رجاله. قبل أن يخوض نزاعه مع (أوكايو) كان من الصعب عليه فهم قيمة حياة الرجال الذين تحت يديه. لكنه يدين بالفضل لهذا الذي يجلس أمامه صامتًا كي يعي مدى أهميتهم وصعوبة خسارتهم على قادتهم.

تغيرت نبرة صوته، لتحمل انطباعا لهم بتقبله للنقاش معه في هذه الجزئية حين قال:

ـ «هل ترى وجود أي فرصة للفريق الثاني كي يُنقذ الفريق الأول؟»

لا يتذكر (كريم) أنه قد سأله أحد في المجلس أثناء عرضه ومناقشاته معهم عن الخطة، عن تلك الجزئية. لم تمثل له خسارة رجال لا ينتمون له أي مشكلة، لكن من أمامه يخشون على حياة من ائتمونهم عليها، لذا وجد في سؤال (كورالوف) له كأحد قادة الفريق الأول فرصة لتعديل خطته لتصبح أكثر فاعلية. تدخل القائد الثاني للفريق الأول في النقاش، قائلًا بلكنة فرنسية:

ـ «لو سمحت لي، سيدي.. فسأعرض فكرة قد توصلنا إليها على خريطة المدرسة»

هز (كريم) رأسه لـ(أنطوان)، فقام من مكانه وأمسك بورقة مطوية فردها على المنضدة التي يجلسون عليها. ظهرت خريطة تفصيلية كان قد رسمها (كريم) للمدرسة لتساعد الفريقين على التحرك بسلاسة في الداخل. تذكر بسخرية تلك التعويذة التي ألقاها (توت) عليه في أول يوم بالمدرسة. رغم ما أضفته من رعب داخله في بداية الأمر إلا أنه اكتشف بدهائه أنها تعويذة ذات قدرات محدودة، لذا من السهل التملص من براثنها بطرق شتى منها أن يرسم المعلومات التي يعرفها كما فعل بهذه الخريطة. أشار (أنطوان) إلى بقعتين معلمتين بلون أحمر براق، وهو يقول:

ـ «هاتان العلامتان تحددان مكان دخول الفريق الأول والثاني. المسافة بين الفريقين تقارب نصف ساعة بالمقشات الطائرة»

ثم أشار نحو علامات باللون الأزرق، وهو يقول:

- «وتلك العلامات تحدد هدف كل فريق منهما؛ فكما ذكرت في الملف سيهاجم الفريق الأول مكان السرداب القديم. بينما سيهاجم الفريق الثاني مكان السرداب الجديد بعدما نقل (توت) محتويات الأول للثاني متجنبًا المخاطرة في تلك المهمة. بعدها سيتحرك الفريق الثاني لتدمير مباني معينة في المدرسة تحيط بالسرداب الجديد»

صمت محدقًا نحو (كريم) الذي كان يدرك كل ما قاله؛ فهو الذي كتب هذه الخطوات بنفسه. تابع (أنطوان) مقترحًا:

- «لو قمنا بتعديل مهام الفريقين بحيث يتولى الفريق الأول مهمتين، الأولى هي تمثيلية الدخول للسرداب والبقاء فيه كما في الخطة الأصلية إضافة للمهمة الثانية حيث ينقسم الفريق نصفين، نصف يبقى في السرداب ليتولوا عملية هجوم على المحيطين بهم ليشتتوا تركيزهم، والنصف الآخر يخرج من السرداب متسللين ليهاجموا المباني المحيطة بهم. بهذه الطريقة سنوفر على الفريق الثاني مهمة كاملة وقتًا ومجهودًا. عوضًا عن ذلك سينقسم الفريق أيضًا إلى نصفين، نصف يخرج من المدرسة محملًا بالكنوز الموجودة في السرداب الجديد، والنصف الآخر يسرع بواسطة مقشات طائرة صوب الفريق المسؤول عن تدمير المباني لإنقاذه والعودة به لمخرج الهرب الذي يستخدمه الفريق الثاني»

بدا اقتراحه الذي عبّر عن نقاشات الخمسة سويًا منطقيًا. هناك بعض المجازفة إزاء هذا التقسيم الذي سيطرأ على الفريقين. لكنه كان يعرف مدى قوة الفريق الثاني، خاصة أنهم النخبة المختارة من أقوى السحرة في البلاد الموالية للمجلس. بدا الفريق الأول له كالجنود العاديين والفريق الثاني كالفرق القتالية الخاصة التي تتولى عادة مهام غاية في الصعوبة. لم يصدق (أوكايو) نفسه حين رأى تفكير (كريم) في اقتراح (أنطوان) ذاك؛ فكيف يمكن لـ(كريم) أن يفكر في تعديل للخطة التي وافق عليها المجلس بصعوبة بفضل

ما أتى به عميل (أوكايو) من معلومات؟ شعر بالسعادة إزاء وجوده في قلب الأحداث؛ حيث سيظل يسجل كل هفوة يقوم بها (كريم) في هذه المهمة، وها هي أولى هفواته قد وقع فيها لتوه، وتنتظره مفاجأة كبرى بالداخل، كما أبلغه عميله، تدمر مكانته بالمجلس تمامًا.

ـ «أنت تدرك جيدًا أن الفريق الثاني حين ينقسم سيصبح أقل قوة، فإن واجه أي مقاومة من سحرة (عين حورس) فحينها سنجازف بخسارة أكبر»

ـ «لا تستخف بقدراتنا سيدي؛ فنحن جميعًا أقوياء للغاية ومعتادون على مثل هذه المهام الانتحارية»

نظر (كريم) لـ(واين) نظرة طويلة. كان ذاك المقاتل إنجليزي الجنسية أسترالي المنشأ هو الأكثر شبابًا بين الحاضرين. لكن بدا من حديثه معه أنه يعي تمامًا خطورة المهمة التي بين أيديهم. قال (كريم) منهيًا هذا النقاش:

ـ «لتكن إذن كما تريدون. لكن من بين الفريق الأول سيتولى (أنطوان) و(كورالوف) قيادة النصف المسؤول عن تدمير مباني المدرسة. وسيتولى ثلاثتكم النصف الذي سيذهب لإنقاذهم من الفريق الثاني»

إن كان سينقذ جزءًا من الفريق الأول، فيجب أن تكون الأولوية لأكثرهم خبرة وتمرسًا في القتال كهذين القائدين. تفهما ما يريده، لذا بدأ عقلهم في تقسيم فريقهم الكبير إلى من يستحق ومن لا يستحق، بناء على نفس مبدأ قائدهم. صمت (كريم) متذكرًا نقطة قد تساعدهم، فأضاف:

ـ «ولا تخجلوا في أثناء طيرانكم بالمدرسة.. أريدكم أن تلقوا ببعض من باقات التعاويذ المشتعلة نحو أي مبنى تطيرون فوقه»

ضحكوا جميعًا على كلماته التي حملت استخفافًا قويًا بـ(توت) ورجاله. كان (كريم) يدرك أنه بتلك الطريقة سيتخلى عن أقوى الرجال في فريقه، ومعهم

سيصبح أكثر عرضة للخطر. حين وقع بصره على (أوكايو) الذي اكتسى بالصمت وشاحًا له طول الاجتماع أدرك إلى أنه قد توصل إلى نفس الاستنتاج. لكنه كان يعرف أنه لم يكشف بعد أغوار خطته التي يخفيها عنه بشأنه، والتي يصب كل شيء حتى الآن في صالحها. قام الرجال الخمسة ليقوموا بتعديل مخططاتهم الفرعية والمنوطة بإستراتيجيتهم القتالية حتى تتلاءم مع التعديلات التي طرأت على الخطة، وبدؤوا في نقل تعليماتهم الجديدة إلى أتباعهم في استعداد أخير قبل التحرك للمدرسة. لم يجد (كريم) غضاضة في تقبل نظرات (أوكايو) الشامتة فيه؛ فقريبًا سينظر له نفس النظرات، مصحوبة بضحكات عالية؛ فالأذكى هو من يضحك أخيرًا، لأنه سيضحك أبدًا.

نسخة الكترونية حرامية

⟦ الفصل السابع عشر ⟧

سار الجمع الغفير من الطلاب في مشهد مهيب، عابرين الطرقات نحو اتجاه جديد كليةً على (چيكا) ورفاقه. لم يتجهوا قط جهة الجنوب الشرقي على الإطلاق؛ حيث شهدت تلك المنطقة وجود غابات كثيفة للغاية، وأمطارًا متواصلة. ظلوا يسيرون خلف التاسوع قرابة نصف ساعة. لم يتوقف أحد من جراء هطول هذا الكم الهائل من الماء فوق رؤوسهم، فقط استمروا في السير فوق الطرقات الضيقة الممهدة بين الغابة. انتهى بهم المطاف نحو مساحة شاسعة خالية من الأشجار تمامًا، منصوبةٌ فيها مجموعات ضخمة من الطوابق المرتفعة في الهواء، والمليئة بمئات من المقاعد المختلفة. توقف التاسوع عن السير والتفت محدقًا نحو الجميع. كانت تتقدمهم (أماليا) بردائها الأحمر المميز، ثم قالت بصوت جهوري عالٍ شبيه بصوت (توت):

ـ «لتسمعوني جيدًا؛ فلن أكرر كلامي مجددًا. كل طلبة المدرسة غير المشتركين في المسابقة عليهم إتباع خطوات التاسوع على يميني. أما من اشترك في المسابقة فليتبع التاسوع على يساري»

لم يعرف (چيكا) ما الذي يحدث أمامه، لكن ضوضاء جمة بدأت في الظهور جلية في المكان بشكل مباغت. اتبع هو والأخوان و(أوتارا) جهة اليسار في صمت وسط ارتباك واضح في الجميع حولهم. بدا الأمر جنونيًا، حيث كان يركض الجميع يمينًا ويسارًا بشكل فوضوي تمامًا. بعد هنيهة وجد (چيكا) نفسه عابرًا أسفل غطاء عملاق لامع براق يحيط بالمباني الضخمة، ليجد المطر قد توقف فجأة حين عبر أسفله. كان المكان مضيئًا بأضواء ساطعة للغاية، جعلت المكان يبدو كقطعة من النور. لمحت عيناه مجموعات من التاسوع تحلق في الهواء بفعل السحر وخلفها مجموعات أخرى من الطلبة

يسبحون خلفهم بتأثير سحرهم. على ما يبدو أنهم كانوا يجلسونهم في المقاعد أعلى منهم. أما أمامه فقد انتصبت منصة عملاقة دائرية مغطاة بمفرش ثقيل من اللون الأبيض الهادئ. وجد على طرفه خيمة عملاقة منصوبة بشكل مميز كانوا يسيرون في اتجاهها. في النهاية دخل إلى الخيمة ليجد الضوضاء الناجمة عن الطلبة بالخارج قد توقفت. لم يكن الوضع حوله مبشرًا بخير على الإطلاق؛ حيث وجد عددًا كبيراً من الطلبة قد تغيرت ملامحهم معبرةً عن كم الرعب الذي يشعرون به. أخذ (چيكا) جانبًا بعيدًا عن الزحام المركز في المنتصف وتبعه رفاقه. لم ينطقوا بأي كلمة وأعينهم تكتفي بالتحديق بثبات في من حولهم. استمر مجيء عدد كبير من الطلبة لمدة قصيرة قبل أن يتوقف أي طالب عن القدوم. ظلوا واقفين في مكانهم يحدقون في بعضهم البعض في ثبات قبل أن تظهر (أماليا) وخلفها عدد من التاسوع يُقدَّر بالعشرة. جذبت انتباه الجميع نحوها كمغناطيس عملاق، ثم قالت:

ـ «مرحبًا بكم، أنا (أماليا) نائبة مدير المدرسة ورئيسة الفريق المسؤول عن إدارة المسابقة. عليكم باتباع تعليماتي ولا تخالفوها قط. من يخالف تعليماتي سيتعرض هو وفريقه للطرد فورًا. التعليمات بسيطة: لا تستخدموا أي تعويذة أو وصفة لهدف القتل. من يفعل ذلك متعمدًا سيتعرض للطرد من المسابقة. سنقوم بتقيسمكم الآن إلى ثمان وعشرين مواجهة بعدها سننتقل إلى المنافسات مباشرة. توجد في الساحة بالخارج سبع حلبات خاصة بالمواجهات، لذلك سنقوم بإقامة سبع مواجهات في نفس الوقت. حالما يأتي دور فريقك سيقوم أحد أعضاء فريقي بالنداء على اسم الفريق، وعليكم أن تدخلوا على الفور للساحة. أي تأخير في الدخول عن دقيقتين سيتم طرد الفريق فورًا.

ثم جالت بنظرها في عيون الجميع، لتتيقن من وصول كلماتها إلى داخل عقولهم، ثم تابعت قائلة:

ـ «لتتنافسوا بجدية، ولتظهروا لنا جميعًا مدى عظمة هذه المدرسة وعراقتها. بالخارج لا يوجد فقط زملاؤكم الطلبة وأفراد التاسوع، لكن يوجد نخبة مختارة من قادة العائلات البارزة في عالمنا السحري. أريد أن تثبتوا للجميع مدى جدارتكم واستحقاقكم لنيل شرف تمثيل عالمنا السحري بالخارج. بالتوفيق»

تحركت مغادرةً المكان، يتبعها سبعة من التاسوع، ليقف ثلاثة فقط أمام هذا الجمع الغفير من الطلبة المتوترين للغاية. أمسك أحدهم واقفًا في منتصفهم ورقة بردي طويلة، وقال بصوت عال:

ـ «المنافسة الأولى، فريق (مروى) في مقابل فريق (يحيى)»

ثم استمر في سرد أسماء الفرق الثلاث عشر الأخرى، ليتحركوا في سرعة خارجين من الخيمة. لم يستطع (چيكا) ولا أي شخص حوله استراق النظر أو السمع لما يحدث بالخارج. لم تمر دقائق خمس حتى عاد صوت الرجل مجددًا قائلًا:

ـ «فريق (نور) ضد فريق (ليل)»

مرت نصف ساعة من الانتظار المميت، بدت دهرًا على الجميع، قبل أن يعود صوت الرجل، قائلًا من جديد:

ـ «فريق (هيثمي) ضد فريق (چيكا)»

انتفض جسد (چيكا)، شاعرًا بدفقة غير معتادة من الأدرينالين في جسده. تحرك وخلفه فريقه المكون من ثلاثة أفراد آخرين عابرين حاجز الخيمة. بدت الأجواء بالخارج حماسية على غير العادة مع علو عارم في الصوت

بشكل منقطع النظير. تلفت (چيكا) حوله وشعر برعشة خفيفة في قدميه أثناء سيره خلف أحد أفراد التاسوع الذين تولوا توجيهه هو وفريقه ومنافسيه نحو حلبتهم الخاصة. كانت الحلبات السبع مُشكّلة على هيئة دائرة عملاقة تتوسطها حلبة كانت هي مقصدهم. كانت الحلبات عالية قليلًا عن أرضية المكان الرطبة. اختلس (چيكا) النظر حوله ليجد مئات الوجوه المحدقة نحوه دون توقف عن التشجيع والصراخ بكلمات لم يقدر على سماعها. نظر تجاه فريقه المنافس ليجدهم في حالة ليست أفضل منه. لأول مرة منذ تحركه من ردهة الموائد باتجاه هذه الساحة تظهر ابتسامة خفيفة على وجهه. بدا مفعول هذه الابتسامة أقوى من أقوى التعاويذ على الإطلاق، حيث اندفعت دفقات متتالية من الراحة والثقة والطمأنينة بغتة من وجهه لتغمر كامل جسده. كان عقله آخر من وصله تأثير تلك التعويذة لينهض من سباته بغتة كتنين عملاق وبدأ في العمل سريعًا. استعاد عقله كافة المعلومات المتعلقة بهذا الفريق؛ فقد حفظ (چيكا) كافة التفاصيل المختلفة عن كل الفرق من قبل. ساعدته ذاكرته المتعافية من تأثير التوتر والقلق في زيادة ثقته أكثر وأكثر. كان الفريق من ضمن الفرق الخاصة بالسنوات الأقل من الصف السابع. مؤكدٌ أن ذلك تم بفعل المدير فهو لا يرغب في جعله يواجه فريقًا قويًا في البداية. اتسعت ابتسامته أكثر وهو يصعد الدرجات الحديدية الرمادية التي أوصلته وفريقه إلى الحلبة بالأعلى. كانت حلبة دائرية ضخمة يقف على حوافها ثلاث معلمين من التاسوع بدوا كتماثيل أقرب ما تكون لتماثيل بيته. ما إن وقف كامل فريقه وفريق (هيثمي) المكون من سبعة أشخاص أمامه حتى جاء صوت أحد التاسوع قائلًا بدهشة:

ـ «إنهم فقط أربعة، هل هذا مسموح؟»

أجابه الشخص الذي كان يقود مسيرتهم قائلًا:

- «لقد نالوا موافقة المدير على ذلك»

- «إذن سنبدأ»

تحرك التاسوع الذي قادهم للمكان مغادرًا الحلبة. ساد صمت قصير قطعه أوامر أحد الثلاثة الرابضين كأسود قوية في الجوار قائلًا:

- «لتبدأ المنافسة!»

بدا أن فريق هيثمي كان واثقًا تمامًا من الفوز حالما شاهد عدد فريق (چيكا) القليل. بدت حركاتهم مترهلة وبطيئة في عيني (چيكا) الذي تمتم بخفوت لمن خلفه:

- «سأذهب بمفردي لقتالهم، لا تتدخلوا»

لم ينتظر ردًا منهم حيث تحرك بمفرده للأمام. لم يستطع أن يشاهد (چيكا) نظرات السخرية في الجمهور حوله أو في أفراد التاسوع الثلاثة المراقبين له، لكنه شاهدها في أعين (هيثمي) ورفاقه. اتسعت ابتسامة (چيكا) أكثر حينما شعر بمدى قوة أكثر الأسلحة فتكًا على مدار التاريخ.. الخديعة.

ما إن تحرك خطوات قليلة أمامه حتى أظهر السبعة صولجاناتهم وهمهموا ببعض من الكلمات قبل أن يلقوا بأوراق صغيرة تجاهه. بغتة تحول كل شيء حوله للون الأحمر القاني، مصحوبًا بحرارة غير مسبوقة. لم يرتجف (چيكا) قط أو يشعر حتى بقليل من الخوف؛ ففي داخله تذكر كلمات التماثيل التي يحفظها عن ظهر قلب:

«تذكر أن سلاحك خاص بالدفاع، فهو يحميك من أي هجوم طالما كانت نفسك الداخلية مطمئنة وهادئة. لا يمكن لأي إعصار مهما بلغت قوته تدمير قوة الجبل الثابتة الهادئة. كن جبلًا تكن سدًا ضد أعدائك. وتذكر، الصخرة دومًا ما تصبح سلاحًا فتاكًا إن استخدمت بشكل جيد»

أمام ألفين وأكثر من الحضور شاهدوا جسد (چيكا) يُحاط تمامًا بعاصفة عملاقة من النار القرمزية الفتاكة. استمرت النيران في الاشتعال لقرابة خمس دقائق شعر خلالها المراقبون بالقلق على (چيكا) وفكروا لوهلة في الدخول وإيقاف المباراة. لكن (چيكا) لم يمنحهم الوقت للتدخل. فتلك العاصفة الهائلة سرعان ما بدأت تتحرك بشكل غريب على هيئة دوامة عملاقة. بدأت سرعتها تتزايد رويدًا رويدًا، ليبدأ منتصفها في الظهور جليًا أمام الجميع. كان (چيكا) هناك واقفًا في مكانه دون حراك، وحوله ذاك اللون الفضي البراق المميز الذي بدا كدرع خفي يحمي (چيكا) من النيران. لم يشاهد الجمهور ما يشاهده المراقبون حوله، حيث هذا الدرع القوي لم يكن ساكنًا كما رآه الجميع، بل كان يدور في عنفوان عظيم، مسببًا الحركة الدوامية للنيران حوله. حينما امتلكت النيران سرعة كافية في وجهة نظر (چيكا) ركز عقله وتفكيره على تحريكها صوب الأمام، مقسمًا إياها إلى دوامات سبع عملاقة. حدث كل شيء بغتة، حيث اندفعت النيران إلى الأمام بشكل أفقي مغاير لطبيعتها مصحوبة بانقسام عملاق إلى سبع دوامات ضخمة بدت كرماح عملاقة موجهة بتوجيه بالغ الدقة نحو أجساد السبعة الذين لم يمنحهم شعور السخرية والتساهل آنفًا من رد فعل يتناسب مع الخطر الموجه نحوهم. لم يجد المراقبون بُدًا من التدخل ليتصدوا بفاعلية لضربة (چيكا) القاصمة. لقد حُسم الأمر؛ فكما يتذكر (چيكا) التعليمات يتذكرها الجميع حوله، لذا لم ينتظر إعلان المراقبين لانتصاره، حيث تحرك مغادرًا الساحة وخلفه الأخوان و(أوتارا) التي قالت بنبرة ضيق واضحة:

ـ «لا تعجبني هذه الأنانية في القتال من قِبلك يا (چيكا)»

ـ «لا تقلقي، (أوتارا). فعلت ذلك كي أخفي قدراتكم جميعًا، هذا خلاف أنهم كانوا ضعفاء حقًا»

ـ «لكن يجب أن نقاتل نحن أيضًا إلى جوارك»

ـ «ستفعلون يا (باقر)، لكن يجب أن ندخر قوتكم وأسرار قدراتنا إلى الوقت الأنسب»

ـ «ومتى هذا الوقت إذن؟»

ـ «إنه في المباراة النهائية يا (كريستي)»

قادهم فرد آخر من التاسوع تجاه خيمة مختلفة عن التي كانوا فيها بدت أنها خاصة للمتأهلين للمرحلة التالية. كما الوضع في الخيمة السابقة كان الوضع هناك؛ فما إن عبروها حتى اختفت الأصوات تمامًا. بالخارج كان ما فعله (چيكا) بمثابة قنبلة انفجرت في الحشود لتتعالى الأصوات متناقشة بحماس بالغ فيما فعله الطالب الملعون، حيث بدت قوته لا يمكن الاستهانة بها. لم يدرك أحد السر وراء ما فعله (چيكا) بالحلبة، حيث استغل (چيكا) انشغال الجميع بتدخل التاسوع وأخفى درعه فورًا كي لا يدع أحدًا يعرف كيف يُقاتل وما هي مقدار قوته. وحتى إن اكتشف أحدهم سره فمازال يمتلك بجعبته العديد من الأسرار. وقف إلى جوار فريقه مجددًا وإلى جوارهم كانت كافة الفرق تنتمي للصف العاشر بلا استثناء. بدت أن المرحلة القادمة ستكون ساخنة لا ريب.

⟦ الفصل الثامن عشر ⟧

لم يمر وقت طويل حتى انتهت المرحلة الأولى للمنافسة؛ فأمام (چيكا) وقف ثمان وعشرين فريق من ضمنهم فريقه الذي كان الممثل الوحيد خارج إطار الصف العاشر. كان الجميع حولهم يحدجهم بنظرات دهشة وتعجب، فمن بين كافة الفرق التي كانت مؤهلة للوصول للمرحلة الثانية لم يكن فريق من الصف الأول ضمنها. لم يعر أي فريق أي اهتمام لفريق (چيكا) بخصوص فرصهم للتأهل للمرحلة النهائية؛ فكافة الفرق كانت واثقة تمام الثقة في قدرتها على التغلب على فريق (چيكا)، بل وصل الأمر إلى حد اعتبار الفريق الذي سيواجه (چيكا) ورفاقه فريقًا محظوظًا؛ فهو يضمن لا ريب فرصته للتأهل للمرحلة التالية. لم يأخذ الأمر وقتًا حتى ظهرت مجموعة جديدة من التاسوع بدوا أنهم مسؤولون عن تنظيم المرحلة الثانية. وقف خمسة من التاسوع في مقدمة الخيمة في حين تقدمهم من بالمنتصف ممسكًا ورقة بردي وقال:

ـ «الآن سأنادي على أسماء الفرق التي ستواجه بعضها في المرحلة الثانية للمسابقة. لا داعي لكي أعيد على مسامعكم قوانين المسابقة فكما المرحلة الأولى هي المرحلة الثانية. الآن ليتجه كل من يسمع اسمه للخارج لبدء المنافسات»

ثم شرع في سرد أسماء الفرق الأربعة عشر الأولى للمواجهات المنتظرة، لم يكن (چيكا) ورفاقه من ضمنهم لذا ظلوا في مكانهم ينتظرون وقتهم للخروج إلى هناك. مر وقت أطول مقارنة بالوقت الذي كان تحتاجه المواجهات في المرحلة الأولى كي تنتهي، لكن بعد برهة من الوقت عاد الرجل المسؤول عن الأسماء مجددًا وقال:

ـ «فريق (چيكا) وفريق (محمدي)»

تحرك (چيكا) نحو الخارج عابرًا مقدمة الخيمة ومجددًا لطمته الضجة المرتفعة للغاية في المكان بالخارج. سار (چيكا) بخطوات هادئة حتى لحق به رفاقه، ثم قال بصوت خفيض:

ـ «هذه الجولة صعبة، ففريق (محمدي) يشتمل على عدد قوي من السحرة المهرة. سأحتاج لقوتكم جميعًا ولأقوى ما نملك حتى نتجاوز هذه المرحلة»

ـ «ظننت أننا سنتدخل في المرحلة النهائية يا (چيكا)»

ـ «لم أتوقع يا (باقر) أن يصبح كل منافسينا من الصف العاشر؛ فهذا جعل الأمر أكثر صعوبة»

ـ «لا تقلق يا (چيكا) سنقدر على تجاوزهم من أجل (أسمايا)»

ساروا جنبًا إلى جنب نحو ساحة قتالهم التي كانت على حافة الدائرة الضخمة. صعدوا الدرج الصغير، ثم وقفوا أمام الفريق المستعد بشكل قوي لهم. لم يستطع (چيكا) رؤية الاستخفاف الذي رآه في الفريق السابق بين رفاق فريق (محمدي)؛ فعلى ما يبدو أن الخبرات المكتسبة لهم كانت تلعب دورًا هامًا في عدم التقليل من شأن أي شخص، خاصة حينما يكونون طلبة من الصف الأول وقاموا بالوصول لهذه المرحلة. بدا من تشكيلهم التنظيم الخططي الذي كان ينقص أي فريق قد جمعت العين المعلومات عنه، ففريق (محمدي) كان أقوى فريق في المنافسة. جز (چيكا) على أسنانه فمواجهة فريق في ذلك المستوى يضعهم تحت ضغط شديد، لكنه كان يثق في قوته وقوة رفاقه. كانت هناك عدة خطط خاصة في عقله جميعها كانت دون مستوى المواجهة. لم يكن هناك سوى خطة واحدة لكن إن استخدمها فسيجعل فردًا من رفاقه يُصاب بالأذى، ولن يكون قادرًا على الاستمرار

معهم في المرحلة المقبلة. تردد لوهلة قبل أن يأخذ قراره فتحرك في بطء صوب الأمام متخذًا نفس الوضعية السابقة.

- «هل ستقوم بمواجهتهم بنفسك هذه المرة أيضًا؟»

- «سأمتص هجومهم قدر المستطاع، وأنتم ستهاجمونهم حينما يكونون مشغولين بقتالي»

أجابوه في نفس واحد:

- «حسنًا.. سنفعل»

لم يستطع أي فرد من فريق (محمدي)، مثله مثل أي فريق آخر، رؤية طريقة قتال (چيكا) في المرحلة الأولى، لكن بتحركه نحوهم لم يتوانوا عن بدء القتال بتكثيف الهجوم عليه. مجددًا وجد (چيكا) نفسه وسط دوامة ضخمة من النار، لكنها كانت مختلفة تمامًا عن سابقتها، فقوة النار هذه المرة كانت في مستوى مرتفع تمامًا عن مثيلتها. لكن درعه استطاع أن يصمد تحت وطأة الضغط الهائل المفروض عليه من قبل هذا الهجوم الضاري. استمرت التعاويذ النارية في الهجوم بضراوة على جسده الذي يحميه مقدار إنش واحد فقط من الدرع الخفي الذي يستخدمه بكافة تركيزه. لم يكن قادرًا على فعل نفس الشيء الذي فعله من قبل، لكنه كان يدرك أنه لو لم يأخذ المخاطرة لفشل كل شيء. بدأ درعه في الدوران بسرعة تتزايد تدريجيًا رويدًا رويدًا، ومعها تدور النيران بشكل جنوني حوله. كان محقًا في تخمينه فلم يستطع درعه أن يحميه من هذه النار بشكل كامل، فبدأت أجزاء شتى من جسده تتعرض لسخونة النار الحارة، متسببة في ألم صارخ كان كفيلًا بجعله ينهار تمامًا، لكن كان هدفه أكبر بكثير من مجرد هذه المواجهة وتلك الآلام التي بدت بسيطة مقارنة بما يرغب فيه. استمر في التحمل فوق طاقة أي إنسان لتستمر النيران في التشكل على هيئة إعصار ناري ضخم. كان حجم

النار عظيمًا، ليغطي كامل الساحة القتالية بالكامل. لم يدع أي من رفاقه تلك الفرصة والتضحية تذهب هباء، فانتهزوا الفرصة، ووسط هذا الارتباك الواضح اندفع عدد من التعاويذ والوصفات ليقضوا تمامًا على خمسة من أفراد فريق (محمدي) في وقت بسيط. اختفت النيران حول (چيكا) بغتة كما ظهرت، ليقف وحيدًا أمام (محمدي) ونائبه بالفريق وملابسه ممزقة بشكل شبه كامل وجسده يعاني كثيراً من تلك الإصابات البالغة التي تلقاها من هذا الهجوم. بدا أن منافسيه سيلجؤون لاستخدام سلاحهم المتوقع، فاختفى الدرع ليظهر مكانه ذاك السيف العملاق. حدث الأمر بسرعة فحالما ظهر السيف اندفعت تعاويذ السحر الأسود من صولجاني الساحرين صوب (چيكا) يستهدفون جسده ومناطقه العارية والمجروحة أمامهما. لم يحتج (چيكا) سوى أن يحرك سيفه الضخم ليحطم تلك التعاويذ إلى أشلاء. لم يتوقع أي من الساحرين أمامه تلك القوة التي يمتلكها (چيكا) والقادرة على ردع كل ما ألقوه من تعاويذ وهو يتحرك بخطوات بطيئة تجاههم. انتهى الأمر إلى وقوفه على مسافة متر واحد منهما وسيل منهمر لتعاويذ متتابعة من السحر الأسود تندفع تجاهه بدون توقف وهو يحرك سيفه بسرعته القصوى ليدمرها جميعًا بنجاح. صرخ (محمدي) بصوت عالٍ:

ـ «هل تظن أنك قادر على التغلب علينا بسيفك!؟ اقترب أكثر لو تقدر»

ابتسم (چيكا)، فما كان يفعله لم يكن محاولة منه للتخلص منهما، بل كانت محاولة ناجحة لجذب أنظارهم تجاهه. ما إن انتهى (محمدي) من كلماته حتى تفاجأ بتلك التعاويذ والوصفات التي أُلقيت نحوهما من خلف (چيكا). لم يكن هو ولا زميله قادرين على إبداء ردة الفعل السريعة في الوقت المناسب، لذا انتهى كل شيء في لمح البصر، ليسقطا جنبًا إلى جنب إلى جوار زملائهما. ابتسم (چيكا) والحكم يعلن عن هوية الفريق الفائز، ثم قال بصوت هادئ:

- «لم أظن أنني بمفردي قادر على التغلب على فريقك، (محمدي). لكن لتعلم أن فريقي هو الذي تغلب على فريقك، ولم أفعل شيئًا سوى أن أشغلكم عنهم حتى يتغلبوا عليكم»

تحرك (چيكا) بخطوات بطيئة نحو رفاقه الثلاثة الذين بدت ملامحهم حاملة للرعب أكثر منه الفرح. لم يدرك ما الذي يخافون منه لهذه الدرجة؛ فقد فازوا بالفعل. لم يستطع عقله التفكير أكثر من ذلك، ليسقط (چيكا) فوق ساحة المنافسة فاقدًا للوعي، متأثرًا بجراحه الغائرة.

⟦ الفصل التاسع عشر ⟧

كان الجميع بانتظار إشارة البدء من قِبَل (كريم) الذي قبع بعيدًا عن موقع الأهرامات في أحد الفنادق التي تطل مباشرة على سفحها. كان قد درس الموقع بعناية وانتقاه نظرًا لامتلائه بالسائحين من مختلف الجنسيات، لذا فتواجد هذا العدد الذي يقارب الثلاثين شخصًا بجنسيات مختلفة في مكان واحد كان طبيعيًا. رغم أن منظرهم كان يلفت الأنظار لما تمتع به أغلبهم ببنية جسدية مميزة وعضلات بارزة ونظرات حادة، إلا أن ذاك قد دفع عنهم فضول العاملين بالفندق خوفًا منهم. جلس (كريم) وإلى جواره (أوكايو) الذي لم تتغير نظرة السخرية على وجهه وخلفهما يجلس الثلاثون شخصًا على مختلف الموائد المنتشرة في المكان. كان التوتر يبلغ أقصاه لديه لذا لم يكترث بنظرات الجميع المتعجبة من منظرهم، حيث ثبت بصره صوب الأهرامات ويده تقبض على الصولجان الخاص به في إحكام. مرت عقارب الساعة سريعًا ليقتربوا من الظهيرة. كان (كريم) الوحيد منهم الذي يدرك أن الوقت في عالم المدرسة مغاير للوقت هنا، لذا فقد خمن أن إشارته للإنطلاق والتي ينتظرها من شريكه الذي بالداخل على وشك أن تصله. لم ينتظر كثيراً حيث ارتعش الصولجان الذي يمسكه بيده دلالة على وصول الإشارة له. رفع الصولجان للأعلى محدقًا فيه بثبات وذلك الضوء الأحمر الذي يظهر ويختفي جذب انتباه جميع من حوله. لقد وصلت إشارة بدء الهجوم على المدرسة. نظر لرجل خلفه نظرة ذات مغزى، فقام من مكانه ورفع عصا صغيرة كان يخفيها داخل ملابسه وبدا كما لو كان يتحدث لشخص ما عبرها. كان يتواصل مع قائد المجموعة التي وصلت إلى سفح الأهرامات في نفس توقيت وصولهم للفندق. بعد ثوان عاد الرجل ومال على (كريم) وهمس له بكلمات بسيطة، ثم عاد ليجلس في مكانه صامتًا كما لو لم يفعل شيئًا. كان

(أوكايو) ينظر له نظرات متسائلة، فلم يكن مستمعًا طيلة الوقت لنقاشاتهم عن الخطة وتكتيك التحرك، وإلا لفهم أن الهجوم قد بدأ. تحدث (كريم) بملل قائلًا:

ـ «لقد أعطيت إشارة الهجوم لفريق (كورالوف) للتو»

ـ «هل كانت تلك هي إشارة جاسوسك بالداخل؟»

كان يُلَمِّح إلى وميض الصولجان باللون الأحمر، والذي توقف بعد فترة بسيطة، فاكتفى (كريم) بإيماءة بسيطة من رأسه الذي كان مزدحمًا بأمور شتى لا تسع نقاشًا مع هذا الكريه. لم يمتلك المقدرة على متابعة ما يحدث هناك، لكنه كان منشغلًا بما هو أهم من ذلك؛ فعلى (أسمايا) أن تقوم بدورها الأخير في هذه الخطة. لو فشلت فستفشل خطته بشكل مروع، وهو ما كان يخشاه في هذه اللحظة بالذات. تردد ولاء (أسمايا) في عقله بين كفة الولاء وكفة الخيانة ليصبح غير قادر على التمييز بينهما. سيحدد ما تقوم به موقفها له والذي كان يراه ولاء حتى هطول تلك اللحظات العصيبة. لم يغض الطرف عنها لحظة بعد لقائه الأخير معها، حيث طلب تقريرًا يوميًا من رجاله في المجلس. لم تحمل التقارير أي شيء يجعله يشك فيها، وإن كان وجود هذا التدخل في التجسس عليها يمثل له صداعًا مستمرًا. حقيقة أنها لا تقدر على التحكم في هذا التدخل جعله يأمن جانبها ولكن شعور القلق داخله كان أكبر من ثقته فيها. مهما كانت أفكاره ومهما بلغ مقدار إيمانه بها فما ستفعله تاليًا يمثل لغزًا لا يعرف إجابته. أما مصيرها، فقد قرره منذ ليالٍ عدة حين توصل إلى ضرورة التخلص منها خاصة أنها قد أربكت حساباته كثيرًا، وبرحيلها سيضطر إلى البحث عن شخص غيرها يقوم بدورها. لم يرغب في تكرار التجربة المريرة التي مازالت تلقي بظلالها على مهمته الحالية بوجود هذا الحاقد الكاره له إلى جواره.

أما بعيدًا عنه، فقد تحرك (كورالوف) وإلى جواره (أنطوان) وخلفهما ثمانون ساحرًا يعرفان أنهما يقودانهم إلى معركة سيفقدون فيها الكثير منهم. لاحظ المراقبون على مدخل المدرسة توافد هذا العدد الكبير دفعة واحدة نحو منطقة العبور لها، فقام أكبرهم بإبلاغ (أماليا) في لحظات ببدء تحركهم نحو الداخل. لم يستطع تبيان وجود (كريم) من عدمه نظرًا لضخامة العدد الذي ظهر في المكان دفعة واحدة. كانت (أماليا) تجلس إلى جوار (توت) و(دريقا) متخذين الأشجار العالية ستارًا لهم تخفيهم عن أعين الخونة. لم تمر دقيقة على إبلاغها لـ(توت) بتلك المعلومة حتى بدأ السحرة يظهرون أمامهم متدفقين في جماعات. استقر خلف (توت) و(آماليا) و(دريقا) ثلاثين ساحرًا من التاسوع، وبعض من السحرة من خارج المدرسة، والذين أحضرهم (توت) إلى هنا للاستعانة بخدماتهم في هذه المعركة الحامية. كذلك قد وضع بعض من السحرة في أماكن شتى حول هذه المنطقة حتى يطوقوا المعتدين ولا يسمحوا لأحد منهم بالفرار. كي يقدر (توت) على تنفيذ مهمته بالشكل الأمثل كان عليه أن يحافظ على خطته سرية إلى أبعد مدى، فلم يعرف بها سوى من أخبره عنها. لقلة عدد من يثق فيهم ثقة مطلقة احتاج (توت) للاستعانة بمن يثق فيهم من خارج المدرسة والذين رحبوا كثيرا بالفكرة وقَدِموا في الصباح لتقديم العون والمساعدة. لم يتحرك (توت) ومن معه حال رؤيتهم للدخلاء الذين تحركوا في المدرسة أمامهم كما لو كانوا يعرفونها من قبل. انتظر (توت) ريثما بدأ دخولهم إلى مقر السرداب القديم والذي أفرغ محتوياته قبلًا ونقلها إلى مكان جديد لا يعلمه سوى حفنة من رجاله المختارين. نظرًا لما يمتاز به من شعور عالٍ بالشك والريبة فقد وضع بعضًا من رجاله على مقربة من المكان الجديد للكنوز لحمايتها من خطر سرقتها لأي سبب كان مهما بدا غير منطقي له؛ فكما اعتاد، دومًا تأتي المصائب مما لا يمكن توقعه، وتفشل المخططات بسبب الأمور غير المنطقية التي يتجاهلها واضعوها. كانت الخطة التي عرفها من (چيكا) والذي عرفها بدوره من

(أسمايا) تتلخص في دخول المعتدين إلى السرداب وسرقة محتوياته. كان قد خمن دورًا آخر سيقومون به من تدمير وخراب للمباني حول السرداب، لكنه لم يعرف هل سينتظرون حتى ينتهوا من سرقتهم أم سيباشرون فورًا في اعتداءاتهم. كان هذا السؤال محوريًا ويحدد نمط تحركاتهم وظهورهم أمام المتعدين؛ فحالما يبدؤون في تدمير المدرسة سيتحرك (توت) ورجاله لردعهم والتخلص منهم. فكر مليًا في هذه الفرضية ليجد أكثرها قبولًا لنفسه هي انتظارهم ريثما ينتهوا من سرقتهم حتى لا يجذبوا أنظار من بالمدرسة إليهم، لكن لابد أن يفترض قصر نظرهم وشدة حقدهم التي قد تدفعهم إلى بدء التدمير فور دخولهم للمكان. لم يحتج سوى للحظات لمعرفة أي المصيرين سيلقى، حيث لم يدخل إلى السرداب سوى مجموعة من خمسين ساحرًا ليواصل الثلاثون الآخرون تحركهم بعيدًا عن السرداب صوب مجمع مباني خاص بالدراسة يقع على بعد مئة متر منه. لقد اختاروا بدء القتال مبكرًا إذن. تحرك (كورالوف) متقدمًا مجموعته الصغيرة صوب مجمع المباني وهو يدرك أن القتال سينشب بينهم وبين رجال (توت) في أي لحظة. تحرك (توت) وخلفه مجموعته مختبئين خلف الأشجار التي بدأت تصغر حجمًا كلما تقدموا خلفهم. خلف تلك المجموعة كانت (أسمايا) تتحرك بخطوات بطيئة متبعة تحركات مجموعة (توت) دون أن يصدر منهم جميعًا أدنى صوت. إلى جوارها كانت (مهالينا) تتحرك بنفس الطريقة الحذرة مع (بهير) الذي كان التوتر قد بلغ مداه لديه. لم يعرف إن نشب قتال سيتحرك ليقاتل أم سيبقى مع (مهالينا) و(أسمايا)، فلم يخبرهم (توت) بدورهم الذي عليهم القيام به حين تبدأ المعركة. نظر للخلف حيث تخلف عشرة سحرة يعرف نصفهم ونصفهم الآخر غرباء تمامًا عليه. ترك (توت) مهمة مراقبة من بالداخل لهم مع ضرورة إخبارهم بأي تطورات قد تحدث. وسط هذا التشتت من جانبه بدأ يتأخر قليلًا عن (أسمايا) التي كانت تحاول اللحاق بـ(توت) وجماعته مراقبة المعتدين عن كثب. لم تمر دقيقة حتى أدرك

(كورالوف) أن الوقت قد حان لتحرك (كريم)، فرفع عصاه للأعلى مصحوبة بدفقة ضوء اندفعت للأعلى منفجرة على شكل توهجات حمراء لامعة. جذبت تلك التوهجات أنظار الجميع، ليتوقف (توت) عن تحركه وقد دب القلق بغتة داخله. فما الجدوى من تلك الدفقة إن لم تكن رسالة لمجموعة أخرى؟ كان هذا هو الاستنتاج الذي توصل إليه في ثوان، وعقله بدأ يفكر في احتمالات وجود مجموعة أخرى لم يلحظوها قبلًا ستأتي خلفهم. كانت هذه الفرضية مخيفة له، حيث أنه حينها سيصبح في موضع حرج للغاية مع فرقته، فسيتم محاصرتهم من جبهتين إن لم تكن ثلاث بخروج المجموعة التي في السرداب الآن. تردد في أخذ قراره وانشغل في التفكير في خططه في الوقت الذي ثبتت فيه (أسمايا) مثل غيرها عيناها عليه. لكنها خلافًا لهم جميعًا كانت تدرك فحوى تلك الإشارة؛ فهي الإشارة الخاصة لها كي تستعد لإحضار (كريم) إلى المدرسة كما أخبرها قبلًا. لكن ما لم تدركه إلا الآن أنه لم يخبرها متى ستتحرك بعد ظهور تلك الإشارة، فهل تقوم بالتعويذة الآن أم تنتظر قليلًا؟ ترددت وسرحت بأفكارها مشتتة إياها عن العالم المحيط بها، فلم تدرك كما لم يلحظ من حولها تحركات هذا الشخص مقتربًا منها. أمسك بمعصمها لترتجف متفاجئة من ظهوره وإمساكه بها. أمسك هذا الشخص بمعصمها في قوة وتحرك بعيدًا عن الجميع لتتبعه في صمت وعقلها لا يعرف ماذا يدور إلا تفسير واحد تمنت ألا يكون صحيحًا. ما إن تواريا خلف شجرة مورقة بكثافة لتخفيهما عن الأعين المثبتة فوق (توت)، حتى قالت بلهجة آمرة:

- «لتُحضري (كريم) الآن؛ فهو بانتظار تعويذتك»

- «(دريقا)! أنت!؟»

وقع قلبها أسفل قدميها؛ فكان هذا الشخص هو آخر من تمنت أن يكون الجاسوس الذي خمنت وجوده لدى فريق (توت). ابتلعت ريقها وعقلها يستعيد توازنه من جديد، لتكرر (دريقا) في صرامة:

ـ «لا وقت للتردد الآن؛ فإما أن تقومي بذلك وإلا قتلتكِ»

أيقنت أن نهايتها قد عادت للمربع صفر من جديد. رمشت عيناها في ذهول ولم تحتج للحديث معها أكثر. رفعت الصولجان الذي كانت تخفيه في ملابسها للأعلى وتمتمت:

ـ «(رومينارى)»

انطلقت دفقة من الضوء الأبيض لم يستطع من حولها الشعور بها قط. ظلت (دريقا) محدقة نحوها بنظرات فحواها أنها تراقبها عن كثب وتراقب تحركاتها بدقة. فإن قامت بأي حركة طائشة ستقتلها. ثم ابتعدت بهدوء عائدة أدراجها لتقف إلى جوار (توت) الذي لم يدرك اختفاءها قط. كان عقله قد توصل إلى استنتاج يرضيه؛ فلو كانت هناك مجموعة أخرى لا يعلمها، فسيخبره بوجودها من وضعهم لمراقبة مدخل المدرسة بسفح الأهرامات. عادت (أسمايا) لتقف إلى جوار (بهير) و(مهالينا) وقد شعرا بتغير ملحوظ فيها؛ فقد بدا لونها شاحبًا بدرجة تثير الريبة فيهما. كانت عيناها مثبتتان فوق هذا الخائن وعقلها لا يجد متسعًا من الوقت لتعديل ما انتوت القيام به. لو أرادت أن تتحرك فيجب عليها أن تفعل الآن وإلا فإن (كريم) سينقض على الطرف القصي للمدرسة ويهاجم من بها وينتصر عليهم ويحقق ما ابتغاه ويهرب بعدها بعيدًا عن قبضتها. كانت لتقبل بتلك النهاية لولا هذه الخيانة التي عقدت كل حساباتها. ترددها سيصل إلى (كريم) وسيأمر (دريقا) حتمًا بقتلها فور انتهائهم من المهمة إن لم تتولى هي نفسها هذه المبادرة لحماية سرها. بدا الموت مصيراً لا مناص لها منه. تساءل (بهير)

في قلق وقد اجتذبه هذا التغير الملحوظ فيها نحو جانب الشك والريبة نحوها قائلًا:

ـ «هل هناك خطب ما، (أسمايا)؟»

قبل أن تجيبه تحرك (توت) من جديد بخطوات هادئة ومعه تحرك الجميع تابعين له. تبادل (بهير) و(مهالينا) النظرات القلقة، و(أسمايا) تبدو كما لو عادت من عالم الأموات لتوها. كل خطوة تخطوها الآن تصير أكثر قربًا من قبرها. أرعبها هذا التفكير وتملك الخوف العظيم منها لتنبعث رغبتها الغريزية الأقوى على الإطلاق حية من جديد، لتعيد الاتزان لعقلها وتمنحه دفعة جديدة من الرقي والتطور المؤقت. لم يستغرق عقلها المطور ثواني حتى استطاع بمعجزة تعديل خطته لتحدق (أسمايا) بنظرة حملت تحديًا غريبًا في عينيها، وهي تقول بصوت هامس:

ـ «هناك كارثة سنتعرض لها جميعًا إن لم نتصرف في سرعة»

قبل أن تسمح لأي منهما بالتعليق على ما قالته تابعت بنفس الهمس وعيناها مثبتتان فوق الخائن قائلة:

ـ «هناك خائن في صف (توت) قد أجبرني للتو على إطلاق تعويذة من صولجان (كريم)»

ـ «ماذا!!!؟»

تمتمت (مهالينا) بذهول تام وصوتها الخانق كان ملائمًا كي لا يجذب أنظار أي ممن حولهم. أما (بهير) فكان صدمته أقصاها حين سمع تلك الكلمات؛ فوجود خائن بين صفوف (توت) يعني أن كل ما خططوا له قد عرفه (كريم) وأتباعه. لم يعنِ هذا سوى أمر واحد؛ أنهم يسيرون داخل شباك خطتهم وليس العكس. ابتلع (بهير) ريقه بصعوبة وخوف عظيم بدأ يتملكه بشكل

لم يعهده قبلًا، حتى أن قدميه بدأتا بالارتعاش من فرط التوتر والانفعال. تابعت (أسمايا) وعيناها لا تتركان الخائن قط قائلة بصوتها الهامس:

ـ «لا ترفعوا صوتيكما فهو قريب منا. هذا الخائن مؤكد أنه أخبر (كريم) بكل خططنا. يجب أن ننبه (توت) قبل فوات الأوان»

نظرت (مهالينا) لـ(بهير)، ثم حدق الاثنان حولهما في شك وريبة. مَثَّل كل شخص حولهما نموذجًا للخائن، لذا شعرا بالوحدة بغتة مصحوبة بفقدان الثقة في الجميع، عدا شخص واحد ثبتا بصرهما عليه. تحدث (بهير) بهمس حاول أن يجعله خفيضًا لدرجة وجدت (مهالينا) و(أسمايا) صعوبة في سماع كلماته قائلًا:

ـ «من يكون هذا الخائن؟ وكيف سنخبر (توت) بأمره؟ وهل أخبركِ عن مخطط (كريم) الجديد؟»

ترددت إن كانت قادرة على إقناعهم بخيانة شخص مقرب مثل (دريقا). اندفع عقلها ليمدها بكل الإجابات اللازمة حيث رددت ما وصلها منه هامسة:

ـ «سأخبركما بهويته الآن، أما عن إخباركما لـ(توت) فدعا الأمر لي. سأجذب انتباه الجميع بغتة نحوي في حين تندفعان نحو (توت) وتخبرانه بكل شيء. أما المخطط فقد طلب مني أن أستحضر منطقة معينة في رأسي وأنا ألقي تلك التعويذة. لتخبرا (توت) بالمنطقة علها تكون ذات مغزى له»

تمنت أن تكون مخاطرتها وأخذها لزمام المبادرة كافيين لإقناعهما بهذه الحقيقة الخطيرة، والأهم أن يصدقهما (توت) كي يخلصها من (دريقا) و(كريم) بضربة واحدة.

ثم أخبرتهما باسم الخائنة والمكان الذي تعرف أن (كريم) قد صار فيه الآن. ما إن انتهت حتى استشعرت نظرات الرعب والذهول منهما. لقد صدمهما ما قالته كما صدمها معرفتها حين أخذها عنوة بعيدًا عنهم. أيقن (بهير) بمدى خطورة الموقف. لم تصدق (مهالينا) ما سمعته لكن نظرات (أسمايا) الحادة والذبول الذي سيطر عليها كان لا يحتمل الشك. إنها تقول الحقيقة رغم صعوبة تصديقها. مثّلت مهمة إخبار (توت) بما يجري خلف ظهره تحديًا بالغًا لثلاثتهم؛ فهوية هذا الخائن كانت حجر عثرة أمامهم بشكل واضح تمامًا. لكن عقل (أسمايا) قد اهتدى لخطة بسيطة خطرة ستجعل من مهمة إطلاعهم لـ(توت) أكثر سهولة بكثير.

⟦ الفصل العشرون ⟧

ارتفعت حدة التوتر لدى الثلاثة، (بهير) و(مهالينا) و(أسمايا)، بعد تلك التطورات شديدة الأهمية. كان الثلاثة يتحركون في حذر شديد و(أسمايا) تنتظر الإشارة التي سيرسلها عقلها لها كي تبدأ في خطتها الجديدة. ساروا خلف (توت) ومجموعته التي تراقب تحركات المجموعة التي يرأسها (كورالوف) و(أنطوان) عن كثب دون أن يفعلوا شيئًا يكشفون به عن مكانهم. رغم ذلك كان (كورالوف) و(أنطوان) عالمان بوجود من يراقبهما هما ومن معهما. مرت الدقائق التالية ببطء بالغ والجميع يتحرك وفق مخططاته الخاصة. بعد دقائق عشر استشعرت (أسمايا) وجود خطأ ما يحدث؛ فهؤلاء يتحركون في دوائر حول مكانهم دون أن يقتربوا من منطقة المباني بالدرجة التي تسمح للمدافعين عنها بالتصدي لهم. بدت لها تلك التحركات في غاية الريبة خاصة لو ربطتها بما نقلته (دريقا) لـ(كريم). لم يجد عقلها مشكلة في سبر أسرار تلك الخطة التي يلجؤون إليها. بدا له أن (توت) لم يفطن بعد لهذا التحرك المريب من جهتهم، لذا بدت خطته غير عملية نظرًا لأنهم ينتوون التحرك فور انتهاء مجموعة (كريم) من السطو على السرداب الحقيقي. بدأ يعيد حساباته واضعًا في اعتباره هذا المتغير الجديد، لذا توصلت إلى تعديل جذري ومعه إلى خطة جديدة. لم تكن بحاجة للانتظار لهجومهم على المباني حتى تقوم بتحركها، فهجومهم سيأتي في وقت متأخر للغاية لتدخلها في الصورة. لذا قررت المجازفة؛ فكانت تدرك أن قرار موتها قد تم اتخاذه. إما هي وإما هما، كانت تلك هي المعادلة أمام عقلها. لم يكن اتخاذه للقرار بتلك السرعة تهورًا، بل محاولة بائسة منه لإنقاذها. وسط تركيز الجميع الشديد نحو من يراقبونهم، نظرت (أسمايا) لرفيقها نظرة ذات مغزى. في ثوان تحركت بمفردها خارجة من منطقة الشجيرات

الصغيرة، لتظهر كدخيلة بغتة في المنطقة. جذب وجودها انتباه الحلفاء قبل الأعداء، فتمتم (توت) في دهشة:

ـ «ما الذي تفعلينه يا (أسمايا)!؟»

لم يحتج (توت) لمعرفة مصير ما تفعله. ما إن وقع بصرهم عليها حتى انهالوا عليها وعلى المنطقة حولهم بتعاويذهم بالغة الشدة. اندلع الاضطراب في المنطقة بأسرها لتندلع معركة مباغتة لم يخطط لها (توت) ورفاقه ليجدوا أنفسهم فجأة مدفوعين قسريًا في بؤرتها. لم تكن خطط (توت) تشتمل على هجومهم أولًا على الأعداء، لكن بردة فعلهم ضدها والتي طالت كل الشجيرات خلفها وما تخفيه من رجاله لم يجد أي منهم بُدًا من الظهور والهجوم على أعدائهم. وسط كل هذا الارتباك وقف (توت) يراقب الموقف بتوتر بالغ. لم يفهم سر تحرك (أسمايا) المريب بتلك الطريقة الخطيرة، لكن عيناه وقعتا عليها وهي تبدو بخير حال لولا تلك الإصابات البسيطة التي عانتها بعد أن اخترق هجومهم تعاويذها الدفاعية. كانت ضعيفة في التعاويذ لذا كان من الغباء أن تتحرك بتلك الطريقة المتهورة بلا داع. كان يعرف أن أصحاب القدرات الخاصة في الوصفات يقتصر دورهم عادةً على دعم أولئك المتميزين بالتعاويذ عبر القتال عن بعد باستخدام ما يفيدهم من الوصفات. تقدم أي ساحر متخصص في الوصفات في مقدمة الصفوف هكذا ليس بشيء جيد فقد يفقد حياته بكل سهولة. حظها أوقعها في يد زمرة من السحرة ضعاف القوى، لكن ما لم يدركه هو أنهم لم يقدروا على إصابتها إصابة بليغة بسبب معرفتهم المسبقة بوجود من يراقبهم ومن ثم ظنوا أنهم تحت هجوم واسع النطاق من عدد كبير من سحرة المدرسة لذا وزعوا تعاويذهم على منطقة كبيرة ولم يركزوها على (أسمايا) فحسب. كانت تلك هي الفرضية التي اعتمد عليها عقلها مجازفًا بكل شيء؛ فقد كانت فكرة واحدة فقط مسيطرة عليه وما زالت.. فإما هي وإما هو. كان الوضع حول

(توت) لا ينذر بخير، فقد نتج هذا التغير في الخطة إلى إرباك الجميع. بدا ذلك جليًا في وضعياتهم القتالية التي بدا تنظيمها في وقت قياسي مستحيلًا. قال (توت) آمرًا من خلفه دون أن يحرك عينيه بعيدًا عن ساحة المعركة:

ـ «لتذهبا يا (أماليا) و(دريقا) إلى الأمام. أريدكما أن تخترقا حشود المعتدين فورًا ولا تتوقفا حتى يلحق بكما البقية»

لم يجيباه سوى بحركتهما السريعة تجاه الأمام. تحرك خلفهما من كان يتبعهما من مقاتلين ليشنوا هجومًا ضاريًا على جنود (أنطوان) و(كورالوف). كان الاثنان أكثر من بالمكان ارتباكًا، فقد كان ما يدور حولهما من قتال شرس يتنافى مع الخطة التي وضعاها مع (كريم). توقيت القتال بدا مبكرًا عما خططا له، حيث أكد لهما (كريم) أن (توت) لن يتحرك تجاههم إلا حين يقتربون من مباني المدرسة. كانا متيقنين أنهما لم يقتربا كفاية لدفع (توت) للتحرك بتلك الطريقة. أنذرهما ذلك بالسوء، فلم يكن بمقدروهما الصمود أمام جحافل (توت) حتى تصل إليهما التعزيزات اللازمة للهرب. بدا لهما الوضع في غاية الصعوبة حين بدأت (أماليا) و(دريقا) هجومهما الضاري على قواتهما. لو كان لديهما أي أمل في النجاة لتمثل في إطالة فترة القتال قدر المستطاع مستغلين عدم تنظيم سحرة (توت) البادي بوضوح لهما. بدأا يفكران في الهرب بنفسيهما اتقاءً لشر النهاية التي تنتظرهما لا ريب. في خضم تلك المعركة حامية الوطيس وقف (توت) في مكانه لا يتحرك وعيناه تجوبان المكان بلا توقف. كان يُقيِّم أداء رجاله الشجعان ضد أعدائهم. بدأت الكفة تميل لصالحه فور أن تدخلت (أماليا) تعاونها (دريقا) وحولهما كبار رجال فرقته الخاصة.

ـ «هل لي بكلمة هامة معك، سيدي؟»

اضطرب لظهور (بهير) المباغت إلى جواره. ما أدهشه هو تلك الطريقة التي اقترب بها منه. كان (بهير) وخلفه (مهالينا) يقبعان على بطنيهما ما بدا له أنهما قد تحركا من مكانهما وسط انشغال الجميع بالقتال في هذه الوضعية حتى لا يراهما أحد. لم يكن اندهاشه بقدر شكه في الأمر الذي دفعهما لفعل ذلك، لكنه لم يجد سوى إجابة واحدة نطقها في سرعة ودون تصديق:

ـ «هل يوجد خائن بيننا؟»

ـ «للأسف نعم، سيدي. لقد قام الخائن بإجبار (أسمايا) بإطلاق تعويذة معينة تسمح لمجموعة آخرى يرأسها (كريم) للدخول إلى المدرسة»

ضيق (توت) من عينيه وعاد ليحدق نحو (أسمايا) التي كانت جالسة في مكانها دون حراك محاولةً تضميد جراحها. بدا له الأمر في غاية الريبة لكن حين أعاد النظر لما فعلته استنتج أنها ما أقدمت على هذه الخطوة المتهورة والتي كادت تفقدها حياتها إلا لخطورة الموقف وشدة تبعاته. سمع صوت انهيار ما بناه من خطط بشكل ارتج له جسده في عنف بالغ مشحون بعاصفة من الغضب. قال في نبرة هادئة تخفي خلفها الكثير من الغضب:

ـ «أخبرني بكل ما تعرفه يا (بهير)»

حالما انتهى (بهير) من شرحه حتى شعر هو و(مهالينا) باشتعال عينيه بنار زرقاء غريبة. لم يكد يصدق ما يسمعه لولا أن ما قاله (بهير) عن منطقة دخول (كريم) ومن معه يتماشى مع مكان السرداب الجديد. لم يخبر (چيكا) ومن معه قط بمكانه، أو حتى لمح لهم بفرضية نقله من مكانه، فكيف عرف (كريم) بتلك النقطة وبالتالي عرفتها (أسمايا) من الخائن؟ لم يكن بحاجة لمزيد من التفكير فقد اتضح له كل شيء. وسط هذه المعركة وتساقط الرجال والنساء في كلا الطرفين صرعى أو مصابين تحرك (توت) غير مكترث لما يدور حوله. أعماه الغضب ورغبته في الانتقام من تفحص المنطقة التي يسير فيها،

لكن كلما اصطدم بأحد من أولئك الضعفاء حتى اشتعل فورًا بنار زرقاء بدت قادمة من جسده بالكامل. لم يهمه أن يستنزف جسده وطاقته فقد أعمته رغبة الانتقام لتحوله إلى نار مهلكة. جاء ظهوره بتلك الصورة وتحركه المستمر دون توقف كمغناطيس جذب انتباه الكثيرين حوله من الأعداء والحلفاء، ليتوقفوا عن القتال كما لو أن الصورة قد جُمدت، والزمان قد توقف بسحره. بدأت الضوضاء الصاخبة في المعركة بالهدوء لتنتبه (أماليا) و(دريقا) ومن حولهما من حلفاء إلى ذلك التغير المريب في الأجواء. لم يتوقف من أمامهم قط عن القتال خاصة أنهم قد وصلوا إلى المكان الذي به (كورالوف) و(أنطوان). حين شاهدا اقتراب (توت) المتواصل منهما رأيا الموت رؤي العين أمامهم يبتسم فاغرًا فاهه ومستعدًا لالتهامها. لم يتوقفا عن القتال ولو للحظة فلم يتوقف من أمامهما عن التصدي لهجومهما والهجوم عليهما بسيل من التعاويذ والوصفات. سيطر الخوف عليهما سيطرة لا قِبَلَ لهما بها، فابتعدا عن توجيه ضرباتهما لمن أمامهما وسلطا كل قوتهما تجاه (توت) محاولين التخلص من مبعوث الموت الذي لا يوقفه أحد. جذب ذلك أنظار (أماليا) و(دريقا) ومن حولهما لتستديرا محدقين خلفهما بذهول تام وقد تحولت المعركة إلى سيل من الهجوم الضاري المتواصل على (توت) الذي اكتفى درعه بحمايته من أي هجوم عليه. اتسعت عينا (دريقا) رعبًا وقد أدركت ما حدث من وراء ظهرها. لم يكن هناك مجال للهرب من فكي (توت) خاصةً حين رأى ذلك الوميض بالغ الغضب في عينيه وهي لم تره قط في تلك الحالة إلا وقد صار عدوه في عداد الأموات. نظرت نحو (أسمايا) القابعة في مكانها وعلى وجهها ابتسامة عريضة. أدركت أنها قد أخبرته بطريقة ما بما حدث. إن كانت ستموت فلن تموت بمفردها، لذا وجهت صولجانها بسرعة وبصوت غاضب قادم من أعماق روحها:

ـ «لتتعذبي بنار الحجيم الحارقة أيتها الملعونة!»

قبل أن تتسنى لها أن تلقي بانتقامها وتأخذها معه إلى الحياة الأخرى تيبست كل عضلة في جسدها بفعل تأثير سحر (توت) الذي انتقل في لحظة ليكون على مسافة مترين منها. تحرك (توت) بخطوات واسعة تكاد تترك آثارًا على أرضية المكان من فرط غضبه وما إن وصل إليه حتى أمسك برقبتها ونظر في عينيها بكل غضب الدنيا، وقال بصوت جهوري أشعر الجميع من حلفاء وأعداء برجفة رعب بالغة القوة:

ـ «أحارب الدنيا كلها وتأتين أنتِ وتخونيني يا (دريقا)!!؟ تبًا لكِ يا خائنة الدم!»

اشتعل جسدها كفتيل مشبع حتى آخره بالبنزين، لتصدر صرخات ألم هادرة مرعبة والنار الزرقاء النابعة من سحر (توت) تلتهم كل ذرة في كيانها. وقفت (أماليا) ومن حولها مشدوهين مصدومين غير مصدقين ما يرونه يحدث أمامهم. لقد اتهم (توت) (دريقا) بالخيانة وحاولت قبلها قتل (أسمايا) قبل أن تفقد حياتها على يد (توت). كانت (أماليا) في صدمة هائلة لا تستوعب ما حدث غير قادرة على تصديق خيانة وموت صديقتها وأختها الصغرى. جال بعقلها ذكريات لا تعد ولا تحصى عما عاشته معها من مواقف سيئة قبل الجيدة. نظرت نحو (توت) بخواء مغاير لتلك النظرة المشبعة بغضب لا قبل لأحد به. لم يكن هناك وقت ليضيع على قتال هؤلاء الحشرات لذا قال بصوته المخيف:

ـ «إن لم تستلموا الآن، فستلقون نفس مصير هذه الخائنة»

نظر (كورالوف) إلى صديقه (أنطوان). لم يصدق أي منهما أنهما وجدا مخرجًا آمنًا من هذه الورطة. أسرعا بإلقاء عصويهما ليتبعهما رجالهما في سرعة، ثم هبطوا جميعًا إلى الأرض ليفترشوها كأسرى الحروب. كان الوقوع في الأسر

فرضية لم تأتِ على عقل أي منهم قط، لكنها كانت أخف وطأة من الموت. تلفت (توت) حوله، ثم قال بصوته الجهوري:

ـ «لتقتادوهم هم ومن بداخل السرداب إلى سجن المدرسة»

ثم نظر نحو (أسمايا) التي بدت أنها قادرة على التحرك رغم تلك الإصابات التي ألمت بها، ثم قال:

ـ «لتأتي معي، (أسمايا)»

لم تصدق (أسمايا) نفسها حين رأت نجاح خطتها الجنونية، والتي أعدها عقلها في تسرع واضح. لم يجد (بهير) بُدًا من مرافقته لـ(أسمايا)؛ فهما في نفس الفريق وإن كانت ستذهب لمعركة أخرى فعليه أن يكون إلى جوارها. لم يُكِنّ لها مشاعر الحب القديمة إنما مشاعر معقدة من الاحترام والحب الأخوي لرفيقته في الفريق. أثر فيه كثيراً موقفها الأخير، وما قامت به من تضحية كادت تودي بحياتها في سبيل إنقاذ المدرسة من الوقوع في فخ خديعة (كريم). حين وقف وتحرك صوب (توت) وصوبها لم تجد (مهالينا) أي اختيار أمامها سوى اتباعه؛ فلو تحرك نحو الجحيم ذاته ستذهب إليه معه طواعية. نظر (توت) لثلاثتهم دون أن يحدثهم بشيء فهم يدركون المغزى من ذلك. نظر نحو (أماليا) التي بدأت تستعيد سيطرتها على نفسها من جديد وقال:

ـ «هل تقدرين على القتال إلى جواري يا (أماليا)؟»

لم يكن بحاجة لسؤاله ذاك؛ فرغم ما زلزل كامل جسدها من خيانة صديقتها لأعز ما تملك فلم يكن ذاك كافيًا لجعلها تنسى مسؤوليتها تجاه المدرسة وتجاه (توت). لو كان هناك ذكريات عدة لها عن (دريقا) فما تملكه عن (توت) يفوقها مرات ومرات. استعادت رباط جأشها من جديد، وقالت بنبرة حملت حزنًا عميقًا:

ـ «أنا مستعدة طول الوقت لأي معركة في سبيل حماية المدرسة»

اكتفى (توت) بهز رأسه ونظر حوله نحو مجموعة صغيرة من رجاله الذين كانوا بصحبة (أماليا) و(دريقا). كانوا خيرة من يثق فيهم من سحرة ينتمون للمدرسة أو خارجها. لم يحتج لسؤالهم فقد تحركوا نحوه معلنين عن موقفهم بوضوح. ما إن وصلت (أسمايا) برفقة (بهير) و(مهالينا) إليه حتى مد لهم ذراعه. بدا أنه يرغب منهم أن يمسكوا به ففعلوا دون تردد. كانت مجموعاته القتالية في المنطقة والتي وضعها بنفسها قبلًا قد وصلت للمكان بعد أن تعالت أصوات المعركة. نقل رفاقهم تعليمات (توت) للجميع ليبدؤوا في محاصرة من تبقى من القوات المعتدية. شعر (توت) بالرضا إزاء الوضع في هذا المكان لذا ما إن لمس الجميع جزءًا من جسده حتى ألقى بتعويذة انتقال عظيمة لا يقدر على تأديتها إلا هو لينتقلوا جميعًا دفعة واحدة مصحوبين بصوت صاخب عنيف، ليجدوا أنفسهم أمام مبنى يقع في المنطقة البعيدة تمامًا عن مكان قتالهم السابق. لم يكونوا بحاجة لأي شرح فقد تراصت أجساد رفاقهم صرعى في كل مكان وآثار معركة حامية تملأ المكان حولهم. وجدوا أنفسهم محاطين بعدد كبير من الغرباء والذين أصابهم ظهورهم المباغت أمامهم بتلك الطريقة بالشلل التام. وقعت عينا (توت) على (كريم) الذي كان لا يصدق ما يراه. لم يكترث بظهور (توت) أمامه بل ثبت بصره فوق تلك الواقفة إلى جواره. تلك الخائنة التي لم تكتفِ بخيانته مرة بل خانته مرة ثانية. شعر بالغضب يستعر داخله وخلفه يجثو جسد (أوكايو) صريع قتال شرس اندلع بينه وبين (كريم) والفرقة التي معه. فقد خطط (كريم) مع زملائه المؤسسين خطة اغتيال (أوكايو)، ليرسلوا بتحذير بالغ الحدة تجاه بقية أعضاء مجموعة المجددين. لكن كما فقد المجددين فردًا هامًا سيفقد المؤسسون فردًا أكثر أهمية الآن بسبب خيانة تلك الفتاة الصغيرة. جز على أسنانه وقد بدأ الرجال من حوله في العودة إلى رشدهم،

لكن لم يمهلهم (توت) ومن معه أي فرصة لذلك، حيث انهالوا عليهم جميعًا يفترسونهم بلا رحمة، ليسقطوا جميعًا صرعى في غضون دقائق قليلة، وينتهي نضال (كريم) على يد (توت) الذي أقسم أن يقتله بنفسه حين يراه. انطلق بقية من معه ليقتلوا كل من يحيط بهم من الخونة ورفاقهم داخل السرداب الجديد واكتفى (توت) بالوقوف فوق جسد عدوه الذي كاد أن يتغلب عليه هذه المرة لولا ما قامت به (أسمايا) من مخاطرة كادت تودي بحياتها. شعر (توت) بالغيرة من (چيكا)؛ فقد حصل على شخص ذي ولاء منقطع النظير في حين حصل هو على شخص باع ولاءه بأبخس الأثمان. أما بعيدًا عنه، فقد وقفت (أسمايا) تنظر نحو جسد (كريم) فاقد الحياة والمحترق عن آخره بتلك النيران الزرقاء المدمرة، وداخلها انتشر شعور عارم بالراحة؛ فقد استطاعت أخيراً التخلص من خنجر طالما كان يؤرق مضجعها ويهدد حياتها. الآن تقدر على الحياة في أمان بمنأى عن أي تهديد قد يصيبها من المجلس. حين بدا لهم انتهاء كل شيء والسيطرة على الموقف اندلعت سلسلة من الانفجارات المدوية في منطقة المباني المتاخمة للمكان. تحرك (توت) ورجاله في سرعة وأصوات الانفجارات تتواصل في الاندلاع دون توقف. كان ذلك بفعل الفرقة التي انفصلت عن (كريم)، لتحاول إنقاذ مجموعة (كورالوف) و(أنطوان) كما كان المخطط. استطاع (توت) ومعه (أماليا) وبقية رجاله في إيقاف تدميرهم الذي حاق بعدد كبير من مباني المدرسة. رغم تفوقهم بسلاح المفاجأة لظهورهم بغتة أمام أولئك الغزاة إلا أن ذلك لم يكن كافيًا، حيث استطاعوا تدمير ما يزيد عن عشرين مبنى قبل أن يقدر جنود المدرسة بقيادة (توت) على قتلهم جميعًا. هدأت أصوات الانفجارات وعاد الهدوء ليخيم على أجواء المدرسة، لكن استمر الدخان الأسود في التصاعد من مناطق شتى تقع على مقربة من المكان الذي تقف فيه (أسمايا) إلى جوار (بهير) و(مهالينا). أيقنت (أسمايا) أن المعركة قد انتهت بانتصارهم ونجاتها، ليتعرض جسدها للآثار الجانبية مما مرت به في

الآونة السابقة. أعلن جسدها بعد انتهاء كل شيء عن عصيانه، لتسقط على الأرض مرتطمة في قوة فاقدة لوعيها الذي تعرض لضغوط كثيرة دفعته لأن يتجاوز قدراته أكثر من مرة ليتضامن مع ثورة جسدها ويختار الراحة مجبراً (أسمايا) عليها.

⟦ الفصل الحادي والعشرون ⟧

بدأ كل شيء يتداعى فجأة؛ فبعد شعور عارم بالغبطة إزاء ما حققوه حتى الآن من تقدم وانتقالهم للمرحلة الأخيرة، جاء نبأ إصابة (چيكا) بشكل بالغ ليغطي على شعورهم ذاك بآخر مناقض له تمامًا من القلق والضيق والحزن والغضب. كانوا على وشك أن يصلوا لما خططوا له لكن سرعان ما تبددت تلك الأحلام على صخرة الواقع القاسية. نُقل (چيكا) إلى خيمة خاصة للمصابين حيث أحاط به رفاقه واقفين بصمت ومشاعرهم يحاولون كتمها قدر المستطاع وعدد من الأطباء يعملون بكثافة حوله. مرت نصف ساعة كاملة قبل أن يفتح (چيكا) عينيه، ليجد نفسه مستلقيًا على أريكة مخصصة للعناية الطبية وروائح من أعشاب مختلفة تتخلخل أنفاسه بكثافة. لم يعرف ما الذي حدث لكن عقله كان يحاول استعادة عافيته سريعًا. استعاد كل الذكريات الأخيرة من قتاله ضد فريق (محمدي) وما تلا ذلك من إصابات قوية، ربما هي السبب في فقدانه للوعي. اقترب أحد الأطباء منه وعلى وجهه كمامة تخفي كافة معالمه وقال:

ـ «إصاباتك بليغة جدًا يا (چيكا)، عليك بعدم التحرك لمدة يومين»

ـ «لدي منافسة أخرى، بعدها سأستريح»

ـ «ربما لم أوضح ما قلته جيدًا، لكني سأقوله لك بكلمات مختلفة.. إن حاولت التحرك من هنا والذهاب إلى هناك فهناك احتمالية قوية أن تموت»

صمت (چيكا) وقد صدمته كلمات الطبيب، لكن حدسه كان له رأي آخر. لم يجبه (چيكا) بكلماته، لكنه انتقى أفعاله كي تعبر عن رأيه فيما سمعه للتو. فقام من مكانه واعتدل وحينها شعر ببعض من الدوار يصيبه. استطاعت

عيناه رؤية عدة خراطيم متصلة بذراعيه وتنتهي بعدد من القنينات الصغيرات المملوءات بسوائل مختلفة الألوان خمن أنها وصفات علاجية خاصة. لم يحتج لسماع مزيد من تذمر الطبيب من تصرفاته فقطع الأحبال من ذراعه وتحرك بخطى ثقيلة مغادرًا الخيمة لتعود الضجة الهائلة لتنعشه قليلًا. توقف ونظر حوله ليجد منافسات قوية محتدمة على حلبات ست على محيط الدائرة الضخمة لكن الحلبة التي في المنتصف مازالت فارغة. فطن إلى أنها من المفترض أن تحتضن منافسته المقبلة، فنظر لرفاقه وقال:

ـ «هل أجلوا المنافسة حتى أفيق؟»

ـ «لا، لقد منحونا نصف ساعة بعدها سيعلنون انسحابنا إن لم نصعد إلى هناك»

ـ «إذن لا وقت لتضييعه يا (أوتارا)»

ـ «انتظر، (چيكا). أنت في حال خطرة وإن حا...»

ـ «لا تقل هذا، (باقر)، فأنتم جميعًا تعرفون لماذا نحن هنا ولماذا نخوض كل هذه المعاناة. ربما تنسون أن هناك بعيدًا يقف بعض من رفاقنا يخاطرون بحياتهم أيضًا ضد خصم لا يرحم. لقد اخترنا هذا الطريق ونحن نعرف ما سنجابهه، فلماذا سنتوقف الآن؟»

كان محقًا في كلماته، لذا لم يعارضه أحد قط. تحرك (چيكا) متزعمًا الطريق صوب الحلبة وداخل نفوسهم شعور واحد، إنه بالفعل يستحق أن يكون قائدهم. لا توجد أهمية للقيادة بمقدار أهميتها في الأوقات الصعبة. وقد أثبت لهم جميعًا أنه يستحق عن جدارة هذا المنصب الصعب. في أثناء تحركهم صوب الحلبة تعالت أصوات بدت أشبه بانفجارات متتالية في مكان بعيد عنهم. ذكرهم ذلك بأن هناك رفاقًا لهم يخاطرون بحياتهم مثلهم تمامًا. لم يملك (چيكا) متسعًا من العقل ليفكر فيما تقوم به (أسمايا) الآن؛

فقد وثق فيها كي تقوم بدورها على أكمل وجه. كذلك وثقت فيه على أنه سيعود محملًا بالنصر لا ريب. كان (چيكا) واقفًا في نفس الموقف الصعب الذي وقفت فيه (أسمايا) ليختار معركته المصيرية دونًا عن الراحة. لم يكن بحاجة إلى قول المزيد لدفع فريقه نحو الحافة التي هم بالفعل فوقها. لم يعد هناك الكثير للمراهنة عليه؛ فإما الخسارة وخسارة كل شيء معها وإما الفوز ومعها يتحقق كل ما هدفوا له، آملين أن يحقق رفاقهم النصر كذلك. تحدث الثلاثة بما يجول في خاطرهم في دفقات متتابعة دون تنسيق مسبق منهم قائلين:

- «لن نسمح لك ببدء هذه المعركة بمفردك، (چيكا)»

- «كنت تتصدر المشهد حماية لنا في المرحلتين السابقتين»

- «والآن جاء دورنا للقتال»

ابتسم (چيكا) وتوقف في الخلف، مفسحًا المجال للثلاثة كي يعملوا سويًا. انتهت كل المنافسات في نفس الوقت الذي بدأت فيه منافستهم. كان الفريق الذي أمامهم من الصف العاشر يدرك جيدًا مدى قوة من يواجههم على البطاقة الأخيرة للمسابقة. فمن تغلب على فريق (محمدي) ليس بالفريق الهين على الإطلاق. بدأ الفريق في اتخاذ وضعية قتالية مميزة تُدعى السهم، حيث توزعوا على هيئة سهم كبير في مقدمته شخصان وهم على الأغلب أقوى من بالفريق. كانت تلك الطريقة هي الأنسب على الإطلاق في أي قتال يعتمد فيه الفريق على الطريقة الهجومية، لكن (چيكا) كان يدرك جيدًا أن مفتاح الفوز لن يكون بتلك الطريقة التي يتبعها هؤلاء. فحالما يصلون إلى نفس المنطقة التي يقف فيها فريقه على حافة هاوية الجحيم ويشاهدون أطنانًا من حمم اللافا الساخنة تنهال أسفل منهم ويكادون يشتمون رائحتها، حينها سيظهر معدن الفريق الحقيقي وقوته وهو يعرف

جيدًا أنه لا يوجد فريق في المدرسة قادر على منافسة معدن فريقه مهما بلغت قوته. اندفع من أمامه في الهجوم مستخدمين تعاويذ السحر الأسود كما خمن (چيكا)، لكن رفاقه كانوا مستعدين بأسلحتهم ليدمروا كثيراً من التعاويذ في سرعة. بدا التناغم واضحًا على أداء الفريق المنافس، لكن مع مرور الوقت لم يقدر أي منهم على إلحاق أي ضرر قوي بزملاء (چيكا). كان الوقت هو سلاحه الذي يعتمد عليه، فحين تشعر بنفاده يظهر معدنك على الفور. كان الوقت عاملًا حاسمًا في هذه المعركة، فما إن مرت ربع ساعة دون أن يحقق الفريق الآخر أي تقدم يُذكر حتى أقدموا على أكبر خطيئة في التاريخ، تغيير الخطة وفقًا للضغط النفسي والإحباط الناجم عن فشلهم في نجاح خطتهم الحالية. «لا تُقدم على تغيير خطتك ما لم تضع خطة بديلة من الأساس»، كانت تلك هي إحدى النصائح التي تعلمها من التماثيل بخصوص إستراتيجيات المعارك. ما إن تحرك ثلاثة من الطلبة أمامه محاولين تجاوز رفاقه للنيل منه حتى استخدم (چيكا) تلك القرارات الخاطئة لصالحه. بدا أن وقوفه ساكنًا وما علموه من إصاباته العنيفة وفقدانه للوعي جعلهم يظنون أنه غير قادر على القتال، لذا بدا من هجومهم عليه محاولة جيدة لتفتيت الدفاعات القوية التي تواجه هجومهم الشرس؛ فلكي تقدر على التغلب على عدوك عليك بضربه في الحلقة الأضعف لديه والتي تمثلت في (چيكا) من وجهة نظرهم، والتي تمثلت في استخفافهم به من وجهة نظر (چيكا). لم يبقَ (چيكا) صامتًا فوق ساحة القتال إلا رغبةً منه في خداع عدوه ودفعه للوقوع في فخه المحكم. فعّل تعويذة النسخ لتظهر نسختان إلى جواره أحدهما يحمل سيفه الضخم والآخر درعه الصلد. تحرك في سرعة مثالية ليستقر نصل سيفه الضخم في أجساد الثلاثة الذين خرجوا عن التشكيل. أما نسخته الأخرى فقامت بحماية الأولى من التدمير من قبل عدد لا متناه من التعاويذ التي انصبت عليه في رد فعل سريع للغاية. كانوا سريعين لكنه هو أسرع، فما إن جذب انتباههم مجددًا حتى تحرك فريقه

بغريزة دون أوامر منه ليهجموا على ما تبقى من الفريق في ضراوة. استطاعوا بغتة التخلص من ثلاثة آخرين ليجد الشخص الأخير في الفريق أنه مجبر على حماية نفسه ضد هذا السيل الضاري من التعاويذ ليتبدل الوضع بشكل ثوري تمامًا. لم تمر دقيقة حتى سقط صريعًا مصابًا بكم كبير من التعاويذ التي لم يقدر سوى على التصدي لعدد قليل منها بمفرده. وقف (چيكا) منتصرًا فوق ساحة المعركة. حاول أن ينهي المعركة بأقل مجهود يُذكر من قبله، لكنه لم يقدر على ترك رفاقه يقاتلون دون أن يتدخل. رغم تدخله الذي لم يستغرق الكثير وكان له تأثير مباشر في حصولهم على الانتصار، فقد أنهكه ما استخدمه من طاقة ليفشل في الحفاظ على وعيه ساقطًا للمرة الثانية خلال أقل من ساعة مغشيًا عليه، لكنه كان يشعر من داخله براحة بالغة؛ فلقد استطاع إنجاز ما كان يهدف إليه.

⟦ الفصل الثاني والعشرون ⟧

إن الأصعب من كسب معركة هو معالجة جراحها. لم تكن نهاية تلك الحرب على المدرسة انتصارًا كاملًا لجريومها وتاسوعها. سار (توت) وسط المباني المتشحة برماد أسود والتي تعرضت لدمار جعلها أشبه بخيالات أطلال هجرها أهلها منذ قرون. لم ينتظر انقشاع الدخان بعدما نجحت الفرقة التي تقودها (أماليا) في إطفاء النيران التي استمرت لعدة ساعات بعد تخلصهم من كل الغزاة، فتحرك بمفرده يجول في المنطقة التي كانت عامرة بالدراسة والبحث والمخصصة لأفراد التاسوع. لم يكن هناك شخص فيها حين تعرضها للهجوم، لذا فكان ممتنًا نوعًا ما إلى قلة قائمة من فقدهم في هذه المعركة. لكن لم يزح ذاك الشعور غضبه قيد أنملة. لقد تعرض لطعنة في ظهره من قبل أحد أكثر من يثق فيهم في حياته، ولولا تضحيات قام بها (أسمايا) و(بهير) و(مهالينا)، لما قُدر له أن يظل حيًا بعدها. استمر في رحلته داخل أطلال مبانيه قرابة ساعة حتى ظن أتباعه السوء وأوشكوا على الدخول وراءه. عاد لهم من داخل الدخان وعباءته ملوثة به. نظر لرجاله وفي مقدمتهم (أماليا)، ثم قال بصوت حزين لم يعهدوه منه قبلًا:

ـ «لقد خانتنا (دريقا)، وتسببت في كل هذا الخراب بالمدرسة»

ـ «مازلتُ غير مصدقة لخيانتها، هل تيقنت من ذلك بنفسك يا سيدي؟»

لم يكن بحاجة للإجابة عليها؛ فهي كانت إلى جواره طيلة الوقت. رأتها حين اقترب منها فتغيرت عيناها لتكتسي بسواد لم تره فيها من قبل. رأتها حين حاولت قتل تلك الطفلة لولا تدخل (توت) في الوقت المناسب. رأت كذلك كيف دخل (كريم) ورجاله إلى المدرسة في المنطقة التي احتوت على السرداب الجديد، وهو سر لم يعرفه أحد سوى فئة مختارة من رجال (توت)

و(دريقا) كانت منهم. اكتفى (توت) بالنظر عميقًا إليها لتصمت مدركة كل ذلك وفوقه أن جريومها لا يتهم أحدًا إلا بعد تيقنه التام من أدلة تورطه وإدانته. تدخل (يونس) في الحديث قائلًا:

ـ «وماذا عن خونة التاسوع؟»

ـ «إن كانت (دريقا) تعمل لصالح (كريم) فمؤكد أنها كانت على اتصال دائم بهم. لو كنتُ مكانها لحذرتهم من التحرك تاركين المسابقة حتى لا يقعوا تحت طائلة شكي. لذا فالطريقة القديمة لاصطيادهم لن تجدي نفعًا»

ـ «يجب أن نتخلص منهم الآن وإلا سيختفون فترة ويعودون من جديد لتدميرنا»

تفهم (توت) جيدًا سر حنق (يونس)، أحد من يثق فيهم من خارج المدرسة. هو نفسه يعرف أنه إن لم يحظَ بكل الخونة الآن، فلن يقدر على إيجادهم مرة أخرى. ربما سقوط (دريقا) كانت ضربة قاصمة لأعدائه، لكنه يرغب في تطهير البيت كله من كل المتطفلين.

ـ «إن كانت (دريقا) على اتصال بهم، فسيكون ذلك عبر صولجانها.. فلتحضروه لي وسأقوم بمعرفة كافة التعاويذ والوصفات التي استخدمتها من خلاله في الأسبوع الماضي»

أدركوا ما يخطط له، فتحرك بعضهم في سرعة ليعودوا بعد دقائق حاملين صولجانًا بدا منكمشًا وصغيرًا مقارنة بما يعهدونه عن صولجانها الطويل. أمسك (توت) بالصولجان في شك، لكن نظرات أتباعه أزاحت الشك عنه. لم يكن هناك وقت لأن يفكر في أمور أخرى، لذا رفع صولجانه ولمس بمقدمته طرف صولجان (دريقا). أغمض عينيه وتمتم بتعويذة عتيقة لا يعرفها اليوم أحد غيره. غاب عن المكان ليختفي داخل الصولجان ليراقب عن كثب تلك التعاويذ والوصفات التي أطلقها في الأيام الماضية. مر عليه وقت طويل

للغاية سابحًا داخل الصولجان، لكنه لم يستغرق سوى دقيقة أمام من حوله. فتح عينيه وقال لـ(آماليا):

ـ «أحضري لي ورقة بردي الآن؛ فالقائمة طويلة عما توقعناها»

لم تكن بحاجة للذهاب وإحضارها؛ فهي دومًا ما تحتفظ بمجموعة منها في مخزنها الصغير الذي تحمله دومًا معها. أخرجت له الورقة ومنحته إياها، فشرع يخط عليها مستخدمًا صولجانه ست وعشرين اسمًا من أفراد التاسوع. لم يكن بحاجة لقول أي شيء لرجاله حيث تحركوا في صمت كل يدرك ما عليه فعله. قد خمن أن الخونة ربما يكونون عشرة أشخاص لكنه الآن بعد نهاية اليوم يدرك أنه استخف كثيراً بالمجلس؛ لقد استطاع اختراقه بعمق لم يتخيله قط. صارت قائمة الخونة أمامه كاملة تحتوي على سبعة وعشرين اسمًا. لم يكن للخونة أي محاكمة؛ فكما كان جزاء (دريقا) كان جزاؤهم، فالجزاء من نفس العمل. رفع ذاك الصولجان المنكمش بشكل مريب ليحدق فيه مليًا قبل أن يخفيه داخل خزينته الخاصة، فسيأتي وقت يتفحصه ويحلله بشكل مفصل لمعرفة ما يخبئه من أسرار. لم يرتح له بال حتى عاد رجاله بخبر إنهائهم لمهمة تنظيف البيت كما أطلقوا عليها. كان عليه الآن الاجتماع مع ما تبقى من التاسوع وقادة العائلات الملكية التي حضرت المسابقة حتى يعرف الجميع ما حدث ويدرك من كان يتلاعب مع المجلس أن شوكة جريوم (عين حورس) لا قبل لهم بها.

كانت الأجواء مختلفة تمامًا عن مثيلتها في مدرسة (عين حورس) المصرية؛ حيث احتوت غرفة الاجتماعات الخاصة بالمجلس العالمي للسحر ثمانية أشخاص يمثلون قادة المجلس من الفئتين المؤسسين والمجددين. توسطت

حجرة الاجتماعات شاشة عرض سينمائي تم بث ما يتم استقباله من إرسال (أسمايا) منذ بدء العملية. على الرغم من الشكوى المتكررة بخصوص تقطيع هذا الإرسال إلا أنه طوال فترة العرض لم يتم التشويش عليه ولو لمرة واحدة. رفض (جون) أن يتم عرض ما يرسله قادة فرقه و(كريم) و(أوكايو) متعللًا بأن إرسالهم تم صده من قبل الدرع الحامي للمدرسة، لكن ما شكل السبب الحقيقي وراء رفضه هو تلك المؤامرة التي وضعها هو و(كريم) سويًا بمباركة الثلاثة الآخرين قبل سفر (كريم) إلى القاهرة. ظلوا طيلة مراقبتهم لما يدور بعيدا عنهم بكثير صامتون لا ينطقون بشيء حتى قامت (أسمايا) بخيانتهم وإخبار (بهير) و(مهالينا) عما حدث لها من (دريقا). ضرب بعضهم قبضاتهم بعنف على المنضدة صارخين في حين اكتست وجوه البقية بأمارات غضب عنيفة. كان أكثرهم عنفًا وغضبًا رغم هدوئه الظاهري هو (جون)، لقد حذر (كريم) كثيراً من تلك اللعوب، لكنه لم يستمع له. من خان مرة سيخون مرات، لذا لا يمكنك أن تثق بمن خانك مهما كانت الظروف والمبررات. لم يستمع (كريم) لتحذيراته المتكررة والآن وهو على مسافة كبيرة منه لا يقدر على مساعدته. بدأت الأصوات الغاضبة وردود الأفعال العنيفة في الخمود والخفوت خاصة كلما بدأت خطتهم تتداعى أمامهم. بدأ التداعي الكبير بفقدانهم أكبر عميلة لهم على يد (توت)، ليفقدوا بعدها (كريم) وخلفه وجدوا (أوكايو) راقدًا دون حياة. كان إحباطهم أكثر تأثيراً من غضبهم؛ فما فقدوه من خسائر اليوم لا يمكن تعويضها بسهولة. جلسوا خائري القوى حتى رجت حجرتهم أصوات الانفجارات المتتابعة لينتفضوا في ذعر متخيلين أن هجومًا ما يتعرضون له. لولا تحديق (جون) الثابت نحو الشاشة الذي جذب انتباههم، فالتفتوا نحوها ليجدوا ألسنة اللهب العالية والدخان الأسود الذي بدأ يعلو كسحب عملاقة هبت على المدرسة. جلسوا مجددًا في أماكنهم وبدأ شعور بالرضا والتشفي يسري داخلهم، لقد وجهوا لتلك القلعة المصرية ضربة قوية في عقر دارها حتى لو كان ثمن ذلك باهظًا

عليهم. جلسوا يتابعون الدمار والخراب الذي حل على تلك البقعة من المدرسة. بدا أن الخطة التي وضعوها قد جرى تعديلها من قبل (كريم)، ولولا هذا التعديل لما استطاعوا تحقيق هذا النصر المعنوي الكبير لهم. لم يعد يهمهم ما فقدوه ولا خسارتهم للمعركة، فما حققوه من ترك بصمتهم على المدرسة ولو كان في صورة هذه التفجيرات البسيطة كان له أبلغ الأثر في معنوياتهم حتى أن بعضهم بدأ يصرخ من الفرح وملوحًا بأيديه مشجعًا للنيران أن تزداد اشتعالًا وتدميرًا. ظل (جون) ينظر لهؤلاء القردة الذين يتقافزون فرحًا بهذه التفجيرات البسيطة، لكن عقله كان مشغولًا بأمور أكثر أهمية. ربما مثّل (كريم) لهم الحكمة في مراجعة الخطط والقرارات وتعديلها بالشكل الأمثل إلا أن العقل المدبر وراء تلك الخطط والقرارات من الأساس كان هو. بدأ ينظر للأمور نظرة مستقبلية مستغلًا المعلومات التي تحت يديه. رغم حزنه وضيقه وغضبه مما جرى لصديق عمره إلا أنه أرجأ تلك المشاعر لوقت يكون أقل خطورة من الآن. بعدما اختفت الصورة من أمامهم بعد فقدان (أسمايا) لوعيها، عادت الأضواء من جديد ومعها جلس الجميع في مكانه وبدأت نقاشاتهم الجانبية بحماسة لم يتفاعل معها (جون). بعد فترة من صمته ضرب قبضته بهدوء على المنضدة لتصدر صوتًا جذب انتباه الجميع وانتشلهم من نقاشاتهم الحماسية وقال:

ـ «أنا سعيد بحماستكم وانفعالكم، لكن هناك شيء في غاية الأهمية يجب أن نناقشه الآن»

ظن الجميع بلا استثناء أنه سيتحدث عن فقدانهم لـ(كريم) و(أوكايو)، لكنه خيب ظنهم وقال:

ـ «ما حدث اليوم سيجعل (توت) يتراجع عن قبوله للمشاركة في كأس العالم للسحرة هذا العام»

بدت صدمتهم جلية أمامه وقد نقل تركيزهم في كلمات بسيطة من مكان إلى مكان مغاير تمامًا. تابع وقد فطن إلى أنه الوحيد بينهم الذي يمتلك العقل للتفكير في هذا الاحتمال وتبعاته قائلًا:

ـ «لو نظرنا لاتفاقاتنا مع قادة (دوات) فقد كانت جميعها مرتبطة بما وعدناهم به. لو تراجع (توت) الآن عن المشاركة في المسابقة، فسنخسر كل شيء عرضوه علينا، وما عرضوه كان كثيرًا جدًا»

بدأت همهمات بسيطة نتاج نقاشات خافتة بين الجالسين حوله. صمت مفسحًا لهم المجال حتى مرت دقائق قليلة، ثم قال (يونج):

ـ «هل توجد طريقة يمكننا أن نجعل (توت) يستمر في المسابقة؟»

ـ «توجد طريقة واحدة تجعله يتغاضى عن رغبته القوية في الانتقام منا جراء ما فعلناه بمدرسته اليوم»

تساءلت (كلير) قائلة:

ـ «هل سنقوم بإصلاح مباني مدرسته في مقابل ذلك؟»

ضحك الجميع ساخرين من دعابتها التي لم تكن مناسبة للموضوع المهم الذي يتحدثون فيه، لذا لم يبتسم (جون) وإن رآها دعابة جيدة سيستخدمونها لاحقًا في مجالسهم لا ريب. عاد ليقول في جدية:

ـ «هناك شيء واحد يجب أن نقوم به الآن؛ فبدونه لن يقبل (توت) بمشاركة مدرسته في المنافسات»

ثم نظر لـ(كلير) وتابع:

ـ «ولا يتضمن ذلك إصلاح تلك المباني، فلسنا أصحاب شركة تأمين يا (كلير)»

ضحكوا من جديد على دعابته، ثم بدؤوا يسخرون من المدرسة وما انتهى إليه حال مبانيها من خراب. بعدها تحرك (جون) منفردًا لينفذ ما اهتدى إليه عقله من حل لمشكلة (توت) وانسحابه؛ فلو كان ما عرفه عن (توت) بواسطة (كريم) صحيحًا، فهذا سيكون أقل تحرك من قبله ضدهم. فلو استطاع جعله يستمر في المنافسات فسيأمن شره، وسيجبره على تأجيل أي تحرك إلى ما بعد المنافسات وحينها سيصبحون في وضع أكثر قوة على عكس ما سيصير معه ومع مدرسته ومجتمعه السحري المصري الذي طالما رآه السحرة في العالم أجمع قلعة شامخة لا يمكن المساس بها. لكنه اليوم أثبت لنفسه وللجميع أنه يمكن المساس بهم في أي وقت.

⟦ الفصل الثالث والعشرون ⟧

لم يستفق (چيكا) مباشرةً بعد غيبوبته الثانية؛ فعلى ما يبدو أن الحمل الثقيل الذي حمله جسده كان قد وجد فرصته أخيرًا في النزوح عن كاهله ليدفع جسده صوب دوامة طويلة من الغيبوبة والراحة التي كان يحتاجها. لم يحضر تلك الفرحة العارمة والضوضاء الشديدة التي بدت أشبه بقنبلة نووية انفجرت في وجه الجميع بنجاح فريق (چيكا) المنقوص منذ البداية في كسب هذه المنافسات. لم يحضر تلك الفوضى التي نشبت بعد ملاحظة الجميع للدخان الأسود المتصاعد كسحب البراكين النشطة. بدت المدرسة في قمة الارتباك حتى التاسوع الذين قل عددهم بشكل في غاية الريبة. جاء ظهور الجريوم (توت) أمام الجميع ليصمتوا وينظروا نحوه في مشهد مهيب. شرح لهم (توت) بعضًا من الحقائق وأخفى ما يتعلق بخيانة (دريقا) وعدد من التاسوع له. في النهاية طمأن الحاضرين على نجاحه في السيطرة على الاختراق وإطفاء النار التي اشتعلت ببعض من المباني الصغيرة. بعدها أمر بأن تقام احتفالات انتهاء المسابقة ليختفي بصحبة (أماليا) وبعض من كبار التاسوع وعدد كبير من قادة العائلات الملكية. بعد انتهاء الاحتفالات التي بدت باهتة نظرًا لما يشعر به الجميع من ضيق وحزن وغضب تجاه ما مر بمدرستهم العظيمة من اعتداء وتطاول. بعيدًا عن تلك الاحتفالات جلس (توت) مجتمعًا بمن أحضره معه وتحدث بشرح مستفيض عن كل الحقائق التي اكتشفها. كان قد بلغ مسامعه نوايا عائلات ملكية بعينها تقودها عائلة (ياد) المعروفة للهجوم على بعض من الخونة الذين حاولوا التآمر ضدهم قديمًا، لكنه بعد شرحه لكل شيء وجمعه لما أراد من ردود أفعالهم التلقائية التي تعكس ما يخفونه داخلهم جلس في ثوان مع والد (بهير) وأقنعه بتأجيل ما كان يعتزم القيام به، نظرًا لأنهم لا يعرفون كم الخيانة التي تتغلغل

وسط هذا الدم الملقب بالملكي. بدا عليه الاقتناع برأي (توت) الحكيم ثم تحرك مغادرًا بصحبة رؤساء العائلات الثلاثة الأخرى التي صارت منذ حادث البحيرة حلفاء له. تنهد (توت) وقد انتهى تقريبًا من لملمة هذه الفوضى التي تملأ مدرسته. لم يتبقَ سوى أمر وحيد، فنظر لـ(آماليا) والتي كانت تجلس متخلفة عن جميع رفاقها من مؤيدي الجريوم قائلًا:

ـ «هناك أمر أريدك أن تقومي به»

زفرت (أماليا) في هدوء وقد أدركت ما يريده منها، فقالت:

ـ «لو كنت تقصد أن أعتني بـ(چيكا) و(أسمايا)، فقد قمت بذلك فعلًا، وأمرت بنقلهما إلى مكان آمن لتلقي الرعاية اللازمة حتى يستعيدا وعيهما»

كان قد نسي في خضم كل هذه الأحداث مدى مهارة (أماليا) وقدرتها على قراءته والتي يعجز عنها الكثيرين غيره. تميزت بنظرة شمولية لا تترك تفصيلة إلا وأولت عنايةً فائقةً لها، ربما لم تصل بعد لمستوى قريب للمستوى الذي هو فيه، لكنه يعرف أنها في المستقبل ستفعل. أعاد ظهره للخلف مستريحًا على مقعده وقد هطلت عليه أعباء اليوم كالجبل الثقيل. قال في صوت خفيض مغمضًا عينيه ليُعين عقله على خفض التوتر العالي فيه:

ـ «هذان الطالبان يستحقان الدعم يا (آماليا). لقد كان اختيارك صائبًا بضمه لعائلتك»

ـ «شكرًا لك، سيدي»

ـ «هذه الطالبة (أسمايا) قد أثبتت لي صدق ولائها، لولاها لما استطعنا إنقاذ المدرسة في الوقت المناسب»

كان يعرف شعور (أماليا) جيدًا، فقال متابعًا:

ـ «لا تُحمّليها وزرًا لا علاقة لها به. إن (دريقا) هي من جنت على نفسها بتلك الخيانة»

لم تكن بحاجة لكلمات (توت) حتى تفهم أنها لا يجب أن تعامل (أسمايا) بغضب أو برغبة انتقام منها لأنها التي تسببت في موت صديقتها. بل الحقيقة أن صديقتها هي التي تسببت في كل ذلك بنفسها حين فقدت بوصلتها وحادت عن طريق الصواب. قررت أن تُغيّر دفة الحديث إلى موضوع آخر أقل إيلامًا وأكثر أهمية قائلة:

ـ «هل سنترك المجلس العالمي للسحر ينفذ بفعلته يا سيدي؟»

كانت تلك هي المعضلة التي لم يعرف إجابة عليها. فلو كان الأمر باختياره لقام فورًا وأعد جيشًا من أقوى السحرة في البلاد وأغار على مقر ذلك المجلس ودمره عن بكرة أبيه. لكنه لا يقدر على التحرك والثعابين تملأ المكان، عليه أولًا أن يتخلص من هؤلاء الخونة قبل أن يسعى للانتقام. لم يكن بحاجة للتفكير كثيرًا؛ فالعملية تلك ستأخذ عمرًا طويلًا، لذا قال بنبرة حازمة:

ـ «لا يمكننا التحرك ضدهم الآن؛ فالخونة داخل الدم الملكي يجب التخلص منهم أولًا»

تفهمت ما قاله، لكن الغضب داخلها لم يرضَ بذلك حلًا، لذا قالت:

ـ «ألا توجد طريقة سريعة للانتقام منهم؟ لا أعني انتقامًا كاملًا، إنما توجيه ضربة قوية لهم تهددهم وتردعهم وتثبت لنا أننا قادرون على الفتك بهم في أي وقت»

كان عقله قد توصل إلى طريقتين لفعل ذلك، كانت أيسرهما وأسرعهما هي ما قاله لها:

- «يمكننا ببساطة رفض مشاركتنا في مسابقتهم التي تسببت في كل هذا الدمار لنا. أنا على ثقة تامة أن تلك المسابقة لها أهمية قصوى في خططهم المستقبلية، لذا بعزوفنا عنها لن يقدروا على المضي قدمًا في مخططاتهم وسنعرقلهم كثيراً»

قبل أن تجيبه (أماليا) جاء صوت نقر على الباب، فصمتت ودلف إلى المكتب (يونس). كان بيده طرد على شكل صندوق صغير وضعه أمام (توت) وهو يقول:

- «لقد وصل إلينا بتعويذة الرسالات»

كانت تلك هي طريقة السحرة الأوروبيين في التواصل فيما بينهم. لم يحرك (توت) عينه عن (يونس) الذي تابع:

- «لقد تم إرساله من قبل المجلس العالمي للسحر»

تردد (توت) محاولًا معرفة السبب وراء تواصل المجلس معه. فتح الطرد ليجد صورة فوتوغرافية كبيرة لشيء ما لم تفهم معناه (أماليا) ولا (يونس). لكن حينما لاحظا اتساع عينا (توت) بتلك الطريقة أدركا أنه يعرف جيدًا ماهية هذا الشيء. وضع (توت) الصورة على المكتب وعقله يحاول الربط بين سر إرسالهم لتلك الصورة وتوقيت وصولها له. ليس من قبيل المصادفة أن يرسلوا شيئًا كهذا في هذا التوقيت. إنهم يراقبون المدرسة وما يدور فيها حتى بعد تخلصه من جرذانهم. صدمه المغزى من وراء تلك الصورة؛ فهذا يعني أن هناك شخصًا في المجلس قادر على قراءته وتوقع ما سيفكر فيه وما يمكن أن يتخذه من قرارات. وإلا فلماذا أرسل له هذه الصورة بالذات؟ تبادلت (أماليا) و(يونس) النظرات القلقة إزاء ملامح (توت) المتوترة. قالت (أماليا) محاولة فهم ما يحدث:

- «هل تعني تلك الصورة الغريبة شيئًا مهمًا يا سيدي؟»

رفع (توت) الصورة ومنحها لها ولـ(يونس). كانت صورة لصندوق زجاجي بدا إسطوانيًا وكبيراً. في داخله ظهر شكل مفتاح الحياة المعروف، والذي بدا طائفًا داخل سائل شفاف يحيط به من كل جانب. لم تقدر (أماليا) ولا (يونس) على فهم ما تعنيه تلك الصورة، فقال (توت) موضحًا حينما رأى الحيرة في أعينهما:

ـ «إنه مفتاح حياة عالم (دوات)»

اتسعت عيناهما دهشة وعادا ليحدقا نحو الصورة في جدية وتركيز تام. رفعت (أماليا) رأسها وقالت لـ(توت):

ـ «ما المغزى وراء إرسالهم لتلك الصورة الآن؟»

زفر (توت) بضيق بالغ وقد أحنقه فكرة وجود شخص كهذا لدى المجلس. أجاب على تساؤل (أماليا) قائلًا:

ـ «لقد خمنوا أننا سننسحب من المسابقة، لذا أرسلوا لنا هذه الصورة ليذكرونا من جديد بالمكافأة التي سيحصل عليها الفائز. إنهم يهددوننا إن انسحبنا فسنخسر مفتاح حياة عالم (دوات) الذي عانى عدد لا نهائي من السحرة المصريين طيلة ألفي عام في سبيل إيجاده دون جدوى»

صمتت (أماليا) لتفكر في هذه الرسالة الغريبة، لتصل إلى نفس استنتاج (توت). لم يكن هناك أدنى شك لديها أن (توت) قد تراجع فعلًا عن تلك الخطوة وقد أكد لها ذلك بقوله:

ـ «هذا يجعلنا غير قادرين على اتخاذ هذا القرار ردًا عليهم»

ثم صمت قليلًا، وتابع بعدها بابتسامة مخيفة:

ـ «لهذا سنقوم بتنفيذ الخطة الأخرى التي ستسمح لنا بالرد عليهم في وقت قصير»

ثم شرع يشرح خطته التي سيقومون بها في الأيام القليلة القادمة.

مر يوم كامل على فقدانهما للوعي. كانت (أسمايا) أولاهما في الاستيقاظ، ثم أتبعها (چيكا) ببضع ساعات ليستعيد وعيه قليلًا وبصعوبة. وجد جسده يئن جاهدًا للاعتدال جالسًا على فراش وثير. ظن أنه في بيته حيث تلك الزخرفة الخشبية التي يمتلئ بها، لكنه لم يرَ في بيته حجرة مثل التي يجلس فيها. كانت الغشاوة الثقيلة أمام عينيه بدأت في الانقشاع ببطء، لكن حالما عادت رؤيته بكامل قوتها من جديد تفاجئ برؤية كافة رفاقه واقفون حوله يحدقون نحوه في فرح واضح لاستعادته وعيه.

ـ «أنا لستُ في بيتي إذن؛ فليس مسموح لكم بدخوله»

لم يكد ينتهي من تلك الكلمات حتى اندفع الستة يعانقونه بقوة مثقلين جسده بأجسادهم. كانوا فرحين بشكل لا يتصوره (چيكا) الذي شعر بالامتنان لهم مع كثير من الألم. جلست (أسمايا) ملقية بجسدها إلى جواره لتريح رأسها فوق صدره. بدا له أنها قد تعرضت لجروح شتى، لكنه شعر بالامتنان لكونها سليمة معافاة. لم يدرك أنها قد فقدت وعيها مثله. وضعت (أسمايا) رأسها مستمعة لدقات قلبه القوي والتي كانت كأعذب موسيقى سمعتها في حياتها. كانت تستحق هذه الراحة والمكانة داخل قلبه وإلى جواره؛ فأخيراً بعد معاناة ذاقتها من عمر ست سنوات استطاعت أن تنجو بنفسها وتؤسس لها مستقبلًا آمنا لها وأصدقاء يثقون فيها وبولائها ورجلًا يعشقها ومستعد للتضحية بحياته في سبيلها. مد يده ليضمها أكثر إلى جانبه في حين جال ببصره في عيون أصدقائه. كان (بهير) الذي مَثّل إلى وقت قريب ألد أعداءه وأقوى منافسيه واقفًا وإلى جانبه (مهالينا) التي بدت مرتاحة لجسدها الملاصق لجسده ويده التي تلتف حولها في قوة. أما الأخوان و(أوتارا)، فقد حملت ملامحهم سعادة بلا حدود نظرًا لإفاقته من تلك الغيبوبة التي لازمته في المسابقة.

ـ «اتركوه قليلًا؛ فهو مازال مريضًا، ولم يتعافَ بشكل كامل بعد»

ابتعدوا عنه ليرفع رأسه قليلًا ناظرًا خلفه، ليجد (توت) جالسًا كعادته كما رآه فوق مقعده أمام مكتبه الخشبي المميز وإلى جواره تجلس (أماليا) مبتسمةً بود وحب له. أدرك حينها (چيكا) أنه في مكتب (توت) وليس في بيته. حدق حوله ليتيقن تمامًا من تلك الحقيقة ثم قال:

ـ «أنا متفاجئ لوجودي هنا، سيدي»

قام المدير من مقعده ووقف إلى جوار رفاقه أمامه ثم قال:

ـ «لا تتفاجأ؛ فقد كنتَ في بيت (أماليا) حتى أفاقت (أسمايا) ثم أحضرناك إلى هنا؛ فأنت أكثر أهمية من أن أدعك بالخارج»

نظر (چيكا) لحبيبته التي بدت ملامحها تعبة ومرهقة إلى حد لم يلحظه من قبل. فاجأته تلك المعلومة الخاصة بغيابها عن الوعي، وهاله ما قد مرت به ليُسبِّب لها غيبوبة. أدرك أن قد فاته الكثير لكن سيعرفه بعد أن يلتم شمله من جديد مع فريقه بعيدًا عن عيني الجريوم؛ فمازال لا ينسى أنه لم يخبره بأي معلومة تخص فرقته حتى الآن. لذا قال (چيكا) متجاوزًا تلك النقطة قائلًا:

ـ «أنا أكثر أهمية.. هذا جديد تمامًا علي»

ابتسم (توت) ثم قال:

ـ «لقد نجحتْ الخطة يا (چيكا). لولا مساعدتك أنت وفريقك لما استطعت حماية مدرستي من أولائك الخونة»

ـ «هل تعني أنكم استطعتم القبض عليهم جميعًا؟»

ـ «بالطبع، لقد استطعنا كذلك القبض على كثير من التاسوع في أثناء ذلك»

ـ «كم واحدًا أمسكتم به؟»

لم يكن راغبًا في النقاش حول تلك الجزئية لما تثيره من حزن وذكريات وغضب مكتوم لم يتجاوزه بعد. كان يعرف أن (چيكا) ورفاقه سيعرفون خيانة (دريقا) من (أسمايا) و(بهير) و(مهالينا)، لكنه لم يحتج لذكر العدد نظرًا لضخامته عما توقعوه سابقًا. لذا قال بطريقته المعتادة الجادة:

ـ «لا يمكنني أن أخبرك بذلك؛ فهو من أسرار المدرسة»

عاد (چيكا) ليسأل من جديد قائلًا:

ـ «ماذا فعلت بهم، سيدي؟»

ـ «لن أخبرك، لكن لتطمئن، لقد ذهبوا إلى غير رجعة»

حملت كلماته الكثير من المعاني، لكن جميعها كانت تعني أنهم في مأمن الآن منهم. تابع (توت) قائلًا قبل أن يغادر المكان:

ـ «لا تُقلِق نفسك بكل هذه التفاصيل، كل ما يمكنني أن أقوله لك أن عائلة (أسمايا) بخير حتى الآن فلم ينجُ أحد من الغزاة أو من أعوانهم من الخونة، لهذا لم يعرف المجلس بدور (أسمايا) العظيم معنا»

ثم تحرك مبتعدًا بصحبة (آماليا)، التي مالت للصمت منذ انتهاء المعركة متأثرة بصدمتها في صديقة عمرها، ليتركا المكتب لـ(چيكا) ورفاقه. اعتدل (چيكا) أكثر، ثم قال موجهًا كلامه للجميع:

ـ «أنا سعيد جدًا بكم. حقيقةً فخور بأنكم إلى جواري»

ـ «لا تقل هذا، (چيكا)؛ فالفضل كله يعود لك، فلولا تضحيتك لما استطعنا الفوز بالمسابقة»

اكتفى (چيكا) بالابتسام وأصوات رفاقه تبتعد عن مسامعه ليجد نفسه ينظر نحو النافذة الصغيرة بالمكتب وذاك الضوء الخافت الخاص بالصباح الباكر يتخللها. ابتسم في داخله؛ فعلى ما يبدو أن الليل المظلم ينجلي ليعود الصباح المنير من جديد. لكن بانتظارهم مهمة أكثر صعوبة، فوالدا (أسمايا) في حال جيدة الآن لكنهما مازالا بعيدين تمامًا عنها. كان قد أقسم مسبقًا بينه وبين نفسه أنه لن يهنأ له بال حتى يحررهما تمامًا ويجعلهما يعودان إليها، وهذه المهمة تجعل المغامرة التي مر بها للتو لعب أطفال. ابتسم وعاد مجددًا للواقع وأخذ يتابع ضحكات ومرح رفاقه ومزاحهم الممتع و(أسمايا) ماتزال بين أحضانه؛ فهو يرغب في الاستمتاع بتلك النفحة القصيرة من السعادة معهم قبل أن يعود الواقع لينغص عليهم حياتهم من جديد.

﴿ نهاية الجزء الثاني ﴾

◄ التعريف بالكاتب ►

أحمد خشبة

❋ طبيب أطفال وكاتب متخصص في فن الفانتازيا.

❋ تخرج من كلية الطب البشري جامعة الزقازيق عام 2008، ويعمل طبيب أطفال في مستشفى الأطفال التخصصي في بنها.

❋ من مؤسسي رابطة (فانتازيون) التي تهتم بالأدب الفانتازي العربي وارتقائه.

❋ شارك في مؤتمر الرواية العربي الخامس مُحاضرا عن أدب الخيال العلمي والفانتازيا.

❋ له مقالات أدبية نقدية متخصصة في أدب الفانتازيا على الإنترنت.

❋ أعماله المنشورة:

✦ (رانمارو والسر الدفين) - رواية - دار نهضة مصر.

✦ (رانمارو وبناء قرية الريح البيضاء) - رواية - دار نهضة مصر.